كُنْ مؤثِّراً

كُنْ مؤثِّراً

الالتزام بمبادىء ملكوت الله في حياتنا اليومية

جيم بيترسون
و
مايك شامي

ترجمة: عصام خوري

اســـم الكتـــاب: كُنْ مؤثِّــراً
المـــؤلـــف: جيم بيترسون ومايك شامي
المتـــرجـــم: عصام خوري
رقم الإيداع بدار الكتب: ٢٠٠٨/١٣٥٤٧

فهرس المحتويات

تمهيـــد

****

على مرّ الثلاثين إلى الأربعين سنة الماضية، عمل كلانا، مايك وأنا، جنباً إلى جنب مع رجال ونساء ينتمون لعدة ثقافات. وكان لدى الكثيرين منهم أمنية مشتركة في رؤية «الأخبار السارة الخاصة بملكوت الله» وهي تنتشر بين أسرهم، وأصدقائهم، وزملائهم في العمل، ورفاقهم الطلبة ـــ بالاختصار، بين الأشخاص المقرّبين إليهم. كانت لديهم رغبة شديدة لتحقيق هذه الأمنية، ولكنهم لم يكونوا يعرفون ما يجب عمله.

إن هؤلاء أناس عاديون ولديهم أمنية رائعة. وهم في مواقع إستراتيجية كمؤثّرين ـــ في كل أنحاء العالم ـــ كل واحد منهم ضمن شبكة علاقات فريدة من نوعها، ولدى كل منهم دور هام يؤديه في تحقيق مقاصد الله. ولكن ما تعلّموه عن مشاركة إيمانهم لا يتلاءم عادةً مع واقع الحياة. ولهذا فهم غالباً ما يشعرون بالإحباط.

إن هذا الكتاب هو عبارة عن مسعى لخدمة هؤلاء الأشخاص. هم بحاجة للمساعدة ويستحقونها لتحويل رؤيتهم إلى واقع عملي. لقد تمتّع كلانا بامتياز التركيز على نمو الإنجيل وانتشاره لسنوات عديدة، ولهذا السبب أصبح لدينا إحساس بالمديونية لهؤلاء الرجال والنساء. قد تكون أنت واحداً منهم. وإذا كان الأمر كذلك، فنحن نشعر بأننا مدينون لك بالمشاركة في الأشياء التي نتعلمها خلال مسيرتنا في هذه الحياة. إن ما ستقرأه على هذه الصفحات، ما هو إلاّ محاولة لكي ننقل إليك بطريقة عملية بعض الدروس التي تعلّمناها من الكتاب المقدّس، بالإضافة إلى خبرتنا الشخصية. سنعتبر أن مسعانا قد تكلّل بالنجاح إذا ما قلت لنفسك بعد أن تنتهي من قراءة هذا الكتاب: «هل هذا كل ما هنالك؟ بإمكاني أن أفعل ذلك!» وسنعتبر جهودنا ناجحة إلى أقصى حدّ حين تعمل بمقتضى ما قد قرأته.

كلمة أخيرة حول طريقة كتابتنا لهذا الكتاب. مع أننا ساهمنا معاً في المضمون، فقد رأينا أن هذا الكتاب سيكون مقروءاً أكثر إذا ما كتبناه بصوت واحد ولهذا، فإن جيم هو من قام بالكتابة الفعلية.

الجـــزء الأول

المـــؤثِّـــر

مقدمـــــــة

****

دخلت إلى المصعد الخاص بالتزحلق على الجليد ووجدت نفسي صاعداً الجبل برفقة رجلين في العشرينات من مدينة دنفر بولاية كولورادو بأمريكا. وكانا قد انتقلا من نيوجرسي إلى دنفر قبل عامين بحثاً عن وظيفة في مجال صناعة التكنولوجيا. وكانا، حسب قولهما، محظوظين جداً لتمكنهما من الحفاظ على عملهما حيث انهار مؤشر الناسداك بعد وصولهما بفترة قصيرة.

تطوّع الاثنان بتقديم هذه المعلومات عن نفسيهما خلال أول دقيقتين من الدقائق العشر التي يستغرقها الصعود إلى الجبل. وكان حديثهما من نوعية الأحاديث التي يتم تبادلها في هذا المصعد. «الطقس بارد اليوم، أليس كذلك؟» «من أي مدينة أنت؟» وتبعاً للعادة، جاء الآن دوري في الكلام.

«أنا من مدينة كولورادو سبرينغ ــ أتيت إلى هنا لتمضية يوم واحد. فأنا أكتب كتاباً واحتجت إلى فترة راحة.»

«أحقاً؟ ما هو موضوع الكتاب؟»

«عنوان الكتاب هو «كُنْ مؤثّراً». إنه يدور حول معنى الحياة ــ وأن يكتشف كل واحد دعوته فيها. لقد تبيّن لي أن معظم الناس لا يعرفون دعوهم في الحياة. فهم يعملون ثمان وأربعين ساعة في الأسبوع، ويعملون بجدّ طوال الوقت، ويأخذون إغفاءة قصيرة في مكاتبهم، ولكن حين تسألهم إلى أين هم متّجهون بهذه العجالة، ينظرون إليك نظرة جوفاء.»

توقفت عن الكلام لأرى رد فعلهما. وكانت إشارهما لي: استمر في الكلام. ولأنني أكبر سناً منهما، مازحتهما قائلاً: «عندما قدمتما إلى مدينة دنفر، لا شك أنكما ظننتما أن بإمكانكما جمع كمية كبيرة من المال والتقاعد في سن الخامسة والثلاثين. إنكما لم تريا من الحياة ما يكفي لأن تعرفا كيف يبدو الهبوط في السوق التجاري. لقد رأيتما فقط الأمور وهي تسير في تصاعد.»

أجاب أحدهما مازحاً: «في الواقع، كنا نبغي التقاعد في سن الثالثة والثلاثين، لكن يبدو أنه علينا مراجعة ذلك.»

أجبتهما قائلاً: «حسناً، مهما كان الأمر. إن مسألة معنى الحياة تطرح نفسها فعلياً يوم

تتوقفان عن العمل. هل ستكونان على ما يرام وأنتما تقضيان السنوات الأربعين الباقية في تسلية نفسيكما؟ إني أشك في ذلك.»

تبادلنا قصصاً حول أناس نعرفهم حاولوا أن يفعلوا ذلك، واتفقنا في الرأي على أنهم لم يوفقوا في هذا كثيراً.

«إذاً، إلى أين يتوجه شبان مثلكما للحصول على أجوبة مثل هذه؟ نحن هنا محاطون بالتعصب من الجانبين: الأصوليون المتشددون دينياً عن اليمين والمتحرّرون الذين ينادون بمبدأ النسبية عن اليسار. المجموعة الأولى تطلب منّا الإيمان المطلق، بينما تمنعنا المجموعة الثانية من الإيمان بأي شيء على الإطلاق. من أين يمكننا أن نحصل على الأجوبة؟»

«أهذا هو الموضوع الذي يدور حوله كتابك؟»

«نعم.»

«ما هو عنوانه؟»

إن البحث عن المعنى في مجتمعنا أصبح أمراً ميئوساً منه. ولكن ليس لمجرد أن بعضاً منّا قد تبعوا المسيح بالفعل، فإن هذا يعني أننا قد وجدنا الحل وأننا نحيا حياة هادفة. يمكن أن نكون منتمين إلى المسيح، ونتخبط عشوائياً في تشويش وجودي. نحن نؤمن بأن الحياة الأبدية تنتظرنا، ولكننا عاجزون عن إيجاد الصلة بين تلك الحياة الموعودة وبين الحياة التي نحياها. يمكن أن تكون حياتنا دنيوية جداً وتسودها الرتابة اليومية التي تمر بسرعة جنونية بحيث نجد صعوبة في تصوّر وجود مقاصد أبدية أكبر بكثير مما يحدث الآن.

لقد لاحظنا هذه المعضلة بين أناس ينتمون إلى ثقافات متعددة في أرجاء العالم. فهم يؤمنون بالمسيح ولكنهم لا يزالون يتوقون إلى مشاركة ذات معنى في مقاصد الله. إن مثل هذه المشاركة في متناولنا ـــ لكن يبقى على الكثيرين منّا أن يساهموا فيها. إن غايتنا من كتابة هذا الكتاب هي مساعدتك على أن تُوفَّق في بحثك.

ثمة أربعة أجزاء في هذا الكتاب. في الجزء الأول، نتعرف على الأسس الكتابية لموضوعنا. ونتطرق إلى اللاهوت الداعم لمبدأ المؤثر؛ ولذا، ستجد أن هذا الجزء فلسفي أكثر من الأجزاء الثلاثة الأخرى. لقد حرصنا على أن يكون هذا الجزء سهل القراءة لأن معظم قرّائنا هم ممن يمارسون مهنة ما وليسوا من اللاهوتيين. أسلوبنا في الكتابة هو الإيجاز، ولهذا ينبغي أن تقرأ هذه الأجزاء بتأن. سنناقش بعض الأفكار الهامة جداً ببضع كلمات قليلة، وقد تمرّ أمامك دون أن تنتبه إليها.

يتطرّق الجزء الثاني إلى العقبات التي تعترض طريق إثمارنا كمؤثّرين، عقبات مثل مخاوفنا ومحدوديتنا الشخصية ـــ وهي أمور نواجهها جميعاً كل يوم.

نتناول في الجزء الثالث الأنماط السبعة لحياة المؤثّر المثمرة. هدفنا هو أن نقدّم إلى القارىء صورة عملية يمكن تحقيقها ليحيا كشخص مؤثّر.

يدّقق الجزء الرابع على التكلفة. ماذا علينا أن نقدّم كأفراد، وككنيسة، للحصول على ما نحن بصدد الحديث عنه؟

الفصل الأول

مقاصد الله الأبديّة والمؤثّـــر

****

كنّا نتبادل الأحاديث العامة، ونتحدّث عمّا يجول في أذهاننا، حين قال جاك شيئاً لن أنساه أبداً. قال: «لقد مرّت السنوات العشرون من حياتي كشريط سينمائي رديء. وكنت وأنا أشاهده لا أتوقف عن أن أقول لنفسي، «لم يكن هذا النّص هو ما دار في ذهني. لم يكن من المفترض أن يكون كهذا.» توقّف عن الكلام ثم أضاف قائلاً: «وأنا لا أدري ما يمكن أن أفعله لجعل السنوات العشرين القادمة مختلفة.»

كان جاك في مجال العمل، واحداً من أنجح الأشخاص الذين أعرفهم. وهو موفّق في زواجه ولديه أولاد يحبّونه. وقد نشأ في الكنيسة نشأة مسيحية. إذاً، ما هي مشكلته؟

كان في صراع مع بعض الآمال والتطلعات التي لم تتحقق. لقد كان يتوقع من الله أكثر مما حصل عليه. فقد كان يتوقع أن يستخدمه الله من خلال أعماله في العالم. ولكنه وصل الآن إلى قمة النجاح في عمله ومع ذلك لا يمكنه أن يرى إلا القليل أو ربما لا شيء يدل على أن الله قد عمل شيئاً من خلاله في وقت من الأوقات.

أعرف أناساً كثيرين مثل جاك. ويقول الأشياء نفسها العديد من أصدقائي الذين أصبحوا مؤمنين بالمسيح في سنوات دراستهم الجامعية. لقد آمنوا بالمسيح وبالأخبار التي تقول إن لديه «خطة رائعة لحياتهم» ــ وكانوا ينتظرون بصعوبة أن تبدأ الحياة! ولكن السنين قد ولّت الآن ــ وهم لا يزالون ينتظرون!

ما الذي حدث؟ وما الأخطاء التي ارتكبت؟ الإجابة الأسهل هي إلقاء اللوم على الشخص نفسه. (ما الذي يتوقعه الناس حين لا يفسحون مكاناً لله في حياتهم اليومية؟) أو، يمكننا أن نجد خطأ ما في أسلوب تقديم الإنجيل لهم. (لقد آمنوا بإنجيل مُبالغ فيه ومفرط في وعوده.) أو بإمكاننا إلقاء اللوم على الله. (فهو لا يتدخل كثيراً في حياة الناس.)

مهما كان التفسير الذي نعطيه، فإن مشاكل جاك حقيقية. نحن جميعاً بحاجة لأن نعيش من أجل **شيء ما**. ومما يناقض طبيعتنا أننا نرضى ونكتفي بالشعور بأن قيمة حياتنا ليست

أكبر من الحياة! لقد خلقنا الله هكذا. مهما كانت القيمة الدنيوية لمنجزاتنا، فإننا إن لم نشعر بأن ما نعمله يتفوق على حياتنا الأرضية بطريقة ما، فسوف نجد أنفسنا في صراعٍ مع شعورٍ بالتفاهة وعدم الجدوى. وهذه ظاهرة عالمية تمتد إلى تاريخ الإنسان كله.

نحو إدراك المعنى

كان دافع الملوك المصريين الذين قضوا حياتهم وحياة ألوف آخرين في بناء قبور، تصوّراً ورؤية عن حياة بعد الموت حافلة بالجد والعمل. وتم تمويل بناء كاتدرائيات أوروبا العظيمة بمبالغ طائلة بواسطة أناس أثرياء قاموا بمقايضة ممتلكاتهم بوعود صلوات أبدية تُرفع لأجلهم من الكاتدرائيات بعد وفاتهم. كانوا منشغلين جداً بمكانتهم الأبدية. ولكن لا يحتاج أحدنا أن يكون متديناً لتكون لديه اهتمامات من هذا النوع. إن رواج فكرة ترك تراث وراءنا يخبرنا بأن هذه الحاجة هي أمر شائع لدى الناس بكل أنواعهم. نحن نرغب في تكريس أنفسنا لشيء ما يبقى موجوداً بعد وفاتنا.

هذه كانت رسالة سليمان، كاتب سفر الجامعة. كانت لديه الفرصة لتجربة كل خيار يمكن أن تقدمه الحياة تقريباً. وبعد أن قام بذلك كله، قدم لنا هذه الملاحظة:

«ومهما اشتهته عينايَ لم أُمسكه عنهما. لم أمنع
قلبي من كل فرح، لأنّ قلبي فرِحَ بكلِّ تعبي.
وهذا كان نصيبي مِن كلّ تعبي. ثم التفتُّ أنا إلى
كلّ أعمالي التي عَملتها يدايَ، وإلى التّعب الذي
تعبتُهُ في عمله، فإذَا الكلّ باطلٌ وقبضُ الريح،
ولا منفعةَ تحتَ الشمسِ» (جامعة ٢: ١٠-١١).

لقد جرّب سليمان كل شيء «تحت الشمس» و لم يجد معنى في أي شيء. وتلك كانت مشكلته. كانت تطلعاته دونية جداً. ينبغي أن تمتد خبرتنا إلى ما وراء الشمس لتشمل الأبدية، لكي نكون راضين. أليست هذه الحاجة التي نستشعرها هي جزء من كوننا قد خُلقنا على صورة الله؟

إن الوقت الذي نقضيه في الصلاة والعبادة لن يعالج ويزيل هذا الإحباط كذلك. في الواقع، كلما تأملنا الكتاب المقدّس كلما زادت رغبتنا في معرفة الله والمشاركة في ما يفعله. يذكّرنا الكتاب المقدّس مراراً وتكراراً أن إتبّاع الله لا يعني أكثر مما يختبره جاك وأصدقائي الآخرون. إذاً، يبقى السؤال مطروحاً: «ما الذي ينبغي أن نتوقع حدوثه في المسار الطبيعي لعلاقتنا مع الله؟»

ما معنى كل هذا؟

نحن نطرح الآن سؤال الحياة الأكبر: «ما معنى هذه الحياة؟ وما الذي يجري؟» ثمة مكان واحد فقط نقصده التماساً للجواب. علينا أن نطرح هذا السؤال: «ما هي نوايا الله؟ ما الذي ينوي عمله؟» إن لم نعرف حقاً ما هي نواياه، فإن من المؤكد أننا لن نختبرها في حياتنا.

إن الحياة العديمة الجدوى هي حياة نعيشها بحسب برنامج لا صلة له بمقاصد الله. ليس مهماً سرعة انطلاقنا، أو الارتفاع الذي نصل إليه في تحليقنا، أو إلى أين نحن متجهون. إن لم نعش بحسب مقاصد الله، فحياتنا تكون بلا جدوى أو منفعة.

ما الذي يفعله الله اليوم؟ من الصعب معرفة ذلك بمجرد النظر إلى الأشياء. إن الأخبار الواردة من أنحاء العالم هي دائماً أخبار مريعة. فساد سائد يتسبب في فقر ملايين البشر في بلاد تلو الأخرى. والحروب القبلية تحوّل الملايين كل عام إلى لاجئين. والأمراض الوبائية تقتل الملايين كل عام في أفريقيا وحدها. وبينما أنا أكتب هذا الفصل، وردت أنباء من الهند تتحدث عن هزة أرضية قوية وشاملة أوقعت خسائر بالأرواح تجاوزت الخمسة عشر ألفاً. ونقلت نشرة الأخبار نفسها خبراً عن مجاعة في آسيا الوسطى حيث يموت الآلاف جوعاً.

ولكننا لن نسمع المزيد عن قصص الرعب هذه. لأن ليس ثمة متّسع في نشرة الأخبار لمثل هذه الأحداث الطارئة. يحتاج مذيعو الأخبار إلى وقت لتغطية «الحرب على الإرهاب» والنـــزاعات الرئيسة الأخرى التي تجري في العالم.

إن الزعم أن الله لديه مقاصد في وسط هذه الفوضى الشاملة وأنه يعمل على تحقيقها بفاعلية، هو أمر مبالغ فيه. من الأسهل تصديق أن الأمور تتفكك وتتبعثر وأن الله غائب عن مسرح الأحداث. لكن الكتاب المقدّس يقول لنا العكس. فهو يخبرنا أن الله يعمل لجمع الأشياء مع بعضها.

مقاصد الله الأبدية

كتب بولس رسالته إلى جماعة المؤمنين الناشئة في أفسس حوالي عام ستين بعد الميلاد. اشتهرت مدينة أفسس أيضاً بأنها كانت مركزاً لعبادة الآلهة سيبيل/ أرتميس، آلهة الخصوبة. وكان هيكلها يُعتبر واحداً من عجائب الدنيا. كان السحر والشعوذة والدعارة جزءاً من طقوس العبادة في الهيكل. كان المؤمنون الجدد الذين كتب بولس إليهم يتلمسون طريقهم بعيداً عن كل هذه الممارسات. كانت الحياة في الكنيسة ما تزال نوعاً ما غير سوية.

ومع ذلك، تأملوا كيف استهلّ بولس رسالته. لقد وجهها إلى «القديسين الذين في

أفسس والمؤمنين في المسيح يسوع» (أفسس ١: ١). إنه يذكّرهم بمن يكونون. فلديهم جنسية مزدوجة. فهم «في أفسس» ولكنهم أيضاً «في المسيح». نعم، هم ينتمون إلى المسيح، ولكن كان عليهم أن يعيشوا هذه الحياة الجديدة في واقع حياة مدينة أفسس.

أراد بولس أن يدرك المؤمنون في أفسس أنه بالرغم مما كان يجري حولهم، فقد كانوا جزءاً من مقاصد الله الأبدية ولهم دور هام فيها. وببضع كلمات، رسم بولس صورة كونية. كتب ما يلي:

«كما اختارنا فيه قبل تأسيس العالم... فعيّننا للتبني
يسوع المسيح لنفسه... الذي فيه لنا الفداء بدمه
غفران الخطايا... إذ عرّفنا بسرّ مشيئته... التي قصدَها
في نفسه... ليجمع كلّ شيءٍ في المسيح، ما في السموات
وما على الأرض» (أفسس ١:٤-٥ ، ٧ ، ٩-١٠).

هذه الفقرة مليئة بالمعلومات الحيوية. لدى الله مقاصد ولديه خطة يعمل الآن على إنجازها. وهذه الخطة ليست عملية إنقاذ طارئة يعمل الله على تحقيقها، أي بمثابة «خطة ب» بعد أن تكون الأمور قد سارت بطريقة خاطئة. كانت هذه الخطة موجودة قبل أن يخلق الله أي شيء. ونعلم أيضاً أنه في مركز هذه الخطة خلق شعباً جديداً وأن الثمن سيكون دم ابنه. وباختصار تخبرنا هذه الفقرة أن الحياة لها علاقة **بشعب وبصليب**.

يعالج المزمور الثاني الفكرة ذاتها. يبدأ المزمور بوصف ثورة مستمرة ـــ القوى البشرية تثور ضد الله. «قام ملوك الأرض وتآمر الرؤساء معاً على الرّب وعلى مسيحه» ليسقط الله، ولنعش نحن. إنهم يرفعون أصواتهم قائلين: إنهم لا يحتاجون إلى الله. «لنقطع قيودهما ولنطرح عنّا ربطهما.» إننا نستطيع أن نسيطر على الأرض!

لكن هناك ضحكة تقاطع هذه المظاهرة. شخص ما يضحك! إنه الله. «الساكن في السموات يضحك. الرّب يستهزيء بهم.» هذا العصيان مضحك وهزلي لدرجة أنه يجعل الله يضحك! ويوجه كلامه إلى هؤلاء الثائرين: انظروا إلى العرش الذي تودون السيطرة عليه. هناك شخص جالس على العرش. ابني جالس عليه. «مسحت ملكي على صهيون جبل قدسي.» ثم يلتفت الله إلى ابنه ويقول: «أنت ابني... اسألني.» ماذا يمكن أن أعطيك ميراثاً لك؟ فيجيب الآب: «فأعطيك الأمم ميراثاً لك وأقاصي الأرض ملكاً لك.»

وهنا أيضاً نسمع الرسالة ذاتها. إنه من الغباء أن يعيش الفرد بعيداً عن الله حتى ولو كان

ملكاً. ماذا يفعل الله؟ إنه يخلق ميراثاً لابنه، وهذا الميراث يتألف من شعوب من كل الأمم.

يوم اللاجيء

ولكن ما هي العبارة التالية التي يوجهها الله إلى ابنه؟ إنه يقول: «تُحطّمهم بقضيب من حديد. مثل إناء خزّاف تُكسّرهم.» ما الذي يتكلم عنه؟ من سينكسر إلى قطع كثيرةٍ؟ إنهم الملوك الذين تمردوا ضدَّ الله. إنه يقول لهم: «أيها الملوك تعقّلوا... قبّلوا الابن لئلا يغضب فتبيدوا...» (مزمور ٢: ٢-٤ ، ٦-١٠ ، ١٢).

منذ أن كُتبت هذه الكلمات، وعلى مدى التاريخ، كان الله يعمل باستمرار بموجب هذا الوعد لابنه. يبني أحد المجتمعات نظاماً ما، ثم بمرور الوقت يُخرج الله خارج حدوده. وعندما يصبح حكم قادة ذلك المجتمع قمعيّاً، فإن الناس يُحرمون فيه من الاستماع إلى الأخبار المباشرة عن الله. وفي مرحلة ما يتدخل الله. وفجأة يزول ذلك النظام القمعي.

هذا بالفعل ما يحدث في جميع أرجاء العالم اليوم. إن الله يحطّم القوى التي تسيطر على حياة الناس، أي الأشياء التي يؤمنون بها، والأشياء التي كانوا دائماً يسعون إليها للحصول على الأمان والاطمئنان. إن الحكومات، والنظم الاقتصادية، والثقافات، والأسواق، والنظم الدينية التي كانت تسيّطر على عقول ونفوس الناس لقرون عديدة أخذت تتحطم وتزول. الايدولوجيات تزول، والناس الذين سيطرت عليهم هذه النظم بدأوا يتحرّرون ليصبحوا جزءاً من ميراث المسيح. والشخص اللاجيء خير مثال لنا.

يقيم أحد أصدقائي كلاجيء في إحدى دول الشرق الأوسط. وطنه الأم هو العراق، لكنه اضطر هو وألوف العراقيين إلى الهجرة إلى تلك الدولة المعينة بحثاً عن مكان آمن يعيشون فيه. صديقي من أتباع المسيح ويقطن في مجتمع مغاير لخلفيته الدينية. وفي السنتين الماضيتين نشر الإنجيل بمساعدة بعض من أصدقائه في خمسة مواقع مختلفة للاجئين. وبدأ الإنجيل ينمو ويثمر بينهم. إن حياةً اللاجئين الخالية من الاستقرار والأمان بالإضافة إلى الوقت المتاح لديهم للتفكير والسعي إلى معرفة الحق جعلتا الأخبار السارة عن المسيح تتأصل في تلك المجتمعات. وهذا ما يحدث في كل أرجاء العالم.

جمع الأجزاء معاً

إن الله «يجمع كلّ شيء في المسيح ما في السموات وما على الأرض» (أفسس ١: ١٠). وكلمة «يجمع» هي الفعل **anakephalaioo** تعبّر عن فكرة جمع الأشياء بعضها إلى بعضٍ لتقديمها ككلّ متكامل. وفي علم البلاغة، تُستخدم هذه الكلمة لتلخيص حجة ما

ولتبيّن كيف تتوافق الأجزاء معاً لدعم الفكرة الرئيسة. وفي علم الرياضيات، يشير هذا الفعل إلي عملية جمع سلسلة من الأعداد ثم كتابة المجموع في أعلى العمود. إن جميع الأجزاء التي تشكل هذا العالم الفوضوي ستتجمع في مكانها المناسب وستصبح الصورة واضحة.

إذاً، لا يزال الله منهمكاً في خلق الأشياء. قال يسوع: "أبي يعمل حتى الآن وأنا أعمل" (يوحنا ٥: ١٧). هذه المرة يخلق الله شعباً أبدياً سيكون أفراده هم مواطنوه وميراثه وأهل بيته وعائلته.

لا مجال للشك في هذه النتيجة. كتب يوحنا بعد انتهاء الرؤية التي رآها "بعد هذا نظرتُ وإذا جمعٌ كثيرٌ لم يستطع أحدٌ أن يعدّه من كلّ الأمم والقبائل والشعوب والألسنة، واقفون أمام العرش وأمام الخروف... وهم يصرخون بصوتٍ عظيم قائلين: الخلاصُ لإلهنا الجالس على العرش وللخروف" (رؤيا ٧: ٩-١٠).

ها هي الجموع الغفيرة! إن هذا المشهد يبدو وكأنه قد حدث فعلاً. إن الله يجمع عائلته الأبدية معاً. ينظر الله اليوم إلى هذه الفوضى ذاتها التي نقلق ونضطرب بشأنها، ويقول: "إن جميع الأجزاء تجتمع معاً. وبالرغم من الفوضى التي يسببها البشر، فإن عملي يتم بحسب البرنامج الموضوع له."

شعب وصليب ـــ وجاك

إذا، ماذا نقول عن جاك؟ إن الله يعمل في العالم، لكن جاك لا يشعر أنه جزء مما يعمله الله. يبدو أن المظهر الرئيسي في حياة غالبية المؤمنين هو التجمّع معاً في الكنائس، وهذا ما يجعل معظمنا مشاركين سلبيين. وهذا الوضع لا يبعث على الراحة في حياة جاك. مشكلته هي أنه هو أيضاً يعيش في "أفسس". إنه يعلم في صميم قلبه أن لديه إدراكاً ومعرفة بالناس الضالين في هذا العالم ـــ لكنه لا يعرف ما ينبغي القيام به تجاه هذه المعرفة. إنه يقضي معظم ساعات يومه في احتكاك مع أشخاص يعيشون نمط حياة يدّمر ذاته. لكنه يشعر وكأنه غريب وأجنبي بينهم. إنه يعيش حياة مجزّأة، قسمٌ منها في الكنيسة، والقسم الآخر في المجتمع. ويشعر أيضاً أنه لا بد من وجود طريقة يجمع بواسطتها هذين العالمين معاً حيث تكون لجميع مجالات حياته ـــ عمله، حياته الاجتماعية، وقت فراغه، وأنشطته المدنية ـــ أهمية ومعنى.

قد لا يستطيع جاك التعبير عن هذا الشعور، لكنه يعلم أن هناك شيئاً كبيراً مفقوداً. إنه ليس مهتماً بإضافة نشاط آخر إلى حياته لأنه فعلاً مشغول جداً. إنه لا يفتش عن برنامج كرازي يساعده على توصيل رسالة الإنجيل إلى أصدقائه، لأن البرامج تبدأ وتنتهي سريعاً.

إنه يفتش عن شيء أعظم من هذا. فهو يحتاج إلى الاشتراك في مقاصد الله على نحو دائم. إنه يتوق إلى أن يعيش حياته بأكملها لمجد الله.

ولهذا السبب كتبنا هذا الكتاب. إننا نرغب في مساعدة الناس، من أمثال جاك، على فهم دعوتهم للاشتراك بما يفعله الله هذه الأيام. نحن نريد أن يرى الناس تحقيق هذه الدعوة في شبكات العلاقات الموجودة أصلاً حيث هم موجودون كمؤثرين. يريد الله أن نعيش في كل مجالات حياتنا اليومية بالتناغم مع مقاصده ولمجده. ونحن نؤمن أن كلاً منّا يمكنه تحقيق هذا الهدف، وليس الموهوبين فقط.

أسئلة للمناقشة

١. من هم غير المؤمنين الذين بإمكانك أن تكون مؤثراً بينهم ـــ من أفراد عائلتك، جيرانك، أصدقائك، زملائك في العمل، وآخرين؟ اكتب أسماءهم والتزم بالصلاة لأجل كلّ واحد منهم.

٢. اقرأ أفسس ١: ٣-١٠ كيف يصف بولس مقاصد الله؟

٣. اقرأ مرقس ١٠: ٤٥؛ لوقا ١٩: ١٠؛ يوحنا ٣: ١٧؛ يوحنا ١٠: ١٠-١١ بالنسبة إلى ما قاله يسوع عن هدفه من المجيء إلى العالم. ما هي الأمور الهامة التي تبرز أمامك بالنسبة لمقاصد يسوع؟

٤. اقرأ يوحنا ١٧: ١٥-٢٣ كيف تلخّص دورنا كما وصفه يسوع؟

٥. اقرأ ١بطرس ٢: ٩-١٢ كيف يصف بطرس وصفنا الوظيفي في العالم؟

٦. بإمكانك كمؤثّر أن تشترك مع الله فيما يفعله في العالم حيث تسكن. المؤثّرون عامل حيوي لإعلان مقاصد الله الخفية.

(أ) أية صفات تحتاج إلى تطويرها، كمؤثّر؟
(ب) ماذا ينبغي عليك أن تفعل؟
(ج) من تحتاج لمساعدتك على القيام بهذه الأشياء؟
(د) ما هي المخاوف أو التحفظات التي لديك بشأن الاشتراك مع الله بما يفعله في العالم؟

٧. فكّر بالشهر الماضي. كم من الوقت صرفت للتعرّف على غير المؤمنين الذين وضعك الله بينهم وعلى الاتصال بهم؟ صلّ لكي ترى كيف وضعك الله كمؤثّر في موقع فريد. اسأل الله أن يساعدك في التغلّب على أية مخاوف أو عقبات، مثل الانشغال.

الفصل الثاني

الدعوة إلى ملكوت الله

****

الله يعمل ويخلق أموراً جديدة باستمرار. يعتقد البعض منّا أن الله فرغ من هذا العمل عندما أعلن أنه قد انتهى من عملية الخلق. وعندما أنهى الله عمله، ألم يعلن يوم السبت يوماً يرتاح فيه؟ ارتاح الله من ذلك العمل، لكن من الواضح أن هناك عملية خلق أخرى تحدث الآن! ماذا يفعل الله الآن؟ ليس لدينا إلا أجزاء من الصورة الشاملة، لكن الله أعلن لنا ما فيه الكفاية لنفهم مقاصده. إنه يخلق شعباً، شعباً أبدياً. إنه يجمع هذا الشعب من كل أمة ومن كلّ جيل ليقدمه إلى ابنه ''كعروس مزيّنة لرجلها'' (رؤيا ٢: ٢١). يا لها من استعارة لغوية رائعة لوصف عمل أكثر روعة.

تصف لنا استعارات لغوية أخرى هذا الشعب الذي يجمعه الله وتكشف لنا عن خصائصه. إنه يُدعى ''ميراثاً'' للمسيح، و''رعية'' مع القديسين، و''أهل بيت الله'' و''مسكناً لله'' (مزمور ٢: ٨؛ أفسس ٢: ١٩، ٢٢). تشير جميع هذه الأوصاف إلى علاقة حميمة قوية. هل يقول الله إنه يخلق شعباً يجلس إلى مائدته كأفراد أسرته؟ هل يريدهم فعلاً أن يملكوا معه؟ هذا ما تبدو عليه معاني هذه العبارات. إن الله يخلق شعباً أبدياً!

إذا كان هذا ما يفعله الله، وإذا كان في هذه الأيام يخلق شعباً كهذا، ألا يجب أن نتوقع رؤية علامات تشير إلى هذا العمل حولنا كلّ يوم؟ لكن أين نجد هذه العلامات؟ ما الذي يجب أن نبحث عنه؟ هل نبحث عن استراتيجيات للكرازة العالمية؟ أو عن أعداد ضخمة من الناس ينضمون إلى كنائسنا؟ ليس بالضرورة! لن نرى هذه العلامات إذا كنا نُفتّش عنها في هذه الاتجاهات. علينا أن ندرّب عيوننا لكي نرى ملكوت الله.

ملكوت الله ـــ ما هو؟

إن كلّ من قرأ الكتاب المقدّس عدة مرات يعرف مصطلح ''ملكوت الله''. لكن معظمنا يمر عليه بدون التفكير فيه. نتخيل أن الملكوت شيء سيحدث يوماً ما في المستقبل. ونعرف أن الله سوف يصحح كل الأمور في نهاية المطاف. لكننا نعتقد أن اليوم هو اليوم، وأننا قد تأخرنا ولا يوجد لدينا وقت لاكتساب المعرفة الفلسفية الآن. ولهذا، نحن نفشل في

رؤية ملكوت الله الذي حولنا من كلّ الجوانب، كما نفشل في انتهاز الفرص التي تقدمها لنا حياتنا اليومية لنعيش كمواطني الملكوت ـــ إن كان المسيح فعلاً في داخلنا. "الذي أنقذنا من سلطان الظلمة ونقلنا (في صيغة الماضي) إلى ملكوت ابن محبته" (كولوسي ١: ١٣). بهذا المعنى، نحن انتقلنا إلى ملكوت الله. فالملكوت أتى، وهو في داخلنا بينما نعيش حياتنا اليومية الآن. علينا أن نفهم هذه الحقيقة إذا أردنا كمؤثّرين أن نشترك في هذا العمل الذي يقوم به الله وأن نكون مثمرين فيه.

إن مفهوم ملكوت الله موضوع رئيسي في كلّ أجزاء الكتاب المقدّس، من سفر التكوين إلى سفر الرؤيا. وبينما ينكشف أمامنا العهد القديم، نتعلم بالتدريج عن مجال ملكوت الله وطبيعة مُلكه. تبدأ القصة بالخالق، الله، الذي يفوّض البشر بسلطانه على العالم الطبيعي وجميع خلائقه. وإلى هذا اليوم نقوم بهذه المسؤولية، بسلطانه.

اختبر موسى عملياً سلطان الله عندما وجد نفسه على الجانب الآمن من البحر الأحمر مع جميع الشعب، ورأى جيش فرعون يغرق في البحر. ولكي يتذكر هذه الحادثة، كتب موسى ترنيمة تنتهي بهذه الكلمات: "الرّب يملك إلى الدهر والأبد" (خروج ١٥: ١٨). إن الطبيعة الأبدية لسلطان الله موضوع يتكرر باستمرار في الكتاب المقدّس كله.

يقدّم لنا كتبة المزامير وصفاً إضافياً للملكوت. يبدأ المزمور السابع والتسعون بهذه الكلمات: "الرّب قد ملك فلتبتهج الأرض ولتفرح الجزائر الكثيرة.... العدل والحق قاعدة كرسيه." غالباً ما تُستخدم هذه العبارة "العدل والحق" في الكتاب المقدّس لوصف ملكوت الله. ويمكننا الاعتماد على صحتها. سلطان الله دائماً عادل وهو دائماً حق. إن هذه الحقيقة تبعث على الخوف والطمأنينة في آن واحد. العدل موجود!

استطاع الملك نبوخذ نصر، الملك الوثني، الذي حكم بابل سنة ستمائة قبل الميلاد، أن يتعلم هذا الدرس قبل انقضاء ملكه. وفي سياق هذا الدرس ساهم بطريقة غير مباشرة في إفهامنا المزيد عن الملكوت. جعله الله يمرّ باختبار غريب حيث عاش كرجل مجنون لمدة سبع سنوات لكي يجذب انتباهه ويجعله متواضعاً. وعندما عاد إلى صوابه، قدّم أوضح وصف للملكوت يمكن أن نجده في الكتاب المقدّس. قال نبوخذ نصر:

"سلطانه سلطان أبديّ، وملكوته إلى دور فدور.
وحُسبَتْ جميعُ سكّان الأرض كلا شيءَ، وهو يفعل
كما يَشاءُ في جند السماء وسكان الأرض، ولا يوجد
من يمنع يده أو يقول له ماذا تفعل" (دانيال ٤: ٣٤-٣٥).

أدرك نبوخذ نصر طبيعة ملكوت الله ــ أي أنه لم يكن هناك وقت على الإطلاق توقف فيه بناء ملكوت الله، فهو دائماً موجود، وسيظل موجوداً إلى الأبد.

ولأن هذا الموضوع مذكور بشكل واضح ومتكرر في العهد القديم، فعلينا ألاّ نستغرب أن يكون ملكوت الله موضوعاً مركزياً في تعاليم يسوع. في بداية خدمة يسوع، قال متى: "من ذلك الزمان ابتدأ يسوع يكرز ويقول توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات" (متى ٤: ١٧). ويشير متى إلى الملكوت خمسين مرة تقريباً في إنجيله، ويتبع كتّاب الأناجيل الأخرى مثاله.

ومع ذلك، يبدو أنه لا أحد في أيام يسوع قد فهم الكثير عمّا كان يتحدث عنه. أصغى الناس إلى كلماته، ونظروا حولهم، لكنهم لم يتمكنوا من رؤية أي شيء يشبه الملكوت بالنسبة إليهم. لكن الكتاب المقدّس يؤكد بالفعل أن الملكوت قد أتى، وأنه كان بينهم.

إن السؤال الأخير الذي طرحه الرسل على يسوع قبل صعوده إلى السماء مثال جيد على هذا الالتباس. سألوه قائلين: "يا ربّ، هل في هذا الوقت تردّ الملك إلى إسرائيل؟" (أعمال الرسل ١: ٦). لم يتمكن التلاميذ من رؤية الملكوت لأنهم كانوا يبحثون عن شيء آخر. لم يستطيعوا التعرّف على الملكوت مطلقاً لأنهم كانوا يبحثون عن نظام سياسي وحل سياسي للفوضى الاجتماعية التي كانوا يواجهونها. لم يتعرّفوا على الملكوت مع أن يسوع شرح لهم قائلاً: "لا يأتي ملكوت الله بمراقبة، ولا يقولون هوذا ههنا، أو هوذا هناك! لأن ها ملكوت الله داخلكم" (لوقا ١٧: ٢٠-٢١). ولا نزال في هذه الأيام غير قادرين على التعرّف على ملكوت الله للسبب ذاته: إننا نفتش عن الملكوت في الأمكنة الخاطئة.

بحسب يسوع، نرى أن ملكوت الله موجود داخل أناس معيّنين. لن نرى الملكوت في مؤسساتنا الاجتماعية، ولا في منظماتنا، ولا في استراتيجياتنا الكاسحة للكرازة العالمية. إننا نشاهد الملكوت بمراقبة مواطنيه، الذين هم بيننا كبذور مزروعة في حقل. هذه البذور سقطت على الأرض، وماتت، لكنها تبعث حياة جديدة. إنهم مثل الملح على طبق الطعام يعطي نكهة لكل الطعام، أو مثل النافذة المضيئة على هضبة مظلمة يُضيئون الطريق للذين حولهم. إننا نرى الملكوت عندما نلاحظ كيف يعيش أناس معينّون حياتهم اليومية.

في ثقافتنا الراهنة، يُعتبر الشخص غير المعروف آخر شخص يمكن أن تكون له أهمية أو اعتبار. نحن نعيش في عالم يتم تعريف "الجودة" فيه بالحجم، فالشيء "الكبير" جيد، والأكبر أكثر جودة. ونقيس نجاح أي شيء، سواءً كان عملاً تجارياً أو كنيسة، بحجمه أو حجمها، وبالكمية التي نجمعها سواءً كانت مالاً أو أشخاصاً. وفي تقييمنا للأمور، لا نهتم

بالأشخاص إلا إذا كان هناك الكثير منهم في مكان واحد. ونعدّهم لنقرر فيما إذا كان ما يحدث شيئاً هاماً. وننسى أن نتوقف وننظر إلى الشخص الذي بجانبنا، ولهذا لا نتمكن من معرفة الملكوت ـــ مع أنه هنا أمامنا!

كان إيليا نبياً قوياً، ومع ذلك لم يتعرف على الملكوت. كان يشعر بالفشل والإحباط. بعدما واجه الملك آخاب وأنبياءه الأربعمائة من أتباع البعل، شعر بالإجهاد والإنهاك. كان قد فقد رؤياه وأراد أن يموت. فظهر له الله وقال له: "اخرج وقِفْ على ذلك الجبل أمام الله." فذهب إيليا، وهو خائف متسائلاً عمّا ستكون عليه تلك الزيارة أمام الله. أتت أولاً ريح تكسر الصخور، ثم زلزلة، وبعدها نار. وفي كل مرة كان إيليا يقول: "هنا سيظهر الله لي! لا بد أنه موجود في الريح أو الزلزلة أو النار." لكن الله لم يكن موجوداً هناك. وأخيراً بعد كل هذه العروض الرائعة، أتاه صوت منخفض خفيف ـــ كان ذلك هو الله يتحدث إليه بصوت خفيف. تلك كانت مقدمة للطريقة التي بواسطتها ظهر الملك العظيم يسوع بعد سبعمائة سنة (١ملوك ١٩: ١١-١٣).

كيف تعرف الملكوت عندما تراه

ذكر يسوع مثالاً في متى ٢٥ يساعدنا على أن نفهم ما نبحث عنه عندما نراقب مجيء الملكوت. في تلك القصة، نجد ابن الإنسان جالساً على عرشه وجميع شعوب الأرض مجتمعة حوله. ثم يقسمهم إلى مجموعتين. ويدعو الذين في المجموعة الأولى لنيل ميراثهم ـــ الأمكنة التي كان يُعدّها لهم في الملكوت. ويرسل المجموعة الثانية إلى الدينونة. ثم شرح يسوع الفرق بين المجموعتين. قال: "هؤلاء خدموني عندما كنت جوعاناً، وعطشاناً، ومحتاجاً للثياب ولمكان أبيت فيه، وعندما كنت أشعر بالمرض، وعندما كنت محبوساً. لكن المجموعة الثانية لم تفعل هذه الأمور."

لكن لم يتمكن شخص واحد من الضيوف أن يتذكّر أن هذا الملك كان محبوساً أو محتاجاً لأي شيء، ولم يتذكّروا أنهم قاموا بأي عمل من هذه الأعمال لأجله. لذا، سألوه: "متى فعلنا هذه الأشياء لك؟" فأجابهم: "بما أنكم فعلتموه بأحد إخوتي هؤلاء الأصاغر فبي فعلتم" (متى ٢٥: ٤٠). يمكننا أن نرى الملكوت عندما نرى الناس يسلكون بموجب معايير الملكوت، وعندما نجدهم يحبّون الناس الذين حولهم بسبب محبتهم لله.

عندما نتعلّم كيف نراقب ملكوت الله، نستطيع أن نراه في كل مكان. يمكننا أن نراه في شؤون الناس وأعمالهم حولنا.

كان لدى أحد أصدقائي عملٌ تجاريٌّ بحاجة إلى إعادة هيكلته ليضمن له النجاح. كان

عليه أن يخفض عدد الموظفين إلى النصف مع أنه كان يكره اتخاذ هذه الخطوة. لكنه اتخذها بطريقة غير ملائمة. فانزعج الناس وانتابهم الغضب. وبدلاً من نسيان الأمر والتقدّم إلى الأمام، تحدّث صديقي مع كل فرد منهم معترفاً بالخطأ الذي ارتكبه وبإدراكه للألم الذي شعروا به. لقد قام بهذا العمل لأنه كان يريد أن يدير أعماله بموجب معايير المسيح.

عانت امرأة من إجراءات الطلاق فوجدت نفسها وحيدة ومسؤولة عن تربية طفلها الصغير. واضطرت إلى التخلي عن عملها لكي ترعى ابنها. هذا النوع من الخسارة يولّد السخط والغضب. ولكن بعد سنتين كان الفرح يغمر حياتها، وأخذت تقدم الشكر لله. لقد التجأت إلى الله في خضم ألمها بدلاً من اللجوء إلى ذكائها لتحسين حياتها المحطمة.

تعافت إحدى السيدات من عملية استئصال الثدي بعد أشهر من العلاج الكيميائي وأسابيع من العلاج بالأشعة. لقد تغلّبت على الخوف والألم وصرفت سنة وهي تتشفع بالصلاة لأجل أولادها ولأجل الآخرين. وهكذا، بدلاً من أن تلوم الله وتستسلم لمشاعر رثاء النفس، أثمرت في حياة الكثيرين مع أنها كانت مريضة وحالتها ميؤوس منها. إن رجاءها بالملكوت الراسخ شجّعها وقوّاها.

أنا متزوج بامرأة لديها إحساس مرهف تجاه احتياجات الآخرين. وهي تلاحظ هذه الاحتياجات حتى قبلاً أن يدرك الشخص وجودها. ثم تقوم بسدّ هذه الاحتياجات حالاً. إنها تخدم الناس لأن هذه هي الطريقة التي سلكها يسوع المسيح.

جميعنا نعرف أشخاصاً عانوا من الطلاق، أو اضطروا إلى تخفيض عدد الموظفين في شركاتهم، ومئات من الناس يُصابون بالسرطان كل يوم. نحن محاطون بأشخاص لديهم احتياجات. واعتدنا على رؤية هذه الحالات لدرجة أننا نتقبّل السخط والغضب ورثاء النفس على أنها مشاعر اعتيادية تمثّل ردود أفعال الناس. لكننا نعرف أن الملكوت بيننا في كل مرة نرى فيها الناس يظهرون الرحمة بدلاً من الدينونة، ويتكلّمون بالصدق بدلاً من الكذب، ويظهرون النعمة بدلاً من الانتقام، ويخدمون الناس بدلاً من استغلالهم، يدفعهم إلى ذلك سيادة المسيح على قلوبهم.

عندما نرى هذه الأعمال حولنا، نعلم أن سلطان الله قد ترسّخ في القلوب. إنه الآن في قلوب الناس، لكننا لا نرى إلا علاماته. هذه العلامات هي عرض تمهيدي لليوم الذي فيه "تجثو باسم يسوع كلّ ركبة... ويعترف كلّ لسانٍ أن يسوع المسيح هو ربٌّ" (فيلبي ٢: ١٠-١١). كثيرون سوف يجثون منهزمين، وآخرون محتفلين.

جماعـــة الملكوت

إن حياة فرد واحد يعيش بموجب سلطان المسيح تصبح شهادة قوية وفعّالة. لكن المشكّك سوف يستهين بها ويشكّك في مصداقيتها. إنه يتجاهلها ويعتبرها عملية تحويل وتغيير، ويقول: ''هذه المرأة وُلدت وفي طبيعتها حب رعاية الآخرين.'' لكن عندما يعيش مواطنو الملكوت حياتهم معاً، ويحبّون بعضهم بعضاً، يصبح الأمر مختلفاً. إن هذه الجماعة ـــ سواء كانت عائلة أو بضعة مؤمنين في أحد الأحياء، أو مجموعة من رجال الأعمال، أو رعية إحدى الكنائس ـــ ستقدم برهاناً مقنعاً للعالم الذي يراقبها بأن الملكوت هو بالفعل بينهم. إن رسالة الملكوت ستصبح أكثر قوة ووضوحاً عندما يعيش مواطنو الملكوت بموجب دعوتهم في المجتمع. وعندما يفعلون هذا، سينمو الملكوت.

في كتابه "**نمو المسيحية**"، يستكشف رودني ستارك جواب السؤال الرائع التالي: ''كيف استطاعت حركة مسيحية صغيرة غير معروفة في إحدى زوايا الإمبراطورية الرومانية أن تزيح الوثنية الكلاسيكية وتصبح الدين السائد للحضارة الغربية في قرون قليلة؟'' كان التفسير الذي نتج عن أبحاثه بشكل أساسي هو أن التوسع كان نتيجة إيمان المسيحيين بأن الله يحبهم. لقد قالوا: ''إن كان الله يحب البشرية، فإن المسيحيين لن يكونون مرضيين أمام الله ما لم يحبّوا بعضهم بعضاً.'' وعلى ضوء المناخ الأخلاقي الذي كان سائداً في الإمبراطورية الرومانية، كان ذلك الإيمان يمثّل ثورة كبيرة. فالوثنيون المثقفون كانوا يرفضون الفكرة القائلة إن الآلهة تهتم بكيفية معاملة بعضنا بعضاً، ويعتبرونها فكرة سخيفة. والفلاسفة الكلاسيكيون في ذلك الوقت ''اعتبروا أن الرحمة والرثاء هي مشاعر مَرَضية ـــ نقائص وعيوب في الشخصية ينبغي على جميع العقلانيين أن يتجنبوها.'' لأن الرحمة تعني تقديم العون والإغاثة غير المستحقة، فهي في نظرهم تخالف العدالة. وكان الرثاء عيباً في الشخصية لا يليق بالحكماء، ومبرّراً لدى الذين لم ينضجوا بعد.

كان العالم الروماني يعاني ويئن من كل أنواع البؤس والأعمال الرهيبة وحب الموت العنيف. في الوقت الذي كان فيه المسيحيون يطيعون وصية محبّة بعضهم بعضاً ومحبّة الذين خارج نطاق العائلة، والجماعة المسيحية، والقبيلة، فإنهم كانوا يضعون الأساس الثقافي لبعث حياة جديدة في العالم الروماني. كان المسيحيون يعلّمون المؤمنين الجدد أن يُظهروا الرحمة والعطف تجاه الجميع، وأن يعيشوا لا بموجب ثقافة الإمبراطورية بل بموجب سلطان الله في قلوبهم. كانت معايير ملكوت الله تهيمن عليهم.

ملكوت الله والمؤثِّـــر

لخّص يسوع خدمته بالكلمات التالية: "أنا مجّدتك على الأرض. العمل الذي أعطيتني لأعمل قد أكملتُه" (يوحنا ١٧: ٤). كان هدف يسوع في حياته أن يعلن طبيعة الآب لكل من يراه. هذا هو معنى كلمة "**يمجد**". إنها تعني أن يعكس الإنسان الله وطرقه على الآخرين. ونحن أيضاً نمجد الله بالقيام بأعمالنا بموجب سلطانه في قلوبنا. كما أننا نعلن الله وملكوته بالأشياء الصغيرة التي نقوم بها أكثر من القيام بالأمور العظيمة. بإمكان كل شخص أن يسلك سلوكاً جيداً أمام الآخرين. لكن طبيعة الإنسان تظهر بالمواقف وردود الفعل، بالأشياء التي تحدث بسرعة كبيرة بدون التفكير فيها، وفي وميض الغضب أو الكبرياء. عندما تعلن ردود أفعالنا النعمة والحق، فإننا نسلك بموجب معايير ملكوت الله وليس بموجب طبيعتنا الخاطئة.

بالنسبة لمعاييرنا، تبدو طرق الملكوت ضعيفة، وغير هامة، ولا تستحق الاهتمام بها. فالملكوت يكمن في الصوت الخافت والعمل الصغير الذي نقوم به. ومع ذلك لا يمكن زعزعة الملكوت، ولا يمكننا تسويقه أو نشره بسرعة، لكنه ينمو بقوة. لا نستطيع بناءه، إنما نستطيع قبوله. إنه يدمّر نظم مجتمعنا لأنه يقلب القيّم رأساً على عقب. إنه نمط حياة **المؤثِّر**.

إن العيش بموجب معايير ملكوت الله هنا والآن، عامل أساسي لجلب الثمر كمؤثِّرين. والسبب هو أننا نبذر بذوراً ونعطي فكرة عن طرق الملكوت للذين نقابلهم في الحياة. إننا نقول لهم بأن الأبدي قد غزا الحاضر فعلاً.

أسئلة للمناقشة

١. اقرأ مرقس ٥: ١٨-٢٠؛ يوحنا ٤: ٢٨-٣٠، ٣٩ ماذا طلب يسوع من الأشخاص الذين لم يدْعُهُم لترك عملهم وعائلاتهم؟

٢. ما الأفكار والصور التي تتبادر إلى ذهنك عندما تسمع عبارة "ملكوت الله"؟

٣. في متى ١٣: ٢٤-٤٣ يشرح لنا يسوع كيف نعيش كمواطنين في الملكوت. ويوضّح أيضاً أن الوقت الحاضر ليس الوقت الذي ينبغي أن ننفصل فيه عن العالم. علينا أن نعيش كمواطنين في الملكوت جنباً إلى جنب مع الأشرار. لماذا تعتقد أن الله يريد من الحنطة (نحن) أن تنمو بجانب الزوان (غير المؤمنين)؟

٤. تخيّل أن باستطاعتك أن تعيش بين المؤمنين الأتقياء فقط، منعزلاً كلياً عن الأشرار. كيف تساعدك هذه الحالة على النمو روحياً؟ وكيف تعيق نموك الروحي؟

٥. تخيّل أن أحد زملائك في العمل دعاك لتناول طعام العشاء معه ومع عائلته. كيف يمكنك أن تبدأ بإعلان ملكوت الله لهذه العائلة؟

٦. طُلبَ إليك في الفصل الأول، السؤال الأول، أن تكتب أسماء بعض غير المؤمنين حولك. إن كنت لم تفعل هذا، اكتب الآن أسماء غير المؤمنين الذين تقابلهم في حياتك اليومية، والتزم بالصلاة من أجلهم.

الفصل الثالث

رؤية لأجيال روحية

"الصغير يصيرُ ألفاً والحقيرُ أمّةً قويّةً.
أنا الرَّب في وقته أسرع به" (إشعياء ٦٠: ٢٢).

****

إذا كنا لا ننظر إلى الأمكنة الصحيحة لنرى فيها ملكوت الله، فإننا لن نركّز جهودنا على الأمور الصحيحة أيضاً. ما هو الهدف الذي يجب أن نكرّس حياتنا لأجله؟

تعرّفت على فكرة الأجيال الروحية في الأيام الأولى لإيماني بالمسيح. وهذه الفكرة تشير إلى أن الفرد، عندما يتكاثر، يُصبح جموعاً غفيرة من خلال سلسلة هندسية روحية. كانت هناك قصة رائجة في ذلك الوقت توضّح تلك الفكرة.

قام أحد المواطنين البسطاء في الهند بعمل! به بعث السرور في قلب الملك. ولمكافأته على هذا العمل، عرض عليه الملك أن يلبّي له رغْبة واحدة فقط. فطلب المواطن رُقعة الشطرنج. ثم طلب من الملك أن يضع حبة حنطة واحدة في المربع الأول، ثم يضاعفها إلى حبتين في المربع الثاني، ويضاعفها مرة أخرى إلى أربع حبات في المربع الثالث، وهكذا حتى يكون قد كرّر هذه العملية في كل المربعات الأربعة والستين. اعتقد الملك أن تلك الطلبة كانت سخيفة إلى أن حاول تلبية تلك الرغبة. تقول القصة إن حجم الحنطة كان سيغطي كلّ مساحة الهند وبارتفاع خمسين قدماً. لا أدري من قام بهذه العملية الحسابية، لكنني فهمت ما تعنيه هذه الفكرة.

ثم سمعت مثالاً آخر في ذات الوقت أعطى قوة وزخماً للفكرة. في هذا المثال، نبدأ بمؤمن واحد في العالم. يكرز هذا المؤمن لصديق له بالمسيح، فيصبحان شخصين مؤمنين. ثم يصرفان معاً سنة ينموان بالمسيح. ثم يكرّر كلّ واحد منهما هذه العملية مع صديق آخر. فيصبح هناك أربعة مؤمنين. وبعد سنة أخرى يربح كل واحد منهم صديقاً جديداً للمسيح، وهكذا دواليك. خلال مدة أربع وثلاثين سنة، سيصبح مجموع المؤمنين بالمسيح أكثر من عدد سكان الأرض.

كانت تلك فكرة رائعة استحوذت على مخيلتي. إن فكرة التكاثر الروحي تبيّن كيف يستطيع شخص عادي أن يكون له تأثير عالمي من خلال حياته اليومية العادية. أعجبتني الفكرة وانطلقت أسعى لتحقيقها كجزء من رؤية حياتي. كانت الآية في (٢تيموثاوس ٢: ٢) برهاناً لهذه الفكرة من الكتاب المقدّس. أعطى بولس التعليمات التالية لتيموثاوس: "وما سمعته مني بشهود كثيرين، أودعه أناساً أُمَنَاءَ، يكونون أَكْفَاءً أن يعلّموا آخرين أيضاً." تحتوي هذه الآية على أربعة أجيال: بولس، تيموثاوس، أناساً أمناء، آخرين. لم أتوقف عن التفكير بأن بولس كان يُعلّم تيموثاوس كيفية تطوير قادة تحتاجهم تلك الحركة الناشئة. لم يكن يعطيه إستراتيجية لتلمذة الأمم.

بعدما ابتدأت في سعيي لتطوير أجيال روحية، لم استغرق وقتاً طويلاً لكي أدرك أن تفكيري كان خاطئاً. لم أستطع تنفيذ هذه الفكرة في الحياة الواقعية. عندما فكّرت في الأمر، فهمت السبب. كنت أسعى نحو رؤية مبنية على المنطق وعلى بضعة أمثلة بدلاً من أن تكون مبنية على تعليم الكتاب المقدّس.

لذا، رجعت إلى الكتاب المقدّس. ماذا يقول الكتاب المقدّس عن الأجيال الروحية؟ سألت نفسي: هل يتحدث الكتاب المقدّس عن هذا الموضوع؟ اكتشفت أن الصورة التي يقدمها الكتاب المقدّس أكثر قوة وإقناعاً من الأمثلة. نبّهتني هذه الأمثلة إلى فكرة هامة، لكنها وضعتني على المسار الخاطىء بالنسبة لمفهومي وتوقعاتي.

ماذا يقول الكتاب المقدّس؟

الكتاب المقدّس هو سجلٍ عن الله الذي يبحث عن الناس ويسعى للتواصل معهم، هؤلاء الذين بسبب عصيانهم ضلّوا طريقهم وهم يتجهون نحو الدينونة. إنه يود التواصل مع شعوب من كل الأمم ومن جميع الأجيال. هناك نمط ثابت للطريقة التي يقوم بواسطتها الله بهذا العمل، وهذا النمط يتكرّر من بداية الكتاب المقدّس إلى نهايته.

هناك أحد عشر إصحاحاً في الكتاب المقدّس تتحدث عن قصة خلق الله للعالم، وللبشرية، وسقوطهما في الخطية، وعن تكوين الأمم. إنها إصحاحات رائعة مليئة بالأحداث! ثم يبدأ الإصحاح الثاني عشر عندما يطلب الله رجلاً ويعطيه تعليمات محدّدة عمّا يريده أن يفعل. وبالإضافة إلى هذه التعليمات، أعطى الله ذلك الرجل وعداً محيراً ومفاجئاً. قال الله له: "فأجعَلَكَ أمّةً عظيمةً... وتتبارك فيك جميعُ قبائلِ الأرضِ" (تكوين ١٢: ٢-٣). يا لها من عبارة هامة! كيف ستتبارك قبائل الأرض من خلال حياة هذا الشخص؟

الشخص الذي اختاره الله كان أبرام، الذي أصبح إبراهيم "أباً لجمهورٍ من الأمم"

(تكوين ١٧: ٥). نظر الله إلى أبعد من إبراهيم عبر جميع أجيال المستقبل، إلى ذلك اليوم الذي سيحقق فيه مقاصده لكلّ البشرية من خلال الوفاء بذلك الوعد. كان ذلك الوعد لإبراهيم علامة لبداية شيء جديد. منذ تلك المرحلة أصبحت قصة الكتاب المقدّس مبنية على هذا الوعد، من البداية إلى النهاية.

في أحد الأيام ظهر الله لإسحق، ابن إبراهيم، وقال: "فأكون معك وأباركك... وأفي بالقسم الذي أقسمت لإبراهيم أبيك... وتتبارك في نسلك جميعُ أمم الأرض" (تكوين ٢٦: ٣-٤). في هذه الفقرة، أضاف الله بعداً آخر لهذه الصورة الناشئة. إنّ تحقيق وعد الله للأمم سيبدأ من أجيال اسحق الجسديين. ستأتي البركة إلى الأمم من خلال أولاده.

ويعقوب ابن اسحق، مرَّ باختبار مماثل. ظهر الله له أيضاً وأعطاه رسالة. قال له: "ويكون نسلُك كتراب الأرض... ويتبارك فيك وفي نسلك جميعُ قبائلِ الأرض" (تكوين ٢٨: ١٤). كان ليعقوب اثنا عشر ولداً، فابتدأت الأمة تتكوَّن.

ونتابع القصة ثانية بعد مئات من السنين. في هذه المرحلة، مرّت سبعمائة سنة منذ أن طلب الله من إبراهيم أن يترك وطنه سعياً لتحقيق الوعد. في ذلك الوقت كان أبناء إبراهيم يُدعون "**الإسرائيليين**"، وكان عددهم يتجاوز المليون. لم تكن حياتهم سهلة. لقد قضوا أربعمائة وثلاثين سنة كعبيد، ثم أربعين سنة تائهين في البرية. لكننا نراهم أخيراً يدخلون الأرض التي وعد بها الله آباءهم. كانت فترة العبودية والفترة التي قضوها في البرية بمثابة مدرسة لإعدادهم لما كان الله يقودهم إليه. وها هو موسى قائدهم يعطيهم ملخصاً أخيراً قبل دخولهم حول كيف يجب أن يعيشوا في هذه الأرض عندما يدخلونها.

نجد في صميم هذه التعليمات النمط ذاته في معاملات الله معهم. لا يزال الله ينظر إلى المستقبل في أمم العالم من خلال أجيال بني إسرائيل الذين لم يولدوا بعد. طلب الله من الشعب أن يطيعوا وصاياه: "لكي تتّقي الرَّب إلهَكَ وتحفظ جميع فرائضه ووصاياه... أنتَ وابنُك وابن ابنك كل أيام حياتك، ولكي تطولَ أيّامُكَ... لكي يكوَنَ لك خير" (تثنية ٦: ٢-٣). كان الله مهتماً بخيرهم لأنه يعرف أن الحياة ستكون أفضل للشعب الذي يعيش بموجب شرائعه ووصاياه.

لكن هناك سبباً آخر يبيّن أهمية هذه الطاعة. لم يكن خير بني إسرائيل هو السبب، ولكن لأن عين الله كانت مركّزة على جميع أمم العالم. كان قصده أن يعلن بنو إسرائيل، بالطريقة التي كانوا يعيشون بها، شخص الله واسمه لكل جيرانهم. قال موسى مشيراً إلى الشرائع والوصايا التي أعطاهم الله إياها: "فاحفظوا واعملوا. لأنّ ذلك حِكمتُكم وفِطنتُكم

أمام أعين الشعوب الذين يسمعون كلّ هذه الفرائض، فيقولون هذا الشّعب العظيم إنما هو شعبٌ حكيمٌ وفطنٌ. لأنه أيّ شعبٍ هو عظيمٌ له آلهةٌ قريبةٌ منه كالرّب إلهنا في كلّ أدعيتنا إليه؟" (تثنية ٤: ٦-٧).

بإمكاننا الآن أن ندرك أن هذا الزخم لنشر الأخبار المتعلّقة بالله كان يزداد قوة من جيل إلى جيل. فقد كتب كاتب المزامير:

"أفتحُ بمثل فمي. أذيعُ ألغازاً منذ القدم. التي سمعناها وعرفناها وآباؤنا أخبرونا. لا نُخفي عن بنيهم إلى الجيل الآخر، مُخبرين بتسابيح الرّب وقوّته وعجائبه التي صنع... التي أوصى آباءَنا أن يُعرّفوا بها أبناءَهم، لكي يعلَمَ الجيلُ الآخر. بنون يُولدون فيقومون ويُخبرون أبناءهم" (مزمور ٧٨: ٢-٦).

بينما تتكشف أمامنا القصة، سنرى أن قصد الله كان إعلان نفسه إلى شعوب العالم من خلال أجيالٍ جسدية وروحية معاً، بدءاً من بني إسرائيل. إن التراث الروحي المتراكم الذي أعطاه الله إلى بني إسرائيل، والذي كان يُنقل من جيل إلى جيل آخر، كان يزداد زخماً ليصبح إعلاناً لا يمكن إنكاره عن الله للشعوب الذين حولهم، وبالتالي لشعوب العالم. إن شعوب العالم سترى، وتفهم، وتعترف بالله.

الملك داود ــ ميراثه وتراثه

كان تاريخ الملك داود الشخصي مثالاً على قوة هذا الميراث الروحي الذي كان ينتقل من جيل إلى جيل. في الوقت الذي كان القضاة يقودون فيه إسرائيل، ترمّلت إحدى النساء الإسرائيليات بينما كانت تعيش في موآب. كان اسمها نعمي. كان ولداها اللذان تزوجا امرأتين من موآب قد توفيا بعد وقت قصير من وفاة والدهما. قرّرت نعمي أن ترجع إلى شعبها بسبب فقرها، وشجعت كنّتيها على العودة إلى شعبهما. لكن إحدى الكنتين، راعوث، أصرّت على البقاء مع نعمي، فعادتا إلى مسقط رأس نعمي مدينة بيت لحم. ونحن نعلم جميعاً التفسير الذي برّرت به راعوث قرارها. وعادةً ما نسمع هذا القرار في احتفالات الزواج. قالت راعوث: "لأنه حيثما ذهبتِ أذهب وحيثما بتِّ أبيت. شعبك شعبي وإلهك إلهي" (راعوث ١: ١٦).

وفي بيت لحم، تزوجت راعوث بوعز، وهو رجل لا غبار عليه. ثم أطلقا اسم عوبيد على ابنهما. وعوبيد هو أبو يسىّ، والد داود. احتاج الأساس الذي بنى داود عليه حياته إلى

ثلاثة أجيال من الحياة التقية. ولذا، كانت لداود بداية مُبكِّرة في تشكيل إيمانه وشخصيته. وقد كان بحاجة لهذه البداية.

أعطى الله داود، كما أعطى إبراهيم، وعداً محورياً بالغ الأهمية في معاملات الله مع البشرية. قال الله له: "أنا أخذتُك من المربَض من وراء الغنم لتكون رئيساً على شعبي إسرائيل... أقيمُ بعدَكَ نسلَكَ الذي يخرج من أحشائك وأثبّت مملكته... كرسيُّك يكون ثابتاً إلى الأبد" (٢صموئيل ٧: ٨، ١٢، ١٦).

يا له من قول لا يمكن تخيلّه يُقال لشخص ما. فليست هناك مملكة تدوم إلى الأبد! أين مملكة البابليين، واليونانيين، والرومانيين، وشعب المايا والأزتيك، والإيبيريين، والبريطانيين، وجميع الممالك الأخرى؟ إن الممالك الماضية والحاضرة تندثر وتختفي، بعضها بين ليلة وضحاها. لكن مملكة داود لا تزال قائمة. ما هو نوع هذه المملكة وما هي طبيعتها؟

وضّح لنا إشعياء هذا السؤال. فتنبأ قائلاً: "ويخرج قضيبٌ من جذع يَسّى، وينبتُ غصنٌ من أصوله" (إشعياء ١١: ١). إن يَسّى، والد داود، هو الجد الأعلى للمسيا المنتظر. إذاً، عرش داود أبدي لأن الملك الأبدي، يسوع المسيح، وُلد وأتى من تلك السلالة. كان داود مثالاً يشير إلى المسيا. فهذه الوعود والنبوات المتعلقة بعرش داود هي بالحقيقة عن المسيا، يسوع المسيح. إن يسوع هو داود الأبدي الجديد.

شرح الرسول بطرس هذه الحقيقة في أولى عظاته. فقد سرد كيف أن قيامة يسوع من الأموات حقّقت النبوات التي قيلت عن داود. قال بطرس إن داود تنبأ بأن جسده لن يُترك في الهاوية وإنه سيصعد إلى السماء حيث سيجلس عن يمين الله (انظر أعمال الرسل ٢: ٢٤-٣٦؛ مزمور ١٦: ٨-١١). لا شك أن تلك العبارة بدت لغزاً بالنسبة للسامعين لأن كل شخص بينهم كان يعرف أين دُفن جسد داود. طبعاً، كان جسده قد تحلّل خلال تلك القرون. وتلك كانت فكرة بطرس التي سردها. ولذا، استمر بطرس قائلاً إنه لا يمكن أن يكون داود يتحدث عن نفسه! فداود مات، لكن يسوع المسيا لا يزال متربعاً على عرشه.

استخدم الله هذه الأجيال ليعطينا ابنه. ولهذا، خلق سياقاً بواسطته يمكن للكثيرين أن يتوقعوا ويدركوا مجيئه. وهذا ما يقدّم لنا اليوم برهاناً إضافياً منــزّهاً عن الخطأ على أن يسوع كان من أعلن إنه هو.

يسوع يحقق الوعود

لم يتخلّ الله عمّا كان يفعله مع إبراهيم لينتقل إلى عمل آخر عندما أتى ابنه إلى العالم.

لم يغيّر يسوع القصة، إنما كتب فصلها الأخير. إنه تحقيق وعود اللهِ لإبراهيم. شرح بولس هذا الأمر قائلاً: "وأمّا المواعيد فقيلت في إبراهيم وفي نسله. لا يقولُ وفي الأنسال كأنّه عن كثيرين، بل كأنّه عن واحد وفي نسلك الذي هو المسيح" (غلاطية ٣: ١٦). لقد أصبح الأمر يدعو للحيرة! يضيفُ بولس: "اعلموا إذاً أنّ الذين هم من الإيمان أولئك هم بنو إبراهيم" (غلاطية ٣: ٧). ثم يقول أيضاً: "فإن كنتم للمسيح، فأنتم إذاً نسلُ إبراهيم، وحسب الموعد ورثة" (غلاطية ٣: ٢٩). هل أنا، ذلك الشخص العربي المولود في قرية صغيرة، ابن إبراهيم؟ نعم، هذا ما تعنيه الآية.

أصبح من الواضح الآن أن الله لم يكن يفكر فقط بالأجيال الجسدية عندما أعطى تعليماته إلى إسرائيل. إنه كان يقصد تقارب وإلتقاء الأجيال الجسدية مع الروحية منذ البداية. كان الله يفكر في جيلنا هذا عندما أعطى الوعد لإبراهيم. نحن أيضاً أولاد إبراهيم من ثمّ فلنا الحقّ في الحصول على هذه الوعود ذاتها.

بذور وبذور وبذور أخرى

لم يكن من قبيل الصدفة أن يستخدم يسوع باستمرار قصصاً زراعية واستعارات لغوية ليوصّل رسالته لسامعيه. لقد سرد قصصاً عن الكرمة، والحقول، وأنواع مختلفة من التربة، وعن زرع البذور. وتحدّث عن الفعلة الذين يعملون في الحقول وعن سرّ البذرة التي تسقط وتموت لتعطي حياة جديدة. طبعاً كان يتحدث إلى مجتمع زراعي، لكن هناك قصداً آخر. كان يشرح كيف تعمل الأشياء المتعلّقة بملكوت الله في هذا العالم. إن القصص تصف الطرق التي بواسطتها ينمو الملكوت بيننا. وهذه الطرق متناسقة مع كلّ ما رأيناه عن تعامل الله مع الإنسان بينما يوصّل رسالته إلى هذا العالم المتمرد. مرة أخرى نرى أن عملية زرع "بنو الملكوت" الصغيرة وغير الهامة وغير الواضحة تحدث جنباً إلى جنب مع "بنو الشرير" (انظر متى ١٣: ٣٧-٣٩).

الأجيال ويسوع

تخيّل التحدّي الذي كانت تمثّله المهمة التي واجهها يسوع. إنه أتى ليكون حمل الله. ولتحقيق هذا الهدف، كان عليه أن يعيش حياة تعلن الآب لكل من رآه؛ وأن يموت كذبيحة عن كل خطية اقتُرفت وستُقتَرف؛ وأن يغلب الموت؛ ثم يعود إلى الآب بعد أن يكون قد أنهى كل هذه الأعمال. وكان من الضروري أن يقوم بجميع هذه الأعمال بطريقة تساعد كل جيل، من جيله حتى جيلنا والأجيال القادمة، على سماع أخبار ما حققه. كانت ذبيحة المسيح ستصبح بلا جدوى لو أن رسالتها اختفت واندثرت بمرور الوقت.

كيف كان بالإمكان التعامل مع هذا التحدي والتواصل بشأنه؟ بدأ يسوع بدعوة أشخاص قليلين لإتّباعه. ذهبوا معاً من بلدة إلى أخرى حيث كان يسوع يجذب الجماهير الغفيرة من خلال عجائبه وتعليمه. وفي بعضٍ الأحيان، كان يدعو شخصاً ما للانضمام إليه والذهاب معه. لم يستطع الناس تفسير ما كان يفعله يسوع. وهكذا نشأ الجدال حول هويته في كل مكان ذهب إليه.

وعندما ازدادت أعداد الجماهير، اختلطت أهداف بعض الناس الذين تبعوه. إنهم قبلوه كنبيّ، كمعلّم، أو حتى كملك. لكنهم لم يستطيعوا التعامل مع فكرة أنه الإله الأبدي أو قبولها. فأعطاهم يسوع المزيد من الحقائق عن نفسه لكي يمنعهم من خداع نفوسهم، مما اضطر معظمهم إلى التخلي عن إتّباعه لأنهم تضايقوا من تعليمه. من الواضح أن القلة الباقية من الأشخاص العاديين غير المتعلمين كانت أولويته (انظر يوحنا ٦). كان الوقت ثميناً لكنه يمر بسرعة. كان لدى يسوع ثلاث أو أربع سنوات ليحقق كل أهدافه. لكنه يوماً بعد يوم، أعطى هؤلاء الأشخاص القليلين كل اهتمامه. إنه كان يزرع بذوراً للمستقبل.

بذور للمستقبل

قبل القبض عليه، صرف يسوع وقتاً في الصلاة مع أبيه. في تلك الصلاة، المسجلة في "يوحنا ١٧"، راجع يسوع العمل الذي قام به أثناء سنوات خدمته العامة. وفي تلك الصلاة نجد السبب الذي دفعه للقيام بما فعله وما كان يهدف إليه طوال الوقت. من الواضح أن الآب أعطى ابنه مهمة ليعمل على انجازها. قال له يسوع: "أنا مجّدتُك على الأرض. العَمَلَ الذي أعطيتني لأعمل قد أكملتُه" (يوحنا ١٧: ٤). ماذا كان ذلك العمل؟ تابع يسوع قائلاً: "أنا أظهرتُ اسمَكَ للناس الذين أعطيتني من العالم. كانوا لك وأعطيتهم لي، وقد حفظوا كلامَكَ" (يوحنا ١٧: ٦). عن أي أشخاص كان يسوع يتحدّث؟ نجد الجواب في الآية ١٢: "لم يهلك منهم أحدٌ إلاّ ابن الهلاك" مشيراً إلى يهوذا، الذي خانه. كان يسوع يصلّي لأجل الاثني عشر رجلاً الذين كان يُعدُّهم ليذهبوا كرسل إلى العالم كله.

في هذه الصلاة، أعلن يسوع أيضاً ما كان يخططه لهؤلاء الأشخاص في المستقبل. قال:

> "ولست أنا بعد في العالم، وأمّا هؤلاء فهم في العالم...
> لستُ أسألُ أن تأخذَهم من العالم بل أن تحفظهُم
> من الشرير... كما أرسلتني إلى العالم أرسلتهُم أنا
> إلى العالم... ولستُ أسألُ من أجل هؤلاء فقط، بل
> أيضاً من أجل الذين يؤمنون بي بكلامهم... ليؤمن

العالم أنّكَ أرسلتني" (يوحنا ١٧: ١١، ١٥، ١٨، ٢٠-٢١).

كان هؤلاء الأشخاص سيحلّون مكانه ويأخذون دوره.

مرةً أخرى نجد هنا ذات النمط الذي أصبح معروفاً لدينا. أدرك عدد قليل من الأشخاص ما ابتدأ يسوع القيام به. ذهب هؤلاء الأشخاص إلى الأمم إطاعةً لوصية يسوع "وعلّموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتُكم به" (متى ٢٨: ٢٠). لقد كرّروا العمل ذاته الذي فعله معهم. من الواضح أنهم لم يتمكنوا من توصيل الرسالة إلى كلّ شخص. لكن الذين سمعوا وقبلوا رسالتهم، أصبحوا بدورهم حاملين لهذه الرسالة. وهكذا، تتحقق وعود الله لإبراهيم ولداود حول العالم إلى يومنا هذا.

نحن أيضاً جزء من هذه السلالة من الأجيال الروحية. زَرَعنا يسوع في العالم كبذور روحية.

كيف سارت الأمور؟

إن سجّل الأيام الأولى من حياة الكنيسة الأولى في الإصحاحات الأولى من أعمال الرسل يعطينا صورة مختلفة عن الصورة التي كنت أصفها. إن الصورة في أعمال الرسل تبدو مثل انفجار أكثر مما هي تطوّر تدريجي للنمو الزراعي.

تبدأ القصة بمائة وعشرين شخصاً ينتظرون، ويصلّون، ويتحدّثون في إحدى الغرف. هؤلاء كانوا الأشخاص الأساسيين في خدمة يسوع. كان يوم الخمسين في أورشليم، لذا كانت المدينة مليئة بـ "يهود رجال أتقياء من كل أمة تحت السماء" (أعمال ٢: ٥).

عندما حلّ الروح القدس على هؤلاء الأشخاص ليسكن فيهم، كما وعد يسوع، أعطاهم علامة على مجيئه وهي المقدرة على التكلّم بلغات الحجاج الدينيين الذين ملأوا المدينة. عندما اجتمعت الجموع الغفيرة وهي متعجبة ومتسائلة، وقف بطرس في وسطهم وشرح لهم من الكتاب المقدّس ما كان يحدث. كانت النتيجة أن ثلاثة آلاف شخص آمنوا واعتمدوا في ذلك اليوم. كانت تلك مجرد البداية!

ابتدأ أعضاء الكنيسة في الازدياد والتكاثر في الأسابيع والأشهر التالية في الوقت الذي كان فيه الرسل يشرحون بجرأة ما كان يحدث ويشفون الكثيرين في استعراض عظيم لقوة الله. كتب لوقا قائلاً: "وكان الرّب كلّ يومٍ يضم إلى الكنيسة الذين يخلصون" (أعمال الرسل ٢: ٤٧).

حاول قادة اليهود في المدينة أن يضعوا نهاية لهذه الأحداث. فهدّدوا الرسل، واعتقلوهم، وسجنوهم، لكن أعداد شعب الله تكاثرت وازدادت. كان المؤمنون يجتمعون في الهيكل كلّ

يوم ويكسرون الخبز في البيوت. واستطاعوا أن يحوزوا على احترام سكان أورشليم. ونتيجة لذلك "كان مؤمنون ينضمّون للرّب أكثر، جماهير من رجال ونساء" (أعمال ٥: ١٤). حتى أن المعارضة اعترفت "ها أنتم قد ملأتم أورشليم بتعليمكم" (أعمال ٥: ٢٨).

ماذا كنّا نقول عن بدايات صغيرة غير هامة؟ تبدو هذه الأحداث وكأنها بداية كنيسة ضخمة. كيف نوفّق بين هذين المشهدين؟ فكّروا بتكوين هذه الكنيسة الأولى. كانت تتألف من اليهود الأتقياء الذين آمنوا بالمسيح ـــ هؤلاء الأشخاص كانوا في زيارة دينية إلى أورشليم. كان هذا الوقت وقت حصاد. كان وقت يسوع. لا شك أن الكثيرين منهم قد شاهدوا يسوع وسمعوه عندما كان يزور قراهم مع تلاميذه. ولا شك أنه قد شفى بعضهم!

قال يسوع لتلاميذه في إحدى المناسبات: "أنا أرسلتُكم لتحصُدوا ما لم تتعبوا فيه. آخرون تعبوا وأنتم قد دخلتُم على تعبهم" (يوحنا ٤: ٣٨). كان على التلاميذ أن يحصدوا ما قد زرعه الآباء اليهود والأنبياء. عندما ابتدأ الإنجيل ينتشر إلى أبعد من هؤلاء الأشخاص الذين كانوا مجهزين تجهيزاً خاصاً، أخذ معدل النمو ينخفض بدرجة دراماتيكية. غالباً ما نفشل في فهم هذه الحقيقة.

راقبت أشخاصاً يصرفون كلّ وقتهم في الحيرة وهم يحاولون أن يحصلوا على النتائج المذكورة في الإصحاحات الأولى من سفر أعمال الرسل. وعندما يفشلون، يعتقدون أن هناك خطأ ما إمّا بأنفسهم أو بأشخاص آخرين. حتى الرسول بولس لم ير مثيلاً لذلك التجاوب الذي حدث في أورشليم. عندما نفحص نتائج خدمة بولس بدقة، نلاحظ أنه كان عادة يترك وراءه لبنة صغيرة من الأشخاص الذين يضمون بعض العائلات القليلة. وفي بعض الأحيان كان عددهم قليلاً جداً!

نعتقد أحياناً أن هناك طرقاً مختصرة لتوصيل الإنجيل إلى كلّ العالم. ومن الصعب علينا أن نقبل الفكرة القائلة إنه لا توجد طرق مختصرة. ثم نعتقد أنه إن استطعنا أن نخطط بشكل أفضل وأن نقدّم الأموال الكافية، فإننا نقدر أن نحقق هذا الهدف. لكن لا يمكن إنجاز هذا الهدف بهذه الطريقة. نسمع في بعض الأحيان تقارير عن أعداد كبيرة من الذين آمنوا في مكان ما في العالم. ولكننا عندما ندقّق في هذه التقارير، نجد أنه لم يبق إلا القليل أو ربما لا شيء من ذلك الثمر. إن المبدأ التالي دائم وثابت، مع بعض الاستثناءات القليلة: حيث يكون الزرع قليلاً، يكون الحصاد قليلاً.

يقدم رودني ستارك، الذي أشرنا إليه في الفصل السابق، مساهمة رائعة لهذه المناقشة. فهو باحث اجتماعي أجرى بحثاً حول السؤال المتعلّق بنمو الكنيسة خلال القرون الثلاثة الأولى

مستخدماً أدوات مهنته. طبّق ستارك الطرق والوسائل المستخدمة في العلوم الاجتماعية على المواد والبيانات التاريخية في تلك القرون الأولى من نمو الكنيسة.

قدّر ستارك أن العدد الإجمالي للمؤمنين في نهاية القرن الأول لم يتجاوز ٧٥٣٠ مؤمناً. كان ذلك العدد يمثل ٠,٠١٢٦ بالمائة من عدد سكان العالم. كان النمو بالنسبة إليه ثابتاً ومستمراً خلال تلك القرون الثلاثة الأولى، بنسبة ٤٣ بالمائة تقريباً كل عقد من الزمن، أي ٣,١ بالمائة تقريباً كل سنة. لو استمرت نسبة النمو تلك، فسوف تكون كافية لجعل المسيحية هي الديانة السائدة في الإمبراطورية عندما ظهر قسطنطين على مسرح الأحداث في عام ٣١٧. وقال ستارك أيضاً إنه لا توجد أية أدلّة في تاريخ القرون الثلاثة الأولى للكنيسة على انضمام أعداد كبيرة فجائية إلى الكنيسة. ولاحظ قائلاً: "إن المسيحية لم تنمُ بسبب معجزة حدثت في الأماكن العامة... إنها نمت لأن المؤمنين شكّلوا مجتمعاً متماسكاً... إن الوسيلة الرئيسة لنمو الكنيسة كانت الجهود الحثيثة الموحّدة للعدد المتزايد من المؤمنين المسيحيين، الذين كانوا يدعون أصدقاءهم، وأقاربهم، وجيرانهم ليشاركوهم الأخبار السارة." ثم يتابع قائلاً: "إن التحوّل إلى المسيحية كان مبنياً على شبكة من العلاقات الشخصية." عاش المؤمنون مع بعضهم بعضاً كمجتمع واحد، لكنهم حافظوا على علاقتهم بالمجتمع. لم ينغلقوا على أنفسهم أو يعزلوا أنفسهم عن الآخرين.

هل يمكن تطبيق هذا المبدأ في الواقع؟

كان سمير في السنة الثانية من دراسته الجامعية عندما قابلته. ولأنه ترعّرع في قرية ريفية صغيرة، فقد كان في أمسّ الحاجة إلى المساعدة ليشق طريقه كطالب جديد في مدينة كبيرة. كنت قد ابتدأت مع أحد زملائي خدمة روحية بين طلاب الجامعة. التحق سمير في مجموعة لدراسة الكتاب المقدّس، كان يقودها زميلي بعد أن نشأت الصداقة بينهما. بعد مرور سنة قرّر سمير أن يؤمن بالمسيح ويتبعه.

لم تكن الحياة سهلة بالنسبة لسمير. عندما بدأ ينمو في الإيمان، كان عليه أن يتعامل مع الآلام والعادات التي كانت تُعرقل كلّ ما كان يحاول أن يفعله. لكن كلمة الله بدأت تغيّر حياته بمساعدة الروح القدس وزميلي ومجموعة صغيرة من المؤمنين الجدد الآخرين.

كانت لدى سمير رغبة في مشاركة إيمانه مع الآخرين منذ البداية. عاد إلى قريته بعد بضعة شهور من ولادته الجديدة تحدوه رغبة لتوصيل الأخبار السارة إلى إخوانه وأخواته. ثم زار كاهن القرية بسبب حاجته لشركة روحية. بعد ساعات من الحديث، التفت إليه الكاهن وقال: "هل تؤمن حقاً بكلّ هذه الأمور؟" أجاب سمير: "نعم، بالطبع. ألا تؤمن أنت بها؟"

اعترف الكاهن بأنه لم يؤمن بها وأنه موجود في ذلك المكان بسبب التأثير والسلطة التي لمنصبه في المجتمع.

في المرة التالية التي ذهب فيها سمير إلى قريته، زار الكاهن ثانية. في هذه المرة أراه الكاهن كتاباً مقدّساً جديداً كان قد اشتراه لتوه. فبدأ كلاهما بقراءته معاً مثلما فعل زميلي مع سمير. استمرت هذه الجلسات التي كانت تدوم ثلاث ساعات لشهور عديدة. كانت تلك خبرة سمير الأولى في مشاركة إيمانه.

تخرّج سمير من الجامعة وحصل على بكالوريوس في الزراعة. ثم تزوج نادية، وانطلقا معاً لبناء مستقبلهما. مرّت سنوات عديدة منذ ذلك الوقت.

منذ أربعة أشهر تناولت أنا وزوجتي طعام العشاء مع سمير ونادية. كان هذا بعد مرور جيل كامل! كانت بناهما الأربع بعمر سمير عندما التقينا به أول مرة. دُهشنا مما رأيناه. ها هما زوجان مؤمنان يتبعان المسيح في السرّاء والضرّاء. كانا لا يزالان يواجهان الصعاب الشديدة، لكنها كانت أقوى هذه المرة! كان من الصعب على سمير أن يدير عمله بنجاح بسبب معدّل التضخم الذي وصل إلى ٤٠ بالمائة كل شهر. لكنه نجح إلى حدّ ما.

يقطن سمير ونادية حالياً في مدينة صغيرة حيث يعمل كمهندس زراعي. كانا قد تركا وراءهما نواة من المؤمنين الجدد، ولديهما أيضاً أولاد وأحفاد روحيون منتشرون في أمكنة متعددة في دولتهما. إنهما بذرة صالحة.

أيـــن أخطأت؟

رأينا كيف أن الكتاب المقدّس يدعم فكرة أن تعامل الله مع الإنسان هو بموجب مبدأ الأجيال الجسدية والروحية. أين أخطأت إذاً في تلك الأيام الأولى؟

كان خطأي الرئيسي أنني كنت أسعى لتطبيق فكرة الأجيال قبل أن يكون لديّ أساس من الكتاب المقدّس لدعمها. ونتيجة لذلك، انطلقت لأقوم بالخدمة بطريقتي الخاصة. كنت شخصاً يتّصف بالفردية، وكان توقيتي خاطئاً.

الفـــرديـــة

كنت أعتقد أن هذه الأجيال يجب أن تكون لي، أي أنني كنت بحاجة لأربح مؤمنين جدداً وأتلمذهم لأعطي مصداقية لثمري **الخاص بي**. كنت أريد أن أشير إلى بعض الناس وأقول إنهم **أجيالي** الروحية. كنت أتجاهل حقيقة أساسية تتعلق بجسد المسيح. إن الصورة الاستعارية للجسد تفسّر كلّ شيء. لا يستطيع أي عضو بمفرده أن يحقق أي شيء. يحصل

النمو عندما يقوم كل عضو بعمله (انظر أفسس ٤: ١٦). إن هذه الفردية عقيمة لأنها تطلب مجد نفسها.

ترعرعت وأنا أؤمن أن الفردية فضيلة. فأخذت أطبّق هذا المبدأ على حياتي الروحية. كنت لسنوات عديدة أقرأ الكتاب المقدّس بصيغة الشخص الأول المفرد. كلما كانت الآية تقول (you) (أنتم)، كنت أعتبرها تعني **"أنا"**. ثم درست اللغة البرتغالية حيث توجد صيغتان للضمير (you): صيغة الجمع وصيغة المفرد. اكتشفت أن غالبية الفقرات المفضلّة لديّ من الكتاب المقدّس ـــ التي كنت أعتقد أنها تتحدث **"عني"** ـــ كانت في صيغة الجمع، تتحدث **"عنّا"**، جميعاً.

عندما ابتدأت حياتي تتناغم مع هذه الحقيقة، وعندما سمحت لمواهبي وقدراتي أن تعمل مع بعض الإخوة والأخوات الآخرين، ابتدأت في رؤية الثمر الحقيقي في حياتي.

الإطـــار الزمني

الخطأ الثاني الذي ارتكبته كان في التوقيت. فقد كانت لديّ توقعات خاطئة بالنسبة لطول المدة التي يحتاجها جيل روحي ليلد جيلاً آخر. كانت مدة سنة فترة معقولة من الوقت. استطعت أن أحقّق هذا الهدف لأن كلّ شخص تقريباً كنت أكرز له بالإنجيل، كان لديه تراث إنجيلي مؤسس على الكتاب المقدّس، مثل هؤلاء الأشخاص في يوم الخمسين في أعمال الرسل!

لكني انتقلت إلى البرازيل لأكرز لأشخاص لم يمسكوا الكتاب المقدّس أبداً في أياديهم. وجدنا أنه كان علينا أن نمضي السنة الأولى مع هؤلاء الناس ونحن نزرع فكرة أن يسوع هو الله. ثم كنّا بحاجة إلى سنة أخرى حتى نرى بعض الناس يؤمنون بالمسيح ويقرّرون إتبّاعه. وبعد ذلك كان عليهم أن يتعاملوا مع القضايا الأساسية المتعلّقة بالمشاكل الدنيوية في حياتهم الشخصية: زواجهم، أعمالهم، وكلّ ما يتعلق بحياتهم اليومية. كانت جميع هذه القضايا بالطبع تحتاج إلى سنوات أخرى. وبالحقيقة، فإن كثيراً من أصدقائهم ممن كانوا يراقبون حياتهم آمنوا بالمسيح في ذات الوقت. لكن ذلك العمل لم يكن هو التكاثر الروحي، بل كان بمثابة انتشار النار عفوياً. إن خدمة الأجيال الروحية أعمق من ذلك، وهدفها آباء روحيون مسؤولون جدد.

إن وضع الأساس لأجيال جديدة يحتاج إلى وقت. ربما تقول إنه يحتاج إلى وقت طويل. قد يبدو هذا صحيحاً للوهلة الأولى، لكن في نهاية المطاف سوف تتفوق وتسمو الحياة الهادفة، ذات الرؤية البعيدة التي تشمل أجيالاً، على كلّ شيء آخر. وسوف يستمر

تأثيرها وقتاً طويلاً بعد أن تكون حياتنا قد انتهت. ولأن هذه الخدمة قائمة على العلاقات الاجتماعية والعائلية، فإن تأثيرها سوف يمتد بمرور الوقت إلى دوائر ومجالات جديدة بدلاً من أن يتلاشى.

الأجيال والمؤثّـــر

كلما نمت علاقتك مع المسيح، كلما ازدادت رغبتك في رؤية الناس حولك، وخاصة أفراد عائلتك، يحصلون على ذات العطية التي حصلت عليها أنت من الله. لكن غالباً ما تواجه هذه الرغبة بالإحباط لأنها تبدو أحياناً بدون أمل. بالإضافة إلى أننا لا نعرف كيف نستمر في القيام بهذه الخدمة. إن الرؤية لأجيال روحية تفتح لنا طريقاً للتقدّم إلى الأمام. إنها تعني:

١. أن ترى العالم من موقعك الحالي ـــ كمؤثّر في دائرة محدودة لكن بدون حدود. إنها الإدراك بأنه لا حدود للثمر الذي تعطيه حياتنا وتأثيرها على الأجيال القادمة.

٢. السعي لتلمذة أولادنا وإعطاء الأولوية لنقل الميراث الروحي الذي حصلنا عليه نحن إليهم، والالتزام بالرؤية أنهم هم أيضاً سوف ينجزون دعوهم للقيام بذات الخدمة. هذه أعظم عطية يمكن لوالد أن يعطيها لابنه. إنها عطية الحياة والرجاء.

٣. السعي للاستثمار بعمق في حياة أفراد قليلين، والتوقع بأن الله، بمرور الوقت، سوف يضاعف هذا الاستثمار.

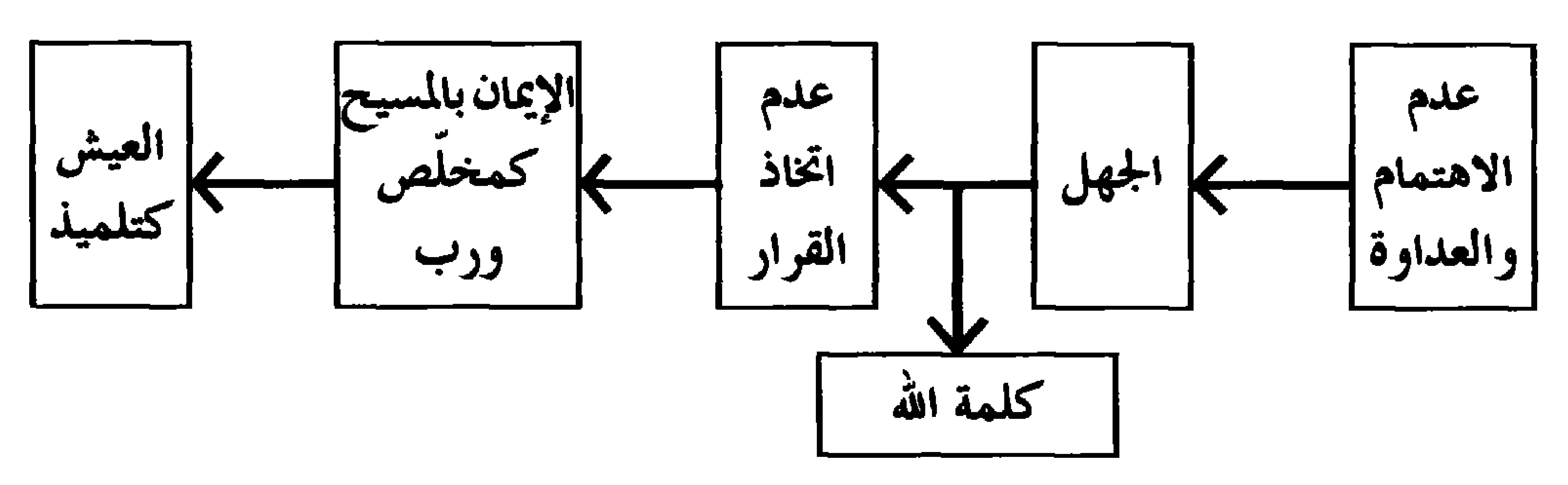
أسئلة للمناقشة

١. اقرأ متى ٥: ١٣-١٦؛ لوقا ٦: ٢٧-٣١؛ ولوقا ١٤: ١٢-١٤. ماذا يعلمنا يسوع عن كيفية تطوير علاقات مع غير المؤمنين حولنا؟

٢. متى كانت لديكِ فرصة في الأسبوع الماضي لتقوم بأحد الأعمال التي ذكرها يسوع في السؤال الأول؟ فكِّر بشكل خاص بموقف مع شخص غير مؤمن.

٣. ما هي إحدى المبادرات الصغيرة التي باستطاعتك أن تقوم بها لتقوية صداقتك مع أحد الأشخاص المذكورين على قائمة غير المؤمنين التي كتبتها في السؤال الأول من الفصل الأول؟ فكر بكيفية مساعدة أحدهم أو دعوته لتناول الطعام معك أو للإصغاء بانتباه إلى ما يقوله. راجع السؤال الأول أعلاه للحصول على بعض الأفكار.

٤. انظر إلى الجدول أدناه الذي يمثّل عملية الكرازة:



٥. راجع قائمتك من السؤال الأول في الفصل الأول. أين مكانة هؤلاء الأشخاص في عملية الكرازة أعلاه والاتجاه نحو الإيمان بالمسيح؟

الفصل الرابع

المؤثّـــــر

****

ما الذي نتحدث عنه إذاً؟

رأينا كيف أن الله قد أشركنا في العمل الذي يقوم به. إنه يخلق شعباً، وهو يعمل من خلالنا لإنجاز هذا العمل. عندما ينضم إليه هؤلاء الناس، يصبحون مواطنين في ملكوت الله. إنهم سوف يظلون هنا بيننا، لكنهم ينتمون إلى مكان آخر. وباستطاعتنا أن نعرف أنهم ليسوا من هذا العالم من الطريقة التي يسلكونها.

إن الله كان ولا يزال وسوف يستمر يجمع هذه العائلة الأبدية الكبيرة معاً لقرون عديدة. وهو يستخدم في أغلب الأحيان سلالة العائلة ـــ من الوالدين إلى الأولاد إلى الأحفاد، ثم إلى الجيران والشعوب المجاورة. تلتقي الأجيال الجسدية والروحية لتعلن سلطان السيد المسيح إلى العالم. وفي نهاية المطاف، ستضم هذه العائلة شعوباً من كل أمة ولسان على هذه الأرض.

عندما ندرك هذه الأمور، يصبح لدينا الإطار اللازم لفهم أهمية **المؤثّر** والدور الحيوي الذي يلعبه هذا الشخص في العمل الذي يقوم به الله. سنتحدث في هذا الفصل عمّا نعنيه **بالمؤثّر** ونناقش الأساس الكتابي لهذا المفهوم.

جسد المسيح في العالم

"جسد المسيح!" إن هذه الاستعارة التي غالباً ما تُستخدم كدلالة على الكنيسة تساعدنا كثيراً على فهم مكانة المؤثّر في العمل الذي يقوم به الله. "وأمّا أنتم فجسد المسيح وأعضاؤه أفراداً" (١كورنثوس ١٢: ٢٧). إن علامة الولادة الروحية في عائلة الله هي دخول الروح القدس إلى حياتنا ليعطينا مواهب متعددة. ولا يُستثنى أي شخص من هذه المواهب. لكل شخص موهبة بحسب مقاصد الله. وهذه المواهب ليست في الحقيقة لمنفعة الشخص الذي حصل عليها. إنها لمنفعة الجسد، "لكل واحد يُعطى إظهار الروح للمنفعة" (١كورنثوس ١٢: ٧). علينا أن نستخدم هذه المواهب جنباً إلى جنب مع قدراتنا وملكاتنا الطبيعية ومواردنا لخدمة عائلة الله والذين حولها. وستكون النتيجة أن الجسد ينمو ويبني نفسه في المحبّة عندما يقوم كل عضو فيه بدوره (انظر أفسس ٤: ١٦). لكل مؤمن

دور في الخدمة. يشير اللاهوت المعاصر إلى هذا المفهوم على أنه "كهنوت جميع المؤمنين".

يميل كثير من المؤمنين إلى الاعتقاد بأن هذه المواهب هي للاستخدام ضمن الجسد الواحد. لكنها أوسع من ذلك، لأن القضايا التي يتعامل معها شعب الله عميقة ومتشعبة. نحن **جسد** المسيح. إننا وسيلة الله لنقل رسالته إلى العالم اليوم. علينا أن نستخدم ما لدينا ضمن عائلة الله وفي مجتمعنا، أي بين الناس المحيطين بنا. لقد وضّح يسوع هذه الحقيقة من خلال تعاليمه ونمط حياته.

تعاليم يسوع

افترض الرّب يسوع أننا مؤثّرون. عند قراءتك للأناجيل، لاحظ قيمة ما يقوله يسوع عن علاقتنا مع غير المؤمنين من حولنا. شرح يسوع مهمته بهذه الجملة البسيطة، "لأن ابن الإنسان قد جاء ليطلب ويخلّص ما قد هلك" (لوقا ١٩: ١٠). من البداية أكّد يسوع مراراً بأن شعبه يجب أن يشترك معه في تحقيق هذه المهمة. في اعتقادك ما الذي كان يعنيه يسوع عندما استخدم هذه الاستعارات: "أنتم ملحُ الأرض"، و"أنتم نورُ العالم" (متى ٥: ١٣-١٤)؟ لقد استخدم يسوع هذه الصور ليؤكد أن المؤمنين متميّزون ومرئيون. إنه يقول: "دعوني أخبركم لماذا أنتم في العالم. أنتم في موقعكم لتكونوا ملحاً يعطي نكهة إلهية لسكان الأرض. فإن فقدتم ملوحتكم، كيف سيتذوق الناس طعم القداسة؟ وعليكم أن تكونوا نوراً يضيء ألوان الله في العالم. الله ليس سراً نحتفظ به. علينا أن نكون مرئيين أمام الناس مثل مدينة على جبل". ثم يلّخص كلامه، "فليُضيء نورُكم هكذا قدّام النّاس، لكي يروا أعمالَكم الحسنة، ويمجّدوا أباكم الذي في السموات" (متى ٥: ١٦). إننا موجودون في العالم لنعلن المسيح للعالم. وهو يطلب منّا أن نحقق هذا الهدف.

ثم يتابع يسوع فيقول إن هناك أشياء أخرى علينا أن نخفيها. إنه يقول: "احترزوا من أن تصنعوا صدقَتَكم قدّام الناس لكي ينظروكم" (متى ٦: ١). إنه يتحدث عن العطاء، والصلاة، والصوم. في كلّ عمل من هذه الأعمال، يقول يسوع الشيء ذاته: افعلوا هذا، لكن لا تسمحوا لأي شخص أن يراكم تقومون به. لماذا؟ السبب هو أنه كان هناك أشخاص بين الجموع التي كانت تستمع إليه يقضون وقتهم بالتنقل من نشاط ديني إلى نشاط آخر. كانوا يتخيلون أنهم بهذا العمل يحصلون على "درجات متميزة تؤهلهم" للذهاب إلى السماء. كانوا يسعون لأن يعرف كل شخص حولهم كم هم أتقياء. لكن الناس في المجتمع كانوا يصابون بالخوف والاشمئزاز من سلوك هؤلاء الأشخاص. كان يسوع يجابه ويوبّخ هؤلاء الأشخاص لأنهم كانوا يسيئون إلى سمعة الله.

سوف يراقبنا الناس دائماً. سيراقبون ما نفعله وما لا نفعله، وبناءً على ما يشاهدون سوف يقرّرون إن كانوا مهتمين برسالتنا أم لا. هل نعتقد أن غير المؤمنين يريدون أن يقضوا حياهم وهم يصلّون ويصومون ويعطون من أموالهم؟ إننا لا نريد أن يرى الناس أنشطتنا الدينية، لكن عليهم أن يروا النعمة و الرحمة اللتين تنبعان من محبة الله.

الأناجيل مليئة بإرشادات مثل هذه. يطلب إلينا يسوع مراراً وتكراراً أن نسلك كمؤمنين أمام الناس الذين نلاقيهم كل يوم والذين نعيش بينهم **كمؤثّرين**. إنه يحثّنا على أن نحب أعداءنا (انظر متى ٥: ٤٤)، وأن نستضيف المحتاجين إليه (انظر لوقا١٤: ١٣-١٤)، وأن نحب قريبنا كأنفسنا (انظر متى ٢٢: ٣٩).

سمعنا جميعاً الفكرة الشائعة التي تقول: أنه عندما يطلب يسوع من شخص ما أن يتبعه، على ذلك الشخص أن يترك كلّ شيء ويتبعه. وتقول هذه الفكرة أيضاً أنك إن كنت جاداً بالنسبة لإتبّاع المسيح، عليك أن تهيىء نفسك لتكون قسيساً أو مُرسلاً. لقد طلب يسوع من اثني عشر شخصاً أن يتركوا ما كانوا يفعلونه وقال لاثنين منهما: "هلمّ ورائي فأجعلكما تصيران صيّادي النّاس" (مرقس ١: ١٧). فتركا شباكهما وتبعاه.

ولكن ماذا قال لبقية تابعيه؟ كانت تعليماته لهم عكس ما قاله للاثني عشر. بعدما شفى يسوع الرجل الذي كانت تسكنه الأرواح النجسة، قال له: "اذهب إلى بيتك وإلى أهلك، وأخبرهم كم صَنَعَ الرَّب بك ورحَمَكَ" (مرقس ٥: ١٩). إننا نعتقد أن فكرة ترك كل شيء لإتبّاع يسوع أكثر رومانسية من فكرة اصطحاب يسوع معنا إلى البيت. لكن القاعدة هي أننا مدعوون لإتبّاعه والعودة إلى مجتمعاتنا الخاصة بنا. إن هذا الكتاب يتطرق إلى ما تعنيه هذه العملية.

يُقدّم لنا أحد الأمثلة التي أعطاها يسوع صورة موجزة عن مكانة شعب الله في العالم. إنه مَثَلُ الحنطة والزوان (انظر متى ١٣: ٢٤-٣٠ ، ٣٦-٤٣). تدور القصة حول مزارع، زرع زرعاً جيداً في حقله. ثم جاء عدوّه في الليل، وزرع زواناً في ذات الحقل. فسأل عبيد ربّ البيت: "ماذا يجب أن نفعلَ الآن؟ هل نحاول أن نفصل الحنطة عن الزوان، أو ماذا نفعل؟" كانت تعليمات ربُّ البيت "دعوهما ينميان كلاهما معاً". ستتم معالجة هذا الأمر في نهاية العالم. كان يسوع يؤكّد على الفكرة التالية: إن مكان أبناء الملكوت الآن (الحنطة) هو في العالم جنباً إلى جنب مع أبناء الشرير. علينا أن نعيش ونسلك بموجب مبادىء ملكوت الله في هذا العالم الهالك.

نمـــط حياة يسوع

لقد بيّن يسوع هذه الأفكار التي ذكرناها للتو في نمط حياته والطريقة التي عاش بها. فضح سلوكه حياة الكثيرين: "فتذمّر الفريسيون والكتبة قائلين هذا يقبلُ خطاةً ويأكلُ معهُم" (لوقا ١٥: ٢). إن الصورة التي أراد يسوع أن يكون عليها نمط حياتنا في هذا العالم، أظهرها بالطريقة التي عاش بها. كانت لديه سمعة أنه كان صديقاً قريباً من بعض الهالكين.

عندما اختار يسوع لاوي ليكون واحداً من الاثني عشر، لا شك أنه أثار استغراب وحيرة العديد من الناس. كان لاوي عشّاراً، شخصاً يهودياً يجمع الإيرادات للرومان. كانت سمعة العشّارين تتّصف بالفساد، وكان من الأفضل الابتعاد عن هؤلاء الأشخاص. وإذا أراد شخص أن يُطلق لقباً مهيناً على شخص آخر، كان يدعوه بالعشّار.

لكن بعدما دعاه يسوع، أقام لاوي حفلاً كبيراً في بيته دعا إليه أصدقاءه القدامى. كان ضيوفه البارزون يسوع والتلاميذ الآخرين. كان ذلك الحفل حدثاً هاماً رئيسياً، بمثابة وليمة أو حفل استقبال. أنا أفترض أنه نظّم هذا الحفل بسبب اهتمامه بأصدقائه القدامى، الذين أرادهم أن يقابلوا يسوع أيضاً.

كان هؤلاء الضيوف جمعاً صاخباً. يسرد مرقس هذه الحادثة قائلاً: "وأمّا الكتبة والفريسيون فلمّا رأوه يأكل مع العشّارين والخطاة، قالوا لتلاميذه ما بالهُ يأكلُ ويشربُ مع العشّارين والخطاة" (مرقس٢: ١٦). لقد أزعجهم سلوك يسوع وأثار استياءهم. بالطبع، قلْ لي من تصاحب، أقول لك من أنت. وها هو يسوع جالس بطمأنينة يأكل مع الخطاة! لا شك أن شيئاً مشتركاً كان بينه وبينهم. هذه هي النتيجة المنطقية الوحيدة. في تلك الثقافة، كان تناول الطعام مع الآخرين تعبيراً عن *koinonia* التي نترجمها "شركة" أو "شيئاً مشتركاً". إن تناول الطعام مع شخص آخر كان عملاً يشير إلى الاقتران بذلك الشخص.

لقد عرف يسوع، الإنسان الكامل، كيف يجعل أسوأ الناس، مرتاحاً في صحبته.

المؤثّـــر في الرسائل

إن الفكرة ذاتها منتشرة في الرسائل كلها. وتحتوي هذه الرسائل تعليمات تتعلّق بكيفية السلوك بين الناس الذين نقابلهم يومياً. مثال على ذلك، يستخدم بولس في رسالته إلى المؤمنين في فيلبي، الاستعارة ذاتها التي استخدمها يسوع: "افعلوا كلّ شيء بلا دمدمة ولا مجادلة، لكي تكونوا بلا لوم، وبسطاءَ، أولاداً لله بلا عيب في وسط جيلٍ معوّج وملتوٍ، تُضيئون بينهم كأنوارٍ في العالَم. متمسّكين بكلمة الحياة" (فيلبي ٢: ١٤-١٦).

أدرك بولس وفريقه أن بإمكانهم أن يزرعوا بذرة الإنجيل في مدينة ما، لكن لم يكن لديهم أمل في نشرها في وسط ذلك المجتمع. فقد أتوا إلى المدينة كأشخاص **من الخارج**. كان بإمكانهم الكرازة إلى عدد قليل من الناس. لكن أولئك الذين ربحوهم للمسيح كان عليهم بدورهم نقل رسالة الإنجيل إلى شبكة علاقاتهم. ولذا، فقد كانت تعليمات بولس لهم بأن يعيشوا بلا لوم "متمسّكين بكلمة الحياة" بالغة الأهمية. كان نجاح جهود الرسول بولس أو فشلها يعتمد على تجاوب المؤمنين مع ذلك التحدي. ولذا، يتابع بولس قائلاً: "لافتخاري في يوم المسيح، بأني لم أسعَ باطلاً ولا تعبتُ باطلاً" (فيلبي ٢: ١٦).

كان الجيل الأول من المؤمنين في مدينة كورنثوس مُعدمين ومحتاجين. عالج بولس في رسالته الأولى إليهم بعض مشاكلهم. كانوا يتخاصمون مع بعضهم البعض؛ وكان بينهم حسد، وكبرياء، وزنى، ودعاوى في المحاكم، وأمور أخرى. بدون شك، إن حقيقة كونهم محاطين بالهياكل الوثنية، وعبادة الأصنام، والزنى بأنواعه المتعددة تُفسّر وجود هذه المشاكل بينهم. إن الإنجيل ليس عصا سحرية تجعل خطايانا وآثامنا تختفي وتزول بين ليلة وضحاها. إنه يحررنا منها، خطوة خطوة، بينما نسير خاضعين للروح القدس.

من الواضح أن بعض المؤمنين في كورنثوس كانوا يحاولون تسوية مشكلاتهم بتغيير أوضاعهم. الزوج المؤمن ـــ الذي كانت زوجته تزاول طقوسها الدينية أمام آلهتها يومياً ـــ كان يتضايق من هذه الحالة فيقرّر هجر زوجته ـــ أو الزوجة المؤمنة التي كانت تجد نفسها في صراع شديد لأن زوجها غير المؤمن كان لا يزال يذهب إلى الهيكل ويمارس الزنى فيه، فتقرّر هجره. إلى هؤلاء كتب بولس: "إن كان أخٌ له امرأةٌ غير مؤمنة، وهي ترضى أن تسكن معه، فلا يترُكْها. والمرأة التي لها رجلٌ غير مؤمن، وهو يرتضي أن يسكن معها، فلا تترُكْهُ". لماذا؟ يقول بولس إن هذا الرجل والمرأة لديهما أولاد، و"كيف تعلمين أيتها المرأة، هل تُخلّصين الرجل؟ أو كيف تعلم أيها الرّجل، هل تُخلّص المرأة؟" ثم يبدي بولس هذه الملاحظة التي تبعث على الاستغراب: "كما قَسَمَ الله لكلّ واحد، كما دعا الرّب كلّ واحد، هكذا ليسلُك". يقول بولس إنه يجب أن ننظر إلى زوجاتنا وأولادنا وعائلاتنا كجزء من دعوتنا.

يتابع بولس الحديث عن هويتنا الاجتماعية: "دُعيَ أحدٌ وهو مختونٌ، (يهودي) فلا يَصِرْ أغلف. دُعيَ أحدٌ في الغُرلة، (أممي) فلا يَختَتن." ابقَ في الوضع الذي أنت فيه. ثم يكرّر بولس هذه العبارة مرة ثانيةً قائلاً: "الدعوة التي دُعيَ فيها كلّ واحد فليلبث فيها." هذا يعني أنه لا ينبغي عليك أن تغيّر هويتك الاجتماعية بدون ضرورة عندما تؤمن بالمسيح. إن الله له مقاصد وأهداف لك حيث أنت.

ثم ينتقل بولس إلى موضوع العمل: "دُعيت وأنت عبدٌ فلا يهمّك. بل وإن استطعت أن تصيرَ حراً فاستعملها بالحريّ". لكنكم قد اشتريتم بثمن. أنتم أحرار. ثم يكرّر بولس للمرة الثالثة العبارة ذاتها: "ما دُعيَ كلّ واحد فيه أيّها الإخوة فليلبث في ذلك مع الله" (١كورنثوس ٧: ١٢-١٣، ١٦-١٨، ٢٠-٢١، ٢٤).

هل تفتش عن دعوتك متسائلاً ما الذي يريدك الله أن تفعله؟ يقول بولس: افتح عينيك وانظر! أنت محاط بالناس. لقد صرفت ثلاثين عاماً وأنت تبني علاقات مع عائلتك، ومجتمعك، وزملائك في العمل. بعض هذه العلاقات جيدة وبعضها سيئة، ولكن هناك احتمالاً أن تكتسب كلها معنى جديداً طالما أنت الآن مواطن في ملكوت الله. عشْ واسلك بموجب هذه المواطنة ــ "متمسكين بكلمة الحياة" ضمن هذا العالم الفريد الذي تقطن فيه. هذا ما يعنيه كونك **مؤثّراً**.

لكن غالباً ما يصبح نقيض هذا المبدأ هو القاعدة. يُدرك المؤمن الجديد ويفهم أنه أصبح الآن فرداً في جماعة المؤمنين، ولذا عليه أن يهجر حياته القديمة. ألا يقول الكتاب المقدّس: "اخرجوا من وسْطهم واعتزلوا... ولا تمسّوا نجساً" (٢كورنثوس ٦: ١٧)؟ ألم يتم تحذيرنا أن "المعاشرات الرّديّة تُفسد الأخلاق الجيّدة" (١كورنثوس ١٥: ٣٣)؟ بموجب هذه الآيات وآيات أخرى من الكتاب المقدّس، يتم تعليم المؤمنين أنه ينبغي ألاّ تكون لديهم صداقات مع غير المؤمنين. إذاً، يوجد توتر في هذا الوضع. من ناحية، علينا أن نبقى في موقعنا حيث نحن عندما نؤمن بالمسيح، ومن ناحية ثانية علينا أن نبتعد عن الأشخاص الذين لهم تأثير سيء علينا. يبدو أن الكتاب المقدّس يتحدث عن كلا الموقفين. إذاً، كيف نحلّ هذه المعضلة؟

التـــوازن المطلـــوب

في أغلب الأحيان يكون التعليم الخاطىء نصف الحقيقة. فنحن نبدأ بفكرة من الكتاب المقدّس ونفسّرها حتى نتوصل إلى نتيجة **غير منطقية**، فنقع في ضلال خادع. قد يكمن الخطأ في التركيز المفرط على جانب واحد من الحقيقة على حساب الجانب الآخر. هذه هي طبيعة الوضع الذي ناقشناه أعلاه. إن كلمة الله التي تتحدث عن حاجة المؤمنين للانفصال عن العالم قد كُتبت بواسطة الشخص ذاته الذي طلب من المؤمنين أن يبقوا في مواقعهم. هل يناقض الرسول بولس نفسه، أم هل يمكن ملاءمة الفكرتين معاً؟

من الواضح، أن كلا الجانبين صائبان ولكن دعونا لا نترك مجالاً للتطرف فيهما. لا يعلّم الرسول بولس أن على الزوجة أن تستمر في علاقة مؤذية مهما ساء حالها. وهو لا يقول أن عليك أن تبقى في صحبة رفاقك إذا ما بدأوا بتعاطي المخدرات. إن بولس يضع أمامنا مبدأً؛

إنه لا يسّن قانوناً. إنه يكتب لأشخاص كانوا يعيشون حياة كئيبة ويواجهون مشكلات لا حلول واضحة لها، من زواج سيء، وظروف عمل صعبة، إلى احترام متدن للذات. إنه يقول لهم ألاّ يقلقوا بشأن تغيير ظروفهم، لأن الله من خلالهم سيوصّل رسالته إلى أمكنة جديدة. كما أنه من خلال حياتهم سيصبح المسيح غير المرئي مرئياً للناس الذين حولهم. لا ضرورة لذهاب الناس إلى مكان آخر أو الانضمام إلى أي شيء لكي يروا المسيح؛ إنهم سيرونه من خلال حياة المؤمنين الجدد.

إذاً، كيف نجد هذا التوازن؟ ينبغي أن نكون حذرين ولا نضع فاصلاً بين "الانفصال" و"البقاء" بالنسبة للأشخاص الآخرين. بل علينا أن نضع فاصلاً لأنفسنا، لا أكثر ولا أقل. عندما أفرض حدودي الشخصية على شخص آخر، أصبح "ناموسياً" (أي متقيداً بالنّاموس). والسبب في هذا هو لأن الانفصال عن العالم، في نهاية المطاف، هو شأن مرتبط بقلب الإنسان بدلاً من إطاعة قوانين وقواعد معينة أو الابتعاد جسدياً عن الآخرين.

قال يسوع عندما صلىّ لأجل تلاميذه: "قدّسهم في حقك. كلامُكَ هو حقّ. كما أرسلتني إلى العالم أرسلتهم أنا إلى العالم. ولأجلهم أقدّس أنا ذاتي، ليكونوا هم أيضاً مقدّسين في الحقّ" (يوحنا ١٧: ١٧-١٩). التقديس ***hagiazo*** معناه "يخصّص أو يُفرَز جانباً لاستخدام مقدّس". لا يفقد الإنسان قداسته أو يكتسبها بتغيير مكانه الجغرافي. القداسة مرتبطة بمن يملك على القلب. على كل فرد أن يقرّر ويحدّد موقفه من القلب أمام الله (انظر رومية ١٤: ١-١٢).

انتبـــه لموقفـــك

كُتبت كتب كثيرة عبر السنين عن أهمية احتفاظ المؤمن بمسافة آمنة بينه وبين العالم. لكن القليل جداً قيل أو كُتب عن الجانب الآخر من هذه القضية ـــ وهو أهمية بقاء المؤمن حيث هو، كمؤثّر من الداخل على مجتمعه. وبالحقيقة، فإنه لا يتم أخذ هذه الاحتمالية بعين الاعتبار أو حتى التفكير فيها. عندما يصبح شخص ما مؤمناً بالمسيح، غالباً ما يتم تشجيعه، بطريق مباشر أو غير مباشر، على القيام بتغييرات جذرية فورية في علاقاته مع الآخرين. وهكذا، عندما يؤمن ذلك الشخص بالمسيح تصبح تلك آخر مرة يراه فيها أصدقاؤه القدامى. وعندما ينسحب ذلك المؤمن الجديد ويبتعد عن أصدقائه، يفقد أحد أفضل امتيازاته، وهو موقعه الممتاز بينهم. إنه يستبدله بموقع يبدو مستحيلاً. وهكذا، فإن الشخص الذي يريده الله أن يكون **مؤثّراً من الداخل** يصبح شخصاً **من الخارج**. ويتم ارتكاب هذا الخطأ مراراً وتكراراً في كل مكان في العالم.

قبل أن يصبح مؤمناً بالمسيح، كان نادر منشغلاً بالسياسة ورياضة كرة القدم. وكان يتمتع بعلاقات فريدة من نوعها تشمل موظفين، ورياضيين، ومسؤولين كبار في الدولة. ولكن بعد سنتين من إيمانه، أصبح منشغلاً جداً بالأنشطة المسيحية لدرجة أنه لم يعد لديه الوقت ليتواجد مع أصدقائه القدامى. لقد انفصل عنهم. لم يقل له أحد حتى أنه كان يرتكب خطأ، وأنه كان عليه أن يقرّر البقاء في موقعه بين أصدقائه غير المؤمنين لكي يستمر في الاهتمام بهم والتواصل معهم.

عندما ينظر نادر إلى حالته الآن، يقول: "خبرتي ليست غير عادية. إن الدور الحيوي الذي يقوم به المؤثّر في عمل الله لا يزال مهمّشاً ولا يُقدّر حق قدره. إن المؤثّرين ليسوا مُرسلين ذوي سيرة رائعة، ولا تُكتب أسماؤهم وتُنشر صورهم على لوحة إعلانات الكنائس. لكنهم عامل أساسي ورئيسي في ما يفعله الله في العالم الآن."

علينا أن نفعل أفضل من هذا! المؤثّر شخص حيوي وأساسي لتحقيق رسالة الكنيسة، لكننا غالباً لا نعيره اهتمامنا. هذا الإهمال امتدّ إلى كل جهودنا في الإرسالية العالمية — النتيجة أننا دفعنا ثمناً باهظاً بسببه. غالباً، ما نقول لكنائسنا بأن المرسلين قد زرعوا حول العالم هذا **الخلل الوراثي** الذي يُسبّب العقم في أولادهم الروحيين. وهذا هو موضوع الفصل التالي.

أسئلة للمناقشة

١. ألقِ نظرة على الفصل الثالث، السؤال الثالث. هل استطعت أن تبادر إلى تنمية علاقة مع شخص غير مؤمن؟ إذا كان جوابك بالإيجاب، ماذا حدث؟ وإذا كان جوابك بالنفي، ما الذي أعاقك؟ ما هي الأفكار والمشاعر التي راودتك عن هذه الخبرة في كلتا الحالتين؟

٢. اقرأ من فضلك فيلبي ٢: ١٤-١٦؛ رومية ١٢: ١٤-٢١؛ ١كورنثوس ٥: ٩-١٣؛ وكولوسي ٤: ٢-٦ ما هي ملاحظاتك على هذه الفقرات؟ ماذا كان يريد بولس أن يراه يحدث في المؤمنين المحليين ومن خلالهم؟ كيف تصف الخدمة المحلية؟

٣. انظر إلى قائمة أصدقائك غير المؤمنين (الفصل الأول، السؤال الأول). ما هي التغييرات التي تعتقد أن عليك إجراءها على برنامجك الشخصي لكي تستطيع أن تصرف وقتاً أكثر مع أحد هؤلاء الأصدقاء؟

الفصل الخامس

دور المؤثّـــر في الإرساليات

****

خلال المئتي سنة الماضية أظهرت الكنيسة الغربية التزامها بوصية المسيح لنشر الأخبار السارة في جميع أمم العالم. واستثمر ألوف من الناس حياتهم بذهابهم كمرسلين إلى ثقافات غريبة، بينما قدّم آخرون كثيرون جداً الأموال اللازمة بسخاء لتحقيق تلك المأمورية. لو استطعنا أن نجمع كلّ هذه الاستثمارات عبر القرون، لاندهشنا جداً من المجموع الإجمالي.

الأبدية فقط سوف تكشف عوائد هذا الاستثمار. وأنا متأكد أننا سنصاب بالحيرة نتيجة كلّ ما فعله الله خلال هذه السنين عن طريق هذا الاستثمار. لكن هناك شيئاً واحداً مؤكداً: كان يمكن أن يكون العائد أعظم بكثير. لأن دور المؤثّر لم يكن جزءاً من **الرمز الوراثي** لكنائسنا التي كانت ترسل المرسلين، فإننا سنجد صعوبة في رؤية هذا الدور في كنائسنا أيضاً، لأن جهودنا المتعلّقة بالإرساليات تعكس ما نحن عليه. في هذه الجهود نرى مواطن القوة ومواطن الضعف فينا. إن عدم إعطاء المرسلين دوراً حقيقياً للمؤثّر كان له كلفة باهظة، وهي عدم نمو الإنجيل في كثير من الأمكنة.

في هذا الفصل سوف نتطرّق بإيجاز إلى كلفة عدم اهتمام المرسلين بالمؤثّر. إننا نحن أيضاً ندفع هذا الثمن في كنائسنا اليوم سواء أدركنا هذه الحقيقة أم لم ندركها.

ركبنا المصعد إلى الطابق السادس في بناية مكوّنة من عشرة طوابق لا يمكن تمييزها عن الأبنية الأخرى الموجودة حولها. كنت في مدينة برشلونة الاسبانية أزور عدداً من الأخصائيين الذين آمنوا بالمسيح عندما كانوا طلاباً، ثم هاجروا إلى المدينة طلباً للعمل. أصبح أحدهم صديقاً لعائلة مُرسلة أمريكية. لكنه سرعان ما أدرك أن تلك العائلة كانت تواجه صعوبات جمة. كانت تلك العائلة قد أمضت خمس سنوات في تلك المدينة وهي تسعى لزرع كنيسة فيها، لكنها بالكاد جلبت ثمراً. كان أفراد العائلة بالطبع يشعرون بالفشل وخيبة الأمل، فاعتقد صديقي أن زيارتنا لتلك العائلة ستكون مفيدة.

وبينما كنا نتناول الشاي في غرفة الجلوس سردت تلك العائلة قصتها. بعدما تعلّموا

اللغة الاسبانية وأصبح بإمكانهم استخدامها، بدأ الأب يذهب من بيت إلى بيت في الحيّ الذي كانوا يسكنون فيه يوزع الكتب المقدّسة والنشرات الدينية الأخرى، ساعياً للكرازة بالإنجيل، وداعياً الناس لحضور اجتماع كنيستهم. لكن بعد سنوات عديدة من القرع على أبواب لا تُحصى لم تُسفر جهودهم عن شيء.

كانت تلك العائلة تعقد خدمة كنسية أيام الآحاد في شقتها. وكانت قد عقدت صداقة مع عائلة أخرى في البناية، وكان أولاد العائلتين يلعبون معاً. كانت الزوجة وأولادها يحضرون اجتماع الكنيسة صباح يوم الأحد. لكن الزوج لم يرغب في المجيء، وأخبرهم أنه لم يكن مهتماً البتة بالأمور الدينية. وفي بعض الأحيان كانت تحضر اجتماع الكنيسة فتاة تسكن في البناية المجاورة. كانت تلك الفتاة بروتستانتية.

بينما كنّا نتحدث لاحظت مجموعة من الطاولات الخشبية الصغيرة التي تُطوى قرب البيانو وكومة من كتب الترانيم عليها. في صباح يوم الأحد، كانوا يرنمون بعض الترانيم، ويصلّون، ثم يستمعون إلى تأمل من إحدى فقرات الكتاب المقدّس. ولأن هدف العائلة كان زرع كنيسة في الحيّ، اعتقدوا منطقياً أنهم بحاجة إلى خدمة عبادة يدعون الناس إليها.

إن العمل المرسلي في اسبانيا هو من أصعب الأمور التي يمكن لأي شخص أن يختار القيام به. إنه يبدو وكأن أربعمئة سنة تقريباً من محاكم التفتيش في التاريخ الاسباني قد أجرت عملية جراحية روحية لأدمغة الناس. فالناس هناك لا يهتمون بالله ولا يفكرون فيه. ربما يجدونه مخيفاً ولا يريدون التفكير فيه. وعلاوة على تلك الصورة، هناك فترة ما بعد الحداثة التي اكتسحت أوروبا وأثّرت سلباً على الكنيسة. الكرازة بالإنجيل ليست سهلة في اسبانيا. لكن هؤلاء المرسلين قد استخدموا أسلوباً كان بحد ذاته عائقاً بقدر ما كان المناخ الروحي هناك.

تجميع الكرات الزجاجية الصغيرة

إن معظم المسيحيين يعتادون على التجمع معاً. ويعرفون ما يتوقعونه عند حضور اجتماع الكنيسة. لكننا ننسى صعوبة هذا العمل بالنسبة لغير المعتادين على الاجتماعات. لا يشعر إلا القليل من الأشخاص بالراحة عندما يتواجدون في غرفة مليئة بأناس من خلفيات متنوّعة لم يقابلوهم من قبل. ويشعر بعضنا بالقلق عندما نجد أنفسنا في أوضاع جديدة حيث لا تكون لدينا إلا معرفة قليلة بالآخرين. **ما الذي سأتحدث عنه؟ هل سيطرح عليّ أحدهم أسئلة محرجة؟** ونكون على يقينٍ بأن كلّ شخصٍ آخر هناك يعرف ما يجري أكثر منّا. من الأسهل إذاً الابتعاد عن الناس.

إن اسبانيا مجتمع قائم على العلاقات. تدور الحياة فيها حول العائلة، والصداقات،

وشبكات العلاقات بين الناس. كانت تلك العائلة المُرسلة تحاول أن تقيم صلات جديدة مع أشخاص جدد كلّ يوم. كانت تطلب من الناس أن يقطعوا مسافة اجتماعية مُحرّمة ليشتركوا في نشاط لا يلقون إليه بالاً. إن هذه الدعوة كانت مثل محاولة تجميع الكرات الزجاجية الصغيرة، أو مثل تجميع الذرات التي تبتعد عن بعضها بشكل طبيعي لتشكيل كتلة هامة.

إن كان المرسلون الذين يهدفون إلى زراعة الكنائس يعملون ويكرزون بموجب خطة تعتمد على تجميع الناس معاً، فإن مفهومهم عن "الكنيسة" يمكن أن يكون من أكبر عوائقهم. فهم سوف يقيسون نجاحهم وتقدّمهم بناءً على عدد الناس الذين نجحوا في تجميعهم في مكان واحد. وسوف يميلون إلى التفكير في الأنشطة والشكليات بدلاً من التفكير في شبكة العلاقات بين الناس. عند ذلك، يصبح كل فرد "شخصاً إضافياً". بموجب هذه الظروف، وحتى لو نجحوا في تكوين رعية في كنيسة ما، ولو كانت رعية كبيرة، فإنهم ربما يدمّرون بذلك الأجيال المستقبلية لتلك المجموعة من المؤمنين. إنهم يتوقّعون أن يقطع الناس صلاتهم وعلاقاتهم بمن حولهم لينضموا إلى كنيستهم. إن هذا الموقف يتطلب عادة تغييراً في هوية هؤلاء الناس، مما يُفسّر من قبل عائلاتهم وأصدقائهم على أنه علامة أخرى على رفضهم لهم. إن احتمالات تكوين جيلٍ ثانٍ تنخفض إلى الصفر.

إذاً، ماذا يجب أن نفعل؟

إن المؤثّر عنصر أساسي ومهم في سعي الله لتوصيل الإنجيل إلى كل الأمم. إن أراد مّرسل هدفه زرع الكنائس أن يرى مؤثرين يكرزون بالإنجيل لعائلاتهم وأصدقائهم، عليه أن يبدأ خدمته بهذه الحقيقة التي تظهر وتتضح لنا من خلال خدمة يسوع والرسل معاً. إن "رجل السلام" هو أحد الأمثلة في خدمة يسوع.

رجل السلام

في إحدى المناسبات اختار يسوع سبعين شخصاً وأرسلهم، اثنين اثنين، أمامه إلى القرى التي كان يخطط لزيارتها. كانت مهمتهم أن يُعدّوا الناس لوصوله. وأعطاهم إرشادات محدّدة جداً حول ما ينبغي أن يقولوه ويفعلوه وما لا ينبغي أن يفعلوه، وما يجب أن يأخذوه معهم في رحلاتهم. أوصاهم ألاّ يحملوا مالاً أو حقيبة معهم. وقال لهم: عندما تصلون إلى بلدة ما، فتشوا عن "رجل السلام" وابقوا معه ومع أهل بيته طوال إقامتكم في البلدة. اقبلوا ضيافتهم وتناولوا طعامهم واقضوا الليلة في بيتهم. لا تنتقلوا من مكان إلى مكان آخر. اصرفوا وقتكم في تعريف الناس بما سيتوقّعونه عندما أصل إلى قراهم. أما بالنسبة إلى مؤهلاتكم، ها أنا أعطيكم سلطاناً لإجراء المعجزات (انظر لوقا ١٠: ١-٩).

فيما بعد، عندما كان يسوع يصل إلى بلدة ما، كان الناس يأتون لمقابلته. وعندما ذهب إلى كفرناحوم "اجتمع كثيرون حتّى لم يعدْ يسعُ ولا ما حول الباب" (مرقس ٢: ٢). وفي مكان آخر "لأنّ القادمين والذاهبين كانوا كثيرين، ولم تتيسّر لهم فرصةٌ للأكل" (مرقس ٦: ٣١). كان يسوع يزرع بشكل واسع في تلك الأيام لكنه لم يكن يحصد كثيراً. يبدو أن الناس لم يكونوا مستعدين لذلك. لم يحصد أعداداً غفيرة أبداً.

ماذا كانت مكانة "رجل السلام" هذا في خطط يسوع؟ لا يخبرنا النّص المزيد عنه. بإمكاننا أن نتخيل وصول الزائرَيْن إلى البلدة يسألان عن شخص بصفات معيّنة. وعندما كانا يقابلان الناس في الشارع، كانا يقولان: "نحن نبحث عن شخص ما. كلا، لم نقابله من قبل. كلا، لا نعرف اسمه، لكنه..." كان الناس يصغون، وينظرون إلى بعضهم بعضاً، ويقولون: "نعم، نحن نعرف شخصاً كالذي تسألون عنه. إنه يسكن في نهاية الشارع، إلى اليمين بعد عبوركم تلك الشجرة الكبيرة بقرب البئر".

"رجل السلام" هذا كان قد لفت انتباه أهل البلدة بسبب نوعية حياته. أنا أعتقد أن يسوع كان يضع الأساس للمستقبل بإرساله هذين الزائرَيْن إلى ذلك الرجل وأهل بيته.

كان كرنيليوس، قائد مئة روماني، "رجل سلام". "وهو تقيٌّ وخائفُ الله مع جميع بيته، يصنع حسنات كثيرةً للشعب، ويصلّي إلى الله في كلّ حين... مشهوداً له من كلّ أمّةَ اليهود" (أعمال الرسل ١٠: ٢، ٢٢). أرسل الله بطرس ليكرز له ولأهل بيته بالإنجيل. عندما دخل بطرس بيت كرنيليوس، وجد أن "كرنيليوس كان ينتظره، وقد دعا أنسباءَه وأصدقاءَه" (أعمال الرسل ١٠: ٢٤). كان البيت ممتلئاً بأشخاص متأثرين بقداسة حياة كرنيليوس. كانوا مهيئين ـــ لديهم استعداد للإيمان بالإنجيل عندما سمعوه. إن المسيح يبني كنيسته حول أشخاص كهؤلاء.

الذين من الخارج والمؤثّرون من الداخل

أراد الروح القدس في الكتاب المقدّس، أن يضمن حصولنا على صورة واضحة عن حياة وخدمة الرسول بولس. تحتل قصة حياته سبعة عشر إصحاحاً من سفر أعمال الرسل. وكتب أيضاً ثلاث عشرة رسالة من الرسائل الإحدى والعشرين المدوّنة في العهد الجديد. أنا لا أعتقد أن الله يريدنا أن نقوم بأنشطة مشابهة لأنشطة بولس اليوم أو نكرّر النماذج التي استخدمها، لكن علينا أن نتعلّم كلّ ما نستطيع أن نتعلّمه مما فعله وعلّمه.

ارتكزت إستراتيجية بولس بكاملها على المؤثّر. أنجز بولس عمله من خلال فريق رسولي، عدد قليل كأصابع اليد من الرجال الموهوبين، كانوا مستعدين أن يعملوا معه بينما كان

يكرز بالإنجيل "ليس حيثُ سُمّيَ المسيح" (رومية ١٥: ٢٠). كان الفريق الصغير المؤلف من الرسل يأتي إلى بلدة ما **"كأشخاص من الخارج."** لم يكونوا قد قابلوا الأشخاص الذين كانوا سيكرزون لهم. ونظراً لهذه الظروف، كانت أهدافهم محدودة. كان هدفهم الأول هو وضع الأساس. كتب بولس: "حسب نعمة الله المعطاة لي كبنّاء حكيم قد وضعت أساساً" (١كورنثوس ٣: ١٠). كان الأساس في هذه الحالة بالنسبة إلى بولس يعني عدداً قليلاً من الأشخاص المنتمين إلى المسيح وإلى بعضهم بعضاً، والذين كانت لديهم دعوة مشتركة.

الأساس عمل غير كامل، وبالحقيقة إنه بلا فائدة بحد ذاته. ينبغي أن يتّم بناء شيء عليه حتى تتحقق قيمته الفعلية. هكذا كان الوضع بالنسبة إلى هذه الخدمة الرسولية. أدرك بولس بكل وضوح أن نجاحه في مكان ما كان يعتمد على ما سيفعله الأشخاص الذين كانوا يشكلّون الأساس بعدما كان ينهي دوره. في إحدى رسائله إلى المؤمنين في كورنثوس، كتب بولس: "ولكن نحن لا نفتخر إلى ما لا يُقاس، بل حسب قياس القانون الذي قسَمَه لنا الله، قياساً للبلوغ إليكم أيضاً... إذ قد وصلنا إليكم أيضاً في إنجيل المسيح... بل راجين إذا نما إيمانكم أن نتعظّم بينكم حسب قانوننا بزيادة، لنبشّر إلى ما وراءكم" (٢كورنثوس ١٠: ١٣-١٦). إذاً، راقب بولس المؤمنين في كورنثوس ليرى ما كان سيحدث بعد ذلك. قال لهم وصلنا إليكم أيضاً في إنجيل المسيح. ها نحن الآن نعتمد عليكم لتكرزوا أنتم بالإنجيل. بالنسبة إلى تفكير بولس، لم يكن يعتبر أن جهوده ناجحة حتى يرى الإنجيل ينمو في حياة المؤمنين (التي يظهر فيها الإيمان، والرجاء، والمحبة) وحتى يراه ينتقل إلى الأشخاص الذين حولهم (انظر فيلبي ٢: ١٦). عندها فقط كان بولس يشعر بنفسه حراً ليركّز على الذهاب إلى أقاليم أخرى.

أدرك بولس الرسول أن تأثير الإنجيل في مكان ما كان يعتمد على الأشخاص الموجودين في ذلك المكان أكثر من اعتماده على الفريق الرسولي. لقد استطاع ذلك الفريق أن يضع الأساس، لكن المؤثّرين فقط هم الذين كانوا بمقدورهم أن يكرزوا بالأخبار السارة عن طريق شبكة علاقاتهم. فهم يقيمون في المكان ذاته مدة طويلة من ثم يمكنهم رؤية ولادة أجيال روحية تنمو حتى تبلغ النضوج.

ليس من المستغرب إذاً، أن تكون رسائل بولس مليئة بالإرشادات حول كيفية العمل كمؤثّرين. مثال على ذلك، كتب إلى المؤمنين في أفسس:

"لأنكم كنتم قبلاً ظُلمة، وأمّا الآن فنورٌ في الرّب.
اسلكوا كأولادِ نورٍ... في كلّ صلاحٍ وبرٍّ وحقٍّ...

لأن كلّ ما أُظهر فهو نورٌ. لذلك يقول استيقظ
أيّها النائمُ وقمْ من الأموات فيُضيءَ لك
المسيح" (أفسس ٥: ٨-٩ ، ١٣-١٤).

بهذه الاستعارة، يقارن بولس بين وجود مؤمنين متشبهين بالمسيح وبين شخص يضيء الأنوار الكاشفة في منتصف الليل داخل مهجع للطلاب النائمين. إن النور سيوقظ النائم، الذي لا شك أنه سيسأل عمّا يحدث. ولذا يتابع بولس الرسول قائلاً عندما يحدث هذا الشيء: "فانظروا كيف تسلكون... مُفتدين الوقت" (أفسس ٥: ١٥).

إضـــاءة الأنـــوار

كنت في طريقي إلى بانكوك عندما اضطررت لقضاء ليلة في سنغافورة. في صباح اليوم التالي، كنت أتناول فنجان قهوة في أحد المقاهي على الرصيف. كانت الشوارع مزدحمة بالناس المتّجهين إلى أعمالهم. بينما كنت أراقبهم، ابتدأت بالصلاة. كنت سأختار شخصاً من بين هؤلاء الناس وأطلب من الله أن يعلن شيئاً ما لذلك الشخص حتى يكشف له المسيح. كنت أحوّل نظري من شخص إلى آخر. ثم تساءلت عمّا يمكن أن يكون ذلك "الشيء". وتساءلت أيضاً أين وكيف يمكن لهذا الحشد من الناس الحصول على الأخبار السارة عن المسيح بطريقة تساعدهم على الفهم والإيمان؟ صليت قائلاً: "يا رب، إذا كانت هناك طرق أسرع وأفضل من الطرق التي تعلّمتها، فأنا أريد أن أعرفها".

فكّرت في الإجابة المتوقعة أكثر من غيرها لهذا السؤال: أعمل على تنظيم حملة كرازية تشمل المدينة كلها. نعم، اعتقدت أن هذه الطريقة ستوصل الإنجيل إلى بعض الناس في المدينة. وهؤلاء الأشخاص سيصبحون مجموعة صغيرة مختارة. لكن كيف سنصل إلى الآخرين؟ اعتقدت أن باستطاعتنا استخدام وسائل الإعلام، مثل المذياع والتلفاز. لقد أدركت كيف يمكن لهما أن يكونا مصادر رائعة للكرازة، وخاصة في الأماكن الصعبة. إن وسائل الإعلام تزرع الكلمة حيث لا يستطيع الناس الذهاب. ولكن عندما كنت أنظر إلى الجموع الغفيرة تمرّ من أمامي، كان عليّ أن أقرّ أن غالبية الناس لن تهتم بهذه الجهود والمحاولات — لأن الظلمة تخيّم على مكان وجودهم. يجب أن تضاء الأنوار أولاً. وهذا يعني أن شخصاً آخر، يعرفونه ويثقون به ويرون المسيح في حياته، يجب أن يجذب اهتمامهم. يجب أن يرى معظم الناس الإنجيل ويسمعوه لكي يفهموه.

وفي برشلونة...

إن العائلة المرسلة في برشلونة توضّح الأفكار التي نتحدث عنها في هذا الفصل. إنهم لم

يدركوا أن أفضل فرصة لديهم كانت أمامهم مباشرة. لقد كوّن أولاد هذه العائلة صداقة مع أولاد عائلة أخرى. وتعرّف الوالدان على بعضهما البعض. كان هناك شيء مشترك بينهما. عند تلك المرحلة، بدلاً من محاولتهم إقامة نشاط لم يكن الزوج مهتماً به، كان يجب أن يفعلوا العكس. كان عليهم أن يبذلوا جهداً للتعرّف على ذلك الزوج، أي أن يبنوا جسوراً بين العائلتين.

وعندما تتطور الصداقة بينهما كان بإمكان ذلك الزوج، الذي لم يكن مهتماً بالأمور الدينية، أن يقودهم ويرشدهم لإتباع طريقة تساعدهم على التقدّم إلى الأمام وربما تناسبه أيضاً. ليس من الضروري أن يكون المرشد في هذه الظروف مؤمناً. وبالحقيقة، وجدت أنه من الأفضل في بعض الأحيان ألاّ يكون المرشد مؤمناً، لأن باستطاعته أن يخبرك كيف تبدو حياتك من وجهة نظر الناس في الشارع.

إن كل ما كان سيتطلبه الأمر للحصول على هذا الإرشاد المفيد من مرشد غير مؤمن هو طرح بعض الأسئلة الجيدة والإصغاء الجيد. وبمرور الوقت، إذا ما نجح هذان الزوجان المرسلان في الامتحان، فإنهما كانا سيتعرفان على أشخاص آخرين بواسطة شبكة علاقات تلك العائلة غير المؤمنة. عن طريق تنمية صداقات قليلة أخرى من النوع ذاته، كان بإمكانهما البدء بخدمة مثمرة شرط أن يتقدما ببطء. ولربما لم يكونا في حاجة لاستخدام تلك الكراسي الخشبية التي تُطوى أو كتب الترانيم!

إن الناس الذين لديهم استعداد طبيعي للإيمان بالمسيح، مثل كرنيليوس، نادرون أو غير موجودين في دول مثل اسبانيا. إن الله هو الذي سيقودنا إلى هؤلاء الأشخاص القليلين، لكن علينا أن نعرف الأشخاص الذين سنوصّل الإنجيل إليهم.

إعادة التفكير في أسلوب عملنا

خلال العقود القليلة الماضية ركّزت أبحاث كثيرة على تحديد ومعرفة موقع قبائل العالم أو "مجموعاته السكّانية". ونتيجة لذلك، نعرف اليوم أين نجد الشعوب التي لم نسمع عنها قبلاً حتى الآن. لكننا لا نزال محدودين بالنسبة إلى معرفة ما يجب أن نفعله لنوصّل الإنجيل إلى هذه الثقافات عندما ننتقل للتواجد فيها. حتى غالبية الكتب التي كُتبت للمرسلين حول زرع الكنائس لا تتحدث البتة عن مكانة المؤثّرين في تحقيق هذه المهمة.

المؤثّرون هم في صميم سعي الله نحو الأمم. ودورهم أساسي في ما يريد الله تحقيقه. لكنهم يواجهون مقاومة وعدم رضى بدلاً من الدعم في كثير من الكنائس والجهود الإرسالية. ويتشكل لدى المؤثّرين انطباع وشعور بعدم الإخلاص بسبب الوقت والحيّز اللذين يعطونهما

لأصدقائهم غير المؤمنين. إن ما يحتاج إليه المؤثّرون بدلاً من هذا هو تأكيد دورهم، ودعمهم، وتأهيلهم، وتوفير الموارد لهم، والكثير من كلّ هذا.

أسئلة للمناقشة

١. برجاء قراءة المثال التالي:
قبل أن يصبح صموئيل مؤمناً بالمسيح، كان منهمكاً في عمله في المكتب ومشتركاً بالأنشطة الاجتماعية مع زملائه. كان مؤثّراً من الداخل لمجموعة فريدة من العلاقات. لكن بعد سنتين من إيمانه، أصبح منشغلاً كثيراً بالأنشطة الدينية فلم يستطع أن يرى أصدقاءه القدامى كثيراً. شعر أصدقاؤه بالحيرة تجاه تصرفاته لأنهم اعتقدوا أنه رفضهم. يفكّر صموئيل الآن في الالتحاق بكلية لاهوت ليصبح مرسلاً. ربما هذا هو ما يريد الله من صموئيل أن يفعله. إننا بحاجة لأشخاص مستعدين لعبور الثقافات والكرازة بالإنجيل. ونحتاج أيضاً إلى أشخاص يساعدون المؤمنين على النمو ويدربونهم. لكن ما يثير الدهشة والانزعاج بالنسبة لقصة صموئيل أن أحداً لم يسأله عن قيمة المؤثّر من الداخل وشرعية خدمته. إن الأفكار والرسائل الوحيدة التي سمعها صموئيل كانت من رعاة الكنائس أو القادة الذين يخدمون باستمرار، والذين بكلماتهم ونمط حياتهم أوصلوا له رسالة، بأن تأثير الإنجيل الحقيقي هو في مكان آخر.

٢. مما تعلّمته، ما الذي يساعد صموئيل على اتخاذ قرار حول كيفية تطوير علاقاته مع غير المؤمنين في المكتب؟ وكيف يستطيع صموئيل أن يطبّق تعليمات بولس حول كون المؤمن مؤثّراً من الداخل؟

٣. مما تعلّمته، ما الذي يساعد صموئيل على اتخاذ قرار حول كيف ينبغي أن يقضي بقية حياته؟

٤. حاول أن تخطط لقضاء وقت غير رسمي في مناسبة اجتماعية مع شخص غير مؤمن أو زوجين غير مؤمنين، بصحبة مؤمن آخر.

الفصل السادس

المؤثِّـــرون وكنائسهم

****

إن دور المؤثِّر في إرسالية الكنيسة هام وضروري مثل دور المرسلين الذين يذهبون إلى دول أخرى. كان الرسول بولس يعتمد على المؤثِّرين ليكمّلوا الخدمة التي بدأها فريقه في مدينة ما. فقد كان لدى المؤثِّرين الصلات، والعلاقات مع الآخرين فضلاً على أنهم موضع ثقة. وكان بإمكانهم أن يكرزوا بالإنجيل للذين في مجتمعاتهم. ألا يجب أن يكون هذا حال كنائسنا اليوم؟ لكن لسبب من الأسباب، غالباً ما نحجم عن التفكير بهذه الطريقة. في الواقع، أقابل كثيراً من الناس يحاولون كمؤثِّرين أن يكرزوا لأصدقائهم غير المؤمنين، لكنهم لسبب ما يشعرون بأن أهدافهم تتضارب مع أهداف الكنيسة. لذا فهم يشعرون بالتوتر.

ترعرع ماهر وسهام وقد طغت على أفكارهما كثير من هذه الأفكار التي نتحدث عنها في هذا الكتاب. آمن والدا سهام في منتصف عمرهما عندما دعت إحدى الصديقات والدة سهام لتقرأ الإنجيل معها. ومنذ ذلك الوقت أصبحت أبواب بيت والدّي سهام مفتوحة ترحب بأصدقائهم غير المؤمنين. لقد اتبّع ماهر وسهام نمط الحياة ذاته.

أدرك ماهر وسهام منذ سنوات قليلة أن البلدة الصغيرة التي كانا يعيشان فيها تعمل على تهميش جهودهما كمؤثِّرَيْن. كانت الحياة مريحة بالنسبة لهما، وكانا يعرفان كلّ شخص حولهما. كان أكثر الناس مؤمنين. فقررا أن ينتقلا من تلك البلدة لأنهما أرادا أن يكونا في مكان يحتاج أكثر إلى نور المسيح الذي يشّع فيهما.

انتقلا إلى مدينة أخرى وسكنا في حيّ جديد، ثم أخذا يقيمان صلات وعلاقات مع جيرانهم. وانضم إليهما في هذه الدعوة أولادهما الذين شارفوا على سن المراهقة. فحدث الأمر المحتّم. وجدت هذه العائلة نفسها وسط شبكة نامية وممتدة من المؤثِّرين الآخرين، ومؤمنين جدد ومؤمنين سابقين. وهما الآن يحاولان معرفة ما ينبغي القيام به بعد تلك المرحلة.

الجواب السهل الذي يمكن توقّعه هو أن تؤسس تلك العائلة كنيسة. وبالحقيقة، هذه هي الطريقة التي بدأت بها غالبية كنائسنا اليوم. لكن ماهر وسهام لا يريدان القيام بذلك. إنهما أصبحا في موقع يمكنها توصيل الإنجيل منه إلى شبكة علاقتهما الكثيرة. إن شبكة اتصالاتهما

غير متماسكة ومنتشرة في أماكن كثيرة فلا يمكنهما أن يجعلا منها رعية في الكنيسة. إن فعلا ذلك، فسوف يخسران كثيراً. إن ما يحتاجان إليه في الواقع هو موارد جديدة، كما يحتاجان إلى التشجيع والتأكيد على أن عملهما ذو مصداقية. إنهما يحتاجان إلى أشخاص لديهم خبرة ويفهمون ما يفعله ماهر وسهام ليرشدوهما في خطوتهما التالية التي يجب أن يقوما بها وكيفية القيام بها. إنهما بحاجة إلى الصلاة.

أثناء ذلك، كانت كنيستهما تتساءل عمّا حدث لماهر وسهام. في السابق، كان بإمكان الكنيسة أن تطلب منهما القيام بتعليم أحد الصفوف أو الانضمام إلى مجلس الكنيسة أو إحدى اللجان. لكن كلّ ما يبدو أنهما يقومان به الآن هو حضور اجتماع الكنيسة. في الواقع، ثمّة أوقات لا يقومان فيها حتى بذلك. وعلى ما يبدو قد فهِما أنهما قد فقدا ولاءهما للكنيسة، ولذا من الصعب عدم انتقادهما!

التـــوتـــر

يبدو أن هذا الوضع هو بمثابة انقطاع بسيط للتواصل. إن لدى كلا الجانبين مشاعر الإحباط. المؤثّر يشعر بالإحباط، وقادة الكنيسة يشعرون بالإحباط أيضاً. قد يعتقد البعض أنه يمكن إزالة هذا الانقطاع في التواصل وذلك بالجلوس معاً والتوصل إلى فهم متبادل. في بعض الأحيان يبدو أن هذا هو كلّ ما يتطلّبه الأمر، لكن الأمر لا يكون بهذه السهولة في أوقات أخرى. إن دور المؤثّر يتطلّب تغييراً في المكان. إنه يتطلّب إقامة علاقات مع الناس حيث هم، وبحسب شروطهم، وفي الأوقات التي يكونون فيها مستعدّين للتواصل. سيتجاوب بعض غير المؤمنين مع فكرة الاشتراك في أنشطة الكنيسة، لكن فئات كبيرة متزايدة في مجتمعنا لن تتجاوب. من الصعب جداً على كثيرين منّا أن يفهموا ويقبلوا هذه الحقيقة. إن ما نفعله ناجح في كنائسنا، ويبدو عملاً منطقياً، ولا نستطيع أن نتخيل أنه لن ينجح بين الآخرين أيضاً.

إن جزءاً من الصعوبة التي نواجهها يكمن في تعريفنا الشائع للكنيسة. أصبحت الكنيسة مكاناً يجتمع فيه الناس للقيام بأنشطة معينة. إن شعورنا بالهوية قد انتقل من كوننا أشخاصاً مرسلين إلى العالم إلى كوننا مكاناً يجتمع فيه الناس للعبادة. بموجب هذا التعريف، يُصبح من الصعب جداً فهم أنشطة المؤثّر. والمؤثّرون بدورهم سيفقدون شعورهم بالانتماء لأن دعوتهم لن تكون ملائمة داخل الجدران.

نواجه في هذا السياق تضارباً في الأولويات. من ناحية أولى، الاهتمام الرئيسي هو رعاية المؤمنين. ومن ناحية ثانية، القضية الرئيسة هي غير المؤمنين الذين يحيطون بالمؤمنين.

لأي منهما الأولوية؟ هل هي للخدمة التي تُقدّم إلى المؤمنين، أم للإرسالية إلى غير المؤمنين؟ إن هذا السؤال هو مثل طرح السؤال التالي: "أي جناح من جناحي الطائر أكثر أهمية، الجناح الأيمن أو الأيسر؟" يحتاج الطائر إلى كلا الجناحين لكي يطير. المشكلة التي نواجهها هي الصعوبة الكبيرة في استخدام كلتا الوسيلتين في ذات الوقت. أنا أعتقد أن هناك تفسيراً تاريخياً لهذه الصعوبة.

ليس جزءاً من تاريخنا

انتقلت الكنيسة من بداياتها المغمورة كحركة داخل المجتمع اليهودي في فلسطين إلى أن أصبحت الديانة الرسمية للإمبراطورية الرومانية خلال ثلاثمائة سنة. إنها قصة مدهشة! ثم شكّل قانون التسامح الذي أصدره قسطنطين في ميلان عام ٣١٣ نقطة تحول بالنسبة للكنيسة. وفي فترة عقود قليلة تحوّلت الكنيسة من كونها طائفة مُضطهدة إلى كونها أداة بيد الدولة؛ ومن كونها ضد المجتمع إلى كونها حامية المجتمع.

تخيلوا التحديات التي واجهتها الكنيسة عند ذلك المفترق. دُعي قادة الكنيسة فجأةً ليقوموا بتنظيم كلّ جوانب المجتمع تقريباً حيث كان قسطنطين مصمّماً على أن يجعل الكنيسة دعامة للدولة. ولكي يحقّق هذا الهدف ويخلق مجتمعاً مسيحياً كاملاً، جعل عضوية الكنيسة قسرية. لم يعد باستطاعة الناس أن يختاروا إما الانضمام إلى الكنيسة أو عدم الانضمام. كان الناس يُعمّدون ويُضمّون إلى الكنيسة عند ولادتهم. بهذا العمل ضاعت فكرة الكرازة لمجتمع غير مؤمن. كان هناك أعضاء كنيسة صالحون وأعضاء كنيسة سيئون. الأعضاء السيئون واجهوا غضب الدولة. كانت الكنيسة والدولة تدعمان بعضهما بعضاً لتحقيق الهدف المشترك بينهما وهو المحافظة على الإمبراطورية. بقيت هذه العلاقة سائدة بدون أن يتحدّاها أحد خلال الألف سنة التالية، حتى عهد الإصلاح.

كانت هناك أربع طوائف رئيسة داخل حركة الإصلاح البروتستانتية: اللوثرية، والمُصلحة، والأسقفية، والمعمدانية. وكانت هناك أيضاً حركة إصلاح معاكسة ومتلازمة مع الحركة الأولى داخل الكنيسة الكاثوليكية. طائفتان فقط، المعمدانية وحركات الإصلاح الكاثوليكية المعاكسة، كانتا تعالجان قضية إرسالية الكنيسة. لم يكن العمل المرسلي ضمن اهتمامات المصلحين في القرن السادس عشر.

إن ما شغل بال مارتن لوثر هو الفساد الذي رآه داخل الكنيسة. فقد عارض وتحدّى بيع صكوك الغفران وفكرة تجميع الأعمال الصالحة من خلال زيارة الأماكن المقدسة، والصوم، والاعتراف، والدعاء للقديسين. إن خبرته بغفران الله الشخصي، واكتشافه أن الخلاص

بالإيمان، جعلاه يدرك ويفهم نعمة الله وغفران الخطية. أصبحت هذه الحقيقة هي المادة الرئيسة في الخبرة البروتستانتية. قادته هذه الرؤية الثاقبة بدورها إلى دفاعه المخالف لتعليم رجال الدين عن كهنوت كلّ مؤمن. كما أنه أعاد مكانة الكتاب المقدّس ليصبح السلطة الوحيدة بالنسبة للحياة والممارسة.

من الواضح أن لوثر لم يعترض على فكرة الكنيسة العالمية القائمة على تسلسل هرمي والتي كانت تعمل بالتطابق مع الدولة. ولم يعترض جون كالفن أيضاً على هذه الفكرة. إن الكنائس التي نشأت من جراء عملهما كانت متطابقة مع فكرة كنيسة الدولة، ولم تكن مختلفة بشكل أساسي عن مسيحية القرون الوسطى في تنظيمها. واستمرت الكنائس ومسيحية القرون الوسطى تدعم مفهوم أوغسطين عن خلق مدينة الله على الأرض. وبإمكاننا أن نقول الشيء ذاته عن الكنيسة الانجليكانية. فقد تأسست هذه الكنيسة وعلى رأسها الملك هنري الثامن، الذي جعل الكنيسة والدولة شريكين. ونتيجة لذلك، كانت الكنيسة بالنسبة إلى المصلحين تضم المجتمع بكامله. كان كلّ شخص عضواً في الكنيسة.

كان المعمدانيون، أو حركة "الكنيسة الحرة"، الاستثناء لما وصفنا أعلاه. فقد شدّدوا على فكرة أن الكنيسة يجب أن تكون رابطة إختارية من المؤمنين الذين اعتمدوا ليؤكّدوا على تحوّلهم الشخصي. كان على ممارسات الكنيسة أن تكون متطابقة مع الكنيسة الأولى. فالناس إمّا مخلّصون أو هالكون بحسب اختيارهم الشخصي. عانى المعمدانيون من اضطهاد عنيف من كلّ جهة، من الكنيسة الكاثوليكية ومن المصلحين — من لوثر وكالفن معاً. كان تأثيرهم إذاً بشكل إجمالي محدوداً.

إذاً، لم تنفصل الطوائف السائدة في حركة الإصلاح فعلياً عن مفهوم العصور الوسطى لكنيسة إقليمية تعمل من خلال علاقة الكنيسة والدولة. لكن المصلحين زرعوا بذور إعادة ولادة فكرة إرسالية الكنيسة. إن إعادة اكتشاف لوثر لعبارة "أمّا البارّ فبالإيمان يحيا" (رومية ١: ١٧)، ساهم في توضيح حقيقة أن الناس هالكون وبحاجة إلى خلاص شخصي. إن تشديده على كهنوت جميع المؤمنين أدّى إلى فهم جديد مفاده أن كلّ مؤمن لديه دعوة ومسؤولية لخدمة الله. تلك البذور التي زُرعت في ذلك الوقت احتاجت إلى سنين لتنمو. كان المصلحون منشغلين بقضايا أخرى ويصارعون من أجل البقاء. لم يكونوا مستعدين للتفكير بالكرازة بالإنجيل لكل الأمم — أو إلى جيرانهم القريبين منهم. احتاج الأمر إلى مئتي سنة أخرى لتبدأ كنائس الإصلاح بإرسال مرسلين إلى بلدان أخرى، ولفترة أطول ليبدأوا بفهم إرساليتهم المحلية.

إنني أعتقد أننا لا نزال متأثّرين، ككنيسة، بأثني عشر قرناً من المسيحية الإقليمية التي بدأت من مرسوم قسطنطين عام ٣١٣ إلى ذلك اليوم عام ١٥١٧ عندما علّق مارتن لوثر عباراته الخمس والتسعين على باب كنيسة جميع القديسين في مدينة وتنبيرغ. هذه هي القرون الأثني عشر في تاريخنا حيث لم تكن فكرة مشاركة الأخبار السارة عن المسيح مع الناس موجودة في لاهوتنا.

علامـــات التغييـــر

كما ذكرنا سابقاً، احتاج الأمر إلى مئتي سنة لتبدأ كنائس الإصلاح بالعمل بتصميم على تحقيق دعوتها بالكرازة بالإنجيل إلى الأمم. لكن الإنجيل كان قد سبق وتحرّر. في تلك السنوات المئتين كانت هناك سلسلة من الصحوات العظيمة أدّت إلى تغيير حياة مئات الألوف من الأفراد. تأثرت حضارتنا بهذه الصحوات التي ساعدت في نهاية المطاف على إيقاظ الكنيسة لتتحمل مسؤوليتها للاشتراك في الإرساليات الأجنبية. في عام ١٧٩٢، تأسست "الجمعية المعمدانية الإرسالية" في إنكلترة. وفي عام ١٧٩٣ أرسلت تلك الجمعية وليم كاري إلى سيرامبور في الهند كأول مرسل لهم.

إن ولادة ما يُعرف الآن بالكنيسة الميثودستية مثال على هذه الصحوات. أسس جون ويسلي (١٧٠٣-١٧٩١)، وأخوه تشارلس (١٧٠٧-١٧٨٨)، وصديقهما جورج وايت فيلد (١٧١٤-١٧٧٠) نادياً صغيراً، يدعى "النادي المقدّس"، في جامعة أوكسفورد. وأطلق عليه لقب "ميثوديست" بسبب الانضباط الذي ساده. ونمت هذه الحركة من خلال كرازة جون وجورج المتنقلة الدؤوبة. فقد جمعا المؤمنين في جمعيات في أرجاء إنكلترا، وأسكوتلاندا، وأيرلندا. كما صار تأثير جوناثان ادوارد (١٧٥٠-١٨١٥) مثالاً على صحوة قوية أخرى. فمن خلال كتاباته وكرازته أشعل لهب الإنجيل في أرجاء إنكلترا، واسكوتلاندا، وأيضاً في إنكلترا الجديدة.

وفي القرن التاسع عشر انطلقت الكنيسة في أميركا بالكرازة بالإنجيل داخل مجتمعها. فقد تأسست "جمعية الكتاب المقدّس الأميركية" وجمعيات أخرى لتحقيق هذا الهدف. كما أن أميركا شهدت عدداً لا يُحصى من الكارزين المتنقلين، وهم أشخاص كرّسوا حياتهم كمرسلين لربح غير المؤمنين، خاصة في مدن أميركا. وأسماء الكثيرين منهم معروفة ـــ مثل تشارلس فيني ودوايت مودي.

استمر تنامي وعي وإدراك كنائسنا لدعوتها بالكرازة للهالكين. ونستطيع أن نرى التعبير عن هذا الوعي بأشكال متعدّدة، بعضها خلاّق للغاية. في السنوات الأخيرة، كان هناك

تشديد على زرع الكنائس، أولاً في حركتنا الإرسالية إلى دول أخرى، ومنذ فترة وجيزة في مدننا الكبيرة. إن مفهوم زرع الكنائس هو الذي أوحى بفكرة "كنيسة منفتحة للجميع". وهي محاولة لجذب غير المؤمنين ـــ الذين هم عادة غير مهتمين ـــ لحضور اجتماعات الكنيسة المُصمَّمة خصيصاً لأجلهم. ونشهد أيضاً تزايداً في عدد مجموعات البيوت والكنائس الصغيرة التي تهدف إلى الكرازة بالإنجيل لفئات المجتمع ذوي الاحتياجات الخاصة.

لكن هناك المزيد

مع أننا قد أحرزنا تقدماً في فهمنا لدعوتنا للهالكين، إلا أننا لا نزال نعاني من آثار تاريخنا الماضي. إننا لا نزال نفتقد إلى المهارات التي نحتاجها لتمكين المؤمنين من الاندماج مع غير المؤمنين في عالمنا والتواصل معهم. ستلاحظون أن معظم "علامات التغيير" التي ذكرناها للتو لا تزال تعتمد على مفاهيم "تعالوا" و"استمعوا". إن تشجيع هذا الاتكال يؤثّر على الحالة الروحية للكنيسة بطريقتين.

أولاً، إنه يجعل جميع المؤمنين، ماعدا عدداً قليلاً منهم، يقومون بدور سلبي كمراقبين في عمل الكنيسة المرسلي. وثانياً، إنه يقلل من استخدام مصدرنا الأكثر إستراتيجية في هذا العمل المرسلي، ألا وهو المؤمن الذي يحتك يومياً بالناس الذين دعانا الله للذهاب إليهم. إن هذا الإغفال يؤثّر كثيراً على الحالة الروحية للكنيسة.

حاولت كنائس عديدة خلال الخمسين سنة الماضية أن تعالج هذه القضية وتسدّ هذه الحاجة بالتركّيز على التلمذة. التلميذ هو شخص يتعلّم بإتبّاع مرشد له، والإصغاء إليه، والتشبه به. التلمذة سائدة في مفرداتنا وبرامجنا اليوم، لكن كنائسنا لا تتصف بالتلمذة. نحن كشعب لم نصمّم بشكل محدّد على إتبّاع المسيح. إن الإحصاءات الراهنة حول سلوك أعضاء الكنيسة وغير الأعضاء تشير إلى هذه الحقيقة. هناك عوامل كثيرة تؤثّر في هذا الوضع، لكن أحد هذه العوامل، بكلّ تأكيد، هو موضوع هذا الفصل.

بكل بساطة، يجب أن تُعيد حركة الإصلاح **الخدمة** إلى العلمانيين. لقد استعدنا الكتاب المقدّس والإنجيل، لكننا لا نزال ننتظر البقية. من الصعب علينا كأتباع المسيح أن نحافظ على تركيزنا وانضباطنا سنة تلو الأخرى بينما فرص الخدمة في الصفوف الأمامية من دعوتنا لا تزال تبدو بعيدة. لكن حياتنا ستأخذ معنى جديداً عندما ننظر إلى زملائنا في العمل الذين نصلّي لأجلهم ونعرف أن الطريقة التي نمارس بها أعمالنا مهمة لاقترابهم تدريجياً من المسيح. هذه الحالة كانت في صميم صراع جاك. كان يشعر أن معظم ما يدور في حياته اليومية لا صلة له بمقاصد الله. إنه كان بحاجة إلى المساعدة ليفهم كيف يستثمر حياته في ما يعمله الله.

حريـــة الشكـــل

لا يوجد في الحقيقة ما يقف في طريق توجّه الكنيسة إلى دعم وتقوية المؤثّرين إلاّ محدودية رؤيتنا. إننا نتمتع بحرية غير عادية اليوم تسمح لنا بأن نجرّب وأن نبتكر. إننا نعتبر هذه الحرية أمراً مسلّماً به لدرجة أنه من الصعب علينا أن نصدّق أنها لم تكن موجودة خلال معظم تاريخ الكنيسة. كان أمراً عادياً أن يمنع قادة الكنيسة ممارسة أي شيء يخرج عن الأنماط التقليدية للعقيدة والممارسة.

ولكننا اليوم نملك حرية قراءة الكتاب المقدّس، وفحص معتقداتنا وممارساتنا على ضوء ما نجده ونفهمه ـــ ومن ثم نقوم به. هذه الحرية هي فرصة كبيرة ومسؤولية ضخمة. إننا نعرف جميعنا قصصاً عن أشخاص يبرّرون الأفكار الأكثر شذوذاً بالاستناد إلى الكتاب المقدّس. باستطاعتنا أن نستخرج المعاني التي نريدها من الكتاب المقدّس إن لم نكن حذرين. يحذّرنا الرسول بطرس من أنه لا يوجد جزء من الكتاب المقدّس من تفسير الإنسان (انظر ٢بطرس ١: ٢٠). علينا أن نتفحّص الكتاب المقدّس بروح الصلاة، متّكلين على الروح القدس وعلى بعضنا البعض. ثم علينا العمل بموجب ما استخرجناه. بهذه الطريقة يقودنا الله إلى الحق .

دعوة الكنيسة الرسولية

نقطة البداية الجيدة لفهم إرساليتنا هي مراجعة ما قاله يسوع عنها. قال يسوع في صلاته إلى الآب قبل القبض عليه: "وهذه هيَ الحياة الأبدية أن يعرفوكَ أنتَ الإله الحقيقيّ وحدَكَ ويسوع المسيح الذي أرسلته... وآمنوا (الاثنا عشر) أنك أنتَ أرسلتني... كما أرسلتني إلى العالم أرسلتُهُم أنا إلى العالم... وأسأل... من أجل الذين يؤمنون بي بكلامهم... ليؤمن العالم أنك أرسلتني" (يوحنا ١٧: ٣ ، ٨ ، ١٨ ، ٢٠-٢١).

كان يسوع الرسول الأول. لقد أُرسِل من قبل الآب، وهو بدوره أرسل الاثني عشر. وهم كرزوا بالإنجيل لأشخاص نقلوه بدورهم إلى بقية أنحاء العالم. إن كل من آمن برسالة الإنجيل كان يدرك أنه هو أيضاً مُرسَل. بسبب طبيعة الإنجيل، فإن الكنيسة كحاملة للإنجيل يتوجب عليها أن تكون كنيسة مُرسِلة. إن تعريف الرسول هو: "مُرسَل، إرسالية، الإشارة إلى عمل الرسول."

نحن شعبٌ مُرسَل

إذا كان هذا صحيحاً حقاً، علينا أن نعرّف وننظّم أنفسنا بموجب هذه الحقيقة. لا يمكننا

بأية طريقة كانت أن نسمح لرؤيتنا للكنيسة أن تكون محدودة بمجموعة المؤمنين الذين لدينا شركة معهم. هذه الحقيقة هامة بالنسبة إلى ماهر وسهام. إنهما لا يستطيعان التنبؤ بمصير الذين يكرزان لهم بالإنجيل. إذا كان من المتوقع منهما أن يجلبا هؤلاء المؤمنين الجدد إلى كنيستهم المحلية، فإن عليهما أن يكرزا برسالة مزدوجة: الأخبار السارة عن المسيح ورسالة أخرى عن كنيستهم. وهذا أمر مبالغ فيه! ليس مهماً كم تبدو كنيستنا كبيرة لأن إنجيلنا لن يكون عندئذ نقياً عندما نكرز بهذه الطريقة.

من الصعب علينا أن نعيش بموجب هذه الحالة أكثر ممّا نظن. يقول داريل كادر والذين ألّفوا معه كتاب "**الكنيسة المرسلة**"، إن الكنيسة في أميركا هي رابطة إختيارية "تعتمد في وجودها على رغبة أعضائها في البقاء داخلها." إن هذا الوضع يجعل الكنيسة المحلية تتنافس للحصول على حصتها من السوق. لأن مجتمعنا قائم على التسويق، فإننا نادراً ما نفطن إلى وقوع كنيستنا في هذه التجربة. عندما ترتفع تكاليف تزويد الكنيسة بما تحتاجه، يصبح من الصعب جداً أن نكون كرماء ومنفتحين على الناس. إن عقلية التَملُّك تعمل ضد المؤثرين. يجب أن تكون الدائرة التي تحدّد بها الكنيسة نفسها كبيرة جداً لدرجة يمكنها معها استيعاب ثمر عمل وخدمة المؤثر.

في إحدى المناسبات، أتى بعض تلاميذ يوحنا المعمدان إليه ليحذّروه من أنه كان يفقد بعض أتباعه الذين انضموا إلى المسيح. أجابهم: "أنتم أنفسُكم تشهدون لي أنّي قلتُ لست أنا المسيح... من له العروس فهو العريس." يذكّرنا يوحنا بأن العروس لا تتزوج الأشبين (صديق العريس)، لكنها تحمل اسم العريس. ويتابع قائلاً: "ينبغي أنّ ذلك يزيد وأنّي أنا أنقُصُ" (يوحنا ٣: ٢٨-٣٠). بكلمات أخرى، دورنا هو أن نتأكد من إتمام الزفاف. الأشخاص الذين نأتي بهم إلى المسيح لا يصبحون **ملكاً لنا**. إنهم للمسيح. عندما لا نكون مهتمين حقاً بمن له الفضل، فإن عدد الأشخاص المنفتحين للإنجيل سيكون كبيراً ومثيراً للدهشة.

عندما يصبح العطاء أخذاً

مضى على إتّباع نبيل وزينة للمسيح عام تقريباً. في هذا الوقت القصير، برهنا على كونهما مؤثّرين مثمرين. من الواضح أن التباين بين حياتهما قبل إيمانهما بالمسيح وحياتهما كمؤمنين بالمسيح كان باهراً ومثيراً للانتباه لدرجة أن كثيراً من أصدقائهما بدأوا يلاحظونه. وكان نبيل وزينة يفسران ما يحدث في حياتهما لأصدقائهما بطرق جعلتهم يسألون المزيد. ولأن الفرصة قد واتت لهما، فقد طلب نبيل مني أن أساعده.

خلال الأشهر الثلاثة الماضية، كنا نجتمع بعد الانتهاء من العمل في مكتب نبيل لدراسة

الكتاب المقدّس مع بعض شركائه. كان هناك اثنا عشر رجلاً. كانوا يأتون إلى الاجتماع ومعهم كتب مقدّسة كبيرة جديدة لم تُفتح من قبل. بدأنا نشرح لهم أن الأرقام الكبيرة في أعلى الصفحة تُدعى إصحاحات والأرقام الصغيرة تُدعى آيات، وأن هناك عهدين في الكتاب المقدّس، الخ...

كان من المثير أن نلاحظ أنه في خلال أسابيع قليلة كانوا جميعاً يتحدثون عن الكنائس التي بدأوا بزيارتها أو حضور الخدمة فيها. لقد افترضوا أن الكنيسة جزء من إيمانهم الجديد. لكن لأن لكلّ كنيسة سماتها وقيمها المميّزة، فقد كان بعض الرجال يشعرون بالارتياح في إحدى الكنائس وبعضهم في كنيسة أخرى. ولأن الناس ينجذبون إلى أشخاص مثلهم، كان هؤلاء الرجال يبحثون عن كنيسة يجدون فيها مثل هؤلاء الأشخاص. هناك ست كنائس تقريباً في هذه المدينة كانت تستقبل الثمر الذي يأتي به نبيل وزينة كمؤثّرين.

لكن الأمور لا تجري دائماً بهذه الطريقة. إن غير المؤمنين لا يفتّشون عادة عن كنيسة عندما يؤمنون بالمسيح، خاصة في أجزاء معينة من العالم. في بعض دول أوروبا في فترة ما بعد النهضة مثلاً، أصبحت الكنيسة مهمّشة بالنسبة لغالبية الناس لدرجة أنه عندما يؤمن هؤلاء الناس بالمسيح، لا يجدون الكنائس مكاناً يمكن أن ينضموا إليه ويتواجدوا فيه. من الأفضل في تلك الحالات مساعدة المؤمنين الجدد ليصبحوا بمثابة رعية لبعضهم بعضاً.

مهما كان الحلّ الذي نستخدمه لتوفير أجواء من الشركة لجماعة المؤمنين الجدد، تبقى الحقيقة التالية هي السائدة: يوجد جسد واحد وكل عضو فيه يجب أن يساهم في بنيانه. "كلّ الجسد... يُحصّل نموّ الجسد لبنيانه في المحبة" (أفسس ٤: ١٦). علينا، نحن الذين نؤلف كنيسة هذا الجيل، أن نركّز اهتمامنا على الإرسالية التي أعطانا إياها الله بقدر ما نركّز اهتمامنا على خدمة وتشجيع بعضنا بعضاً. إن للمؤثّرين دوراً يقومون به في هذه الإرسالية لا أحد آخر يستطيع القيام به. إن الجسد بحاجة ماسّة إليهم. وهم بدورهم بحاجة إلى الجسد. لقد آن الأوان لكي نفسح لهم المجال ليعملوا.

أسئلة للمناقشة

١. إن مفهوم ومبدأ المؤثّر من الداخل يتحدى كثيراً من افتراضاتنا التقليدية عن الخدمة:

افتراضات تقليدية عن الخدمة	افتراضات المؤثّـر عن الخدمة
* للمؤمن العادي دور ثانوي. * المؤمن العادي متفرّج. * المؤمن العادي يساعد رجال الدين على أن يقوموا بالخدمة * رجل الدين يجب أن يشرف على الخدمة. * الخدمة هي للموهوبين. * «لا أستطيع أن أخدم بدون تدريب.» * يُقاس النجاح بالأعداد الكبيرة. * الخدمة داخل جدران الكنيسة علامة على الالتزام والتكريس.	* للمؤمن العادي دور رئيسي. * المؤمن العادي مشارك حيوي. * المؤمن العادي يقوم بالخدمة. * الروح القدس يشرف على الخدمة. * الجميع يمكنهم أن يؤدوا أدواراً. * «أستطيع أن أخدم الآن مستخدماً ما عندي.» * البداية الصغيرة جيدة. * الخدمة في العالم هي عمل الكنيسة.

ـــ أي افتراض من افتراضات المؤثّر هي الأصعب بالنسبة لك؟ لماذا؟ وأية افتراضات من الصعب على كنيستك أن تقبلها؟

٢. يمكنك أن تجعل خدمتك تتكاثر عن طريق مساعدة المؤمنين على القيام بدور المؤثّرين من الداخل. وليس من الضروري أن تكون خبيراً. هل تستطيع مشاركة ما تعلمته من هذا الكتاب مع مؤمن آخر؟ مَنْ هو؟

الجـــزء الثاني

التغلّب على عقــبات جلب الثمـــار

مقدمـــــــة

****

تطرّقنا إلى العمل الذي يقوم به الله اليوم وطرحنا الأسئلة التالية: ما الذي تخبرنا به هذه المعرفة عن مقاصد الله لنا؟ هل لنا دور في ما يفعله؟ ما الدور الذي يريدنا أن نقوم به؟

رأينا أن الله لا يزال يخلق. إنه يخلق هذه المرة **شعباً**، شعباً أبدياً، من كل جيل ومن كل أمة. إنه يخلق شعباً على حساب الصليب ـــ ليكونوا ميراث ابنه. نعم ونحن لدينا دور في هذا العمل.

منذ البدء كان لله شركاء في هذا العمل. ربما يُشركنا في هذا المشروع لأنه يعرف أننا بحاجة إلى هذه الخبرة لكي نصبح أعضاء مؤهّلين في عائلته. وبينما نحن نقوم بعمله، يغيّرنا لنصبح الشعب الملائم الذي يريدنا الله أن نكونه.

إن خطة الله طويلة الأمد، وكانت لديه قبل بدء الخليقة. بدأت هذه الخطة تتضح عندما قال الله لإبراهيم: «وتتبارَكَ فيك جميعُ قبائلِ الأرضِ» (تكوين ١٢: ٣). كان ذلك نحو عام ٢٠٨٦ قبل الميلاد تقريباً. كان إبراهيم ونسله ـــ أولاده وأحفاده ـــ هم البذور التي استخدمها الله ليأتي بهذا الشعب. ثم أتى يسوع، نسل إبراهيم، إلى هذا العالم. وها نحن الآن، من خلال المسيح، **أولاد** إبراهيم. إن الله يعمل من خلال الناس. نحن الآن بذرة اليوم لأجيال المستقبل.

في مركز هذه الخليقة الجديدة نجد رجلاً وحيداً، مولوداً في عائلة عادية في مدينة في الجليل. كرز ذلك الشخص بملكوت لا يمكن لأي أحد أن يراه. من كان يتخيل أنه هو الملك نفسه، وأنه كان يكرز بملكوت أبدي يمتد إلى كل أرجاء العالم ويضع نهاية لكل الشرور.

لقد دُعينا لنشارك في هذا المشروع الفريد والمنقطع النظير. ونحن متواجدون في الموقع الملائم. نبدأ من حيث نحن وبما نملك: مجموعة فريدة من العلاقات التي تتألف من أفراد العائلة، والشبكة الاجتماعية، وزملاء العمل. لدينا ميّزة كوننا مؤثّرين **«من الداخل»** في تلك العلاقات. وسؤالنا التالي هو: ماذا نفعل الآن؟ كيف نندمج ونتواصل مع غير المؤمنين لمجد الله؟ سنعالج هذا السؤال في ما تبقى من هذا الكتاب.

في هذا الجزء سنتطرّق إلى بعض العقبات التي نواجهها في سعينا هذا.
سنناقش أربع عقبات مشتركة بيننا جميعاً. وهي:

١. كفاحنا ضد الخوف: **ماذا سيظن الناس؟**
٢. أسئلة حول سلوك المؤمن: **ماذا لو طُلبَ مني أن أفعل أشياء أعتقد أنها خاطئة؟**
٣. الحصول على الوقت في زمن يعاني فيه الجميع من ضيق الوقت: **لا يوجد وقت لديّ لأقوم بعمل آخر!**
٤. عدم كفاءتنا الشخصية: **أنا لست مستعداً لهذا العمل!**

الفصل السابع

من الخوف إلى الحرية

****

إن فكرة كوننا محاطين بحقل خدمتنا هي دافع قوي لنا. إنها أيضاً تثير أعصابنا! كلّما تأملنا وفكّرنا بما تعنيه هذه الدعوة لنا شخصياً، كلّما تدافعت الأفكار على أنواعها إلى عقولنا. إننا نتجاوب معها بأفكار كالتالي: **لا أشعر بالارتياح بين غير المؤمنين، أو لست مُلّماً بما فيه الكفاية لأقوم بهذا العمل.** ويقلق البعض متسائلين: **أين أجد الوقت للقيام بهذا؟** أو نقلق لأننا غير مؤهلين: **لا أعرف رسالة الخلاص بكاملها.** أو ربما نقول: **من أنا حتى أتواصل مع غير المؤمنين وأكرز لهم في الوقت الذي أحتاج فيه إلى شخص يقدّم لي المساعدة في حياتي الخاصة؟**

هناك موضوع واحد مشترك في جميع هذه التساؤلات. إنه **الخوف**. تنتابنا جميع أنواع الخوف، والخوف يشلّ الإنسان. الخوف، إذاً، هو عقبتنا الأولى. لن نحرز أي تقدّم ما لم نواجهها ونزيلها.

مشكلة الخوف

ربما يكون الخوف هو الشعور الأكثر إزعاجاً وبغضاً لدينا. الخوف ومشتقاته ـــ القلق، التوتر، والهمّ ـــ تتآمر كلّ هذه المشاعر لجعل حياتنا مضطربة ومنـــزعجة. غير أننا لا نستطيع الاستمرار في حياتنا بدون الخوف. لو لم نتعلّم أن نحذر من المدفأة الساخنة والأسلاك الكهربائية لما استطعنا أن نصل إلى مرحلة البلوغ. لا يزال الخوف يقدّم لنا خدمة مفيدة. لقد جعلنا نبتعد عن طريق السيارات القادمة باتجاهنا عندما كنّا ذاهبين إلى العمل اليوم.

هناك مخاوف مفيدة ومخاوف ضارة، والصلة بين النوعين تكون أحياناً واهية لأن المخاوف المفيدة قد تصبح عادات ضارة.

كانت لديّ فرص كثيرة عبر سنوات مضت لأراقب المرسلين الذين يعملون في أماكن خطرة. إن وجود احتمال حقيقي لإلقاء القبض عليهم يدفع هؤلاء الأشخاص ليكونوا حذرين في طريقة ممارستهم للخدمة. إن المخاطر والقيود تفرض علينا هذا النوع من الحذر.

وبمرور الوقت، غالباً ما يصبح الحذر والعمل في الخفاء نمط حياة لهؤلاء الأشخاص دون أن يعوا ذلك. إنهم يحلمون بالعمل والخدمة بطريقة علنية ويتخيلون ما يمكنهم القيام به إن استطاعوا أن يضعوا الحذر جانباً ويعملوا بحرية. ثم تتغير الأوضاع! يستيقظون ذات يوم وقد زالت القيود وسادت الحرية. بعضهم ينتهز هذه الفرصة للخدمة علانية، لكن كثيرين لا ينتهزونها. فقد أصبحوا معتادين على أقفاصهم لدرجة أنهم يرفضون مغادرتها — حتى عندما يكون باب القفص مفتوحاً. إن سلوكهم القائم على الخوف لم يعد مبنياً على المنطق، بل أصبح عادة في حياتهم.

هذا ما يفعله الخوف بنا. إنه يشلّنا ويسجننا. إن المخاوف من المستقبل، والفشل، والنجاح، والناس، والطيران، والأمكنة المغلقة تتآمر لتمنعنا من تحقيق رؤيتنا — أو من التمتع بهذا اليوم الجميل!

هل تعلم أن المسيح مات ليحررنا من هذه المخاوف؟ كتب كاتب الرسالة إلى العبرانيين قائلاً: إن المسيح أصبح إنساناً «لكي يُبيد بالموت ذاكَ الذي له سلطان الموت، أي إبليس، ويُعتِقَ أولئك الذين خوفاً من الموت كانوا جميعاً كلّ حياتهم تحت العبودية» (عبرانيين ٢: ١٤-١٥).

الخوف سلاح أساسي في ترسانة الشيطان. فهو يعرف أنه إذا استطاع أن يخيفنا فلن يكون لديه ما يقلق بشأنه من ناحيتنا فيما بعد. إنه يستطيع أن يلتفت إلى أعمال أخرى لأن الشلل قد أصابنا. ويعرف أيضاً أن الخوف من الموت هو من أسهل المخاوف التي يثيرها فينا. وهكذا يدفعنا للخضوع لإرادته. الكتاب المقدّس مليء بقصص أناس تخلّوا عن دعوتهم لأن الخوف سيطر عليهم بدلاً من أن يسيطر عليهم الإيمان.

مثال على ذلك، عندما اقترب بنو إسرائيل للمرة الأولى من الأرض التي وعدهم الله بها، أرسل موسى اثني عشر رجلاً ليتجسسوا الأرض ويقدموا تقريراً عن الوضع فيها. أصيب الرجال بالدهشة من شيئين شاهدوهما فيها: وفرة إنتاج الأرض، والسكان الجبابرة القاطنين فيها. قرّر عشرة من الرجال أنه بموجب ما شاهدوه لن يستطيع بنو إسرائيل محاربة السكان وامتلاك الأرض. لكن اثنين منهم، كالب ويشوع، شاهدا الأمور ذاتها لكن بعين الإيمان. كانت نصيحة كالب: «إنّنا نصعدُ ونمتلكها لأنّنا قادرون عليها» (عدد ١٣: ٣٠).

ساد رأي الأغلبية، ونتيجة لذلك قضى بضعة ملايين من الناس أربعين سنة تائهين في البرية بدون سبب وجيه. وفي نهاية تلك السنوات الأربعين، وبينما كانوا يستعدّون لدخول تلك الأرض، أعاد عليهم موسى ما قد حصل معهم في المرة الأولى. ذكّرهم بأنهم تذمروا

قائلين: «قد أذابَ إخوتُنا قلوبَنَا قائلين شعبٌ أعظمُ وأطولُ منّا. مدنٌ عظيمةٌ محصّنةٌ إلى السماء.» ثم ذكّرهم موسى أيضاً بجوابه في تلك المناسبة. فقد قال لهم: «لا ترهبوا ولا تخافوا منهم. الرّب إلهكم السّائر أمامكم هو يحارب عنكم» (تثنية ١: ٢٨-٣٠).

الخوف أمرٌ مُعدٍ ينتقل بسرعة، فإذا أصابك تُصبح حياتك خراباً.

الخوف الأكثر شيوعاً

ترعرع سامي وياسمين في بيتين مسيحيين. وهما متزوجان منذ عشر سنوات ويسكنان في منطقتهما منذ ثماني سنوات. ولديهما ولدان عمرهما أربع وست سنوات على التوالي. زواجهما لا بأس به لكنه ليس ناجحاً تماماً حيث يسوده جوّ من التوتّر. غالباً ما تصبح الأجواء عاصفة بينهما، لكنهما يحبان بعضهما بعضاً ومتّفقان على الاستمرار في البقاء معاً.

منذ سنتين قابلا نديم وهيفاء، جيراهما عبر الشارع، في اجتماع لسكان ذلك الحيّ. كانت هناك أمورٌ كثيرة مشتركة بين العائلتين. ترعرعت كلتا العائلتين في مكان واحد، وكان عَمَل الرجلين متشابهاً، وأولادهما بالعمر ذاته.

لاحظ سامي وياسمين بعد فترة قصيرة أن نديم وهيفاء يواجهان صعوبات في زواجهما. وكان يبدو أن زواجهما لن يستمر. كان سامي وياسمين قد تعلّما درساً رئيسياً من صراعاتهما الزوجية، وهو قوة المسامحة. وعرفا أنه لو تمكن نديم وهيفاء من تعلّم هذا الدرس، فإن علاقتهما سوف تتحسن. لكنهما تعلّما أيضاً أن الناس لا يملكون القدرة على المسامحة بدون أن يختبروا أولاً غفران المسيح. فدعوهما مرتين إلى حضور اجتماع الكنيسة معهما. لكن رد فعل نديم وهيفاء كان عدم الاهتمام مما وضع نهاية لتلك المحاولات، وشعر سامي وياسمين بالانزعاج وعدم الارتياح. فتراجعا قليلاً عن صداقتهما لنديم وهيفاء ولم يرغبا في مواجهة حالات رفض أخرى. شرح سامي وياسمين موقفهما كالتالي: «لا نشعر بالارتياح عند التحدث عن الدين. ومن الأهمية بمكان أن يكون الإنسان متفهماً لما يؤمن به الآخرون. وكما تعلمون أن صورة المسيحية الإنجيلية في السنوات الماضية قد انتقدت في الصحافة. وهكذا أصبح هذا الموضوع مُحرّماً.»

هذا الخوف من الرفض الاجتماعي موجود منذ مدة طويلة. لقد شفى يسوع رجلاً كان أعمى منذ مولده. وأصبح هذا الرجل معروفاً في البلدة بسبب عدم قدرته على العمل وجلوسه في المكان نفسه يستعطي من المارة. ثم في يوم من الأيام أصبح بمقدوره أن يبصر! لم يصدّق الناس ما رأوه، فقالوا ربما هذا شخص آخر يشبه الرجل الكفيف. فدعوا والديَ الذي أبصر وسألوهما: «أهذا ابنُكما الذي تقولان إنّه وُلد أعمى؟ فكيف يُبصر الآن؟»

أجابهم أبواه «نعلمُ أنّ هذا ابنُنَا، وأنّه وُلد أعمى» هذا كان كلّ ما رغبا في قوله. ثم ختما كلامهما قائلين: «هو كاملُ السّن. اسألوه فهو يتكلّم عن نفسه» (يوحنا ٩: ١٩-٢١).

يا له من أمر غريب! كنّا نتوقع أن تغمر السعادة الوالدين بسبب ما حدث لابنهما. لكن بدلاً من ذلك نأيا بنفسيهما عن كلّ ما حدث. لماذا؟ تعطينا الفقرة الجواب: «قالَ أبواهُ هذا لأنّهما كانا يخافان من اليهود، لأنّ اليهود كانوا قد تعاهدوا أنّه إن اعترف أحدٌ بأنّه المسيح يُخرَجُ من المجمع» (يوحنا ٩: ٢٢). خاف الوالدان من فقدان مركزهما في المجتمع. كان ذلك هو ذات الخوف الذي عانى منه سامي وياسمين.

سامي وياسمين مدينان للروح القدس لأنه أبقى على عائلتهما متماسكة. وهما يتعلمان كيف يتجاوبان معاً بالنعمة لأمور حياتهما اليومية، ومع ذلك إنهما مقيدان بفكرة ضرورة مشاركة هذه الأخبار الهامة مع عائلة أخرى. الخوف يجعلنا غير عقلانيين.

بـــدون خـــوف

أتساءل في بعض الأحيان عمّا يستطيع الله أن يفعله بواسطتي إذا كنت متحرراً كلياً من الخوف. أعرف عدداً قليلاً جداً من الأشخاص الذين لا يخافون ــ وأتمنى لو أن لديهم بعض الخوف! إنهم جريئون ويحبون المواجهة عند كرازتهم للآخرين لدرجة أنني أخاف على أصدقائي غير المؤمنين عندما يقتربون منهم. ويُوجدون فرصاً للكلام والكرازة حيث لا تُوجد فرص، وبدون أي اعتبار لإيماءات الانفعال والغضب التي تظهر على غير المؤمنين وكأنهم يقولون: «دعني أخرج من هذا المكان»، فإنهم يسترسلون في الكرازة. وعندما تنتهي المواجهة، أبدأ أنا بتعزية المتألمين وتضميد الجراح.

إننا بحاجة إلى قليل من الخوف النافع في علاقاتنا الاجتماعية بذات الطريقة التي يحتاجها المشاة وهم يعبرون تقاطع طرق في ساعة الزحام. إن هذا الخوف يدفعنا لنكون حذرين للمحافظة على حياتنا. وفي علاقاتنا الاجتماعية، يذكّرنا هذا النوع من المخاوف أن نكرز بطريقة تراعي **الثقة المتبادلة والوئام**.

الثقة المتبادلة والوئام يقولان: «أنا أريد أن أصغي إلى ما تريد أن تقوله. أنا أصغي إليك.» إن الشخص الذي لا يراعي الإشارات التي يرسلها غير المؤمنين ويستمر في كرازته بالرغم من عدم وجود ثقة متبادلة ووئام بينه وبين غير المؤمن، غالباً ما يُعطي الانطباع بأنه فظّ وكلامه غير ملائم.

جرأة تعزّز الثقة المتبادلة والوئام

الجرأة ضرورية وأساسية. علينا أن نكون جريئين. كان يسوع جريئاً، والذين تبعوه اكتسبوا جرأته. يقول لوقا: «فلمّا رأوا مجاهرة بطرس ويوحنا... فعرفوهما أنّهما كانا مع يسوع» (أعمال الرسل ٤: ١٣).

أكثر من مرة، كانت طلبة صلاة بولس الرئيسة من أجل أن تكون لديه الجرأة: «ولأجلي... لأعلِمَ جهاراً بسرِّ الإنجيل» (أفسس ٦: ١٩).

نحتاج إلى الجرأة وإلى الثقة المتبادلة والوئام. وعلينا أن نحافظ على التوازن بين الاثنين، لأن أياً منهما قد يقودنا إلى الفشل. يمكن أن يكون للمؤمن علاقة ثقة متبادلة ووئام مع أشخاص آخرين، لكن عليه أن يتكلّم ليقود شخصاً إلى المسيح. وفي المقابل، قد نصرّ على التحدث بجرأة مع شخص لا يريد الاستماع إلينا. إن هذا الشخص لن يؤمن بالمسيح.

لدينا كمؤثّرين مجال محدود من الفرص. إننا نسير عبر ذلك المجال يومياً ونستطيع أن نعدّ الأشخاص فيه. إن لم يكن تصوّرنا للجرأة مرافقاً للثقة المتبادلة، فإننا نخاطر باستقطاب هذه العلاقات. ماذا نفعل عندئذ؟ هل نفتش عن وظيفة جديدة؟ هل ننتقل إلى حيّ آخر؟ ما هي حدود الجرأة الملائمة بالنسبة للمؤثّر؟ إن الجرأة لا يُعبّر عنها دائماً بالكلمات.

أنا شخص خجول نسبياً، وأشعر بعدم الارتياح في حالات معيّنة ــ مثلاً حينما أكون في حفلة داخل غرفة مليئة بالغرباء. أريد الفرار! زوجتي على النقيض. فهي تشعر بالارتياح مع أشخاص لم تقابلهم قبلاً، وتدور الأحاديث معها وحولها بينما أقف أنا صامتاً. فهي تملك جرأة تولّد الثقة المتبادلة والوئام لأنها تنبع من اهتمام طبيعي بالناس. وهي تهرع دائماً لمساعدة شخص غريب بطرق بسيطة مثل مساعدته على ارتداء معطفه. ليس لديها برنامج محدّد. إن الجرأة في محبة الناس دائماً ملائمة. لقد تعلّمت منها أنني عندما أكون جريئاً في التعامل مع الناس بمحبّة، فإن الكلمات بعد ذلك العمل ستخرج بسهولة أكبر.

على المؤثّرين أن يتعلّموا الجرأة بطرق تعزّز الثقة المتبادلة والوئام. كتب الرسول بولس يحث المؤمنين في مدينة كولوسي على القيام بدورهم كمؤثّرين: «استخدموا عقولكم بينما تعيشون مع الذين من الخارج وتعملون معهم. لا تفقدوا الفرصة بل انتهزوا كل فرصة لديكم. ليكن كلامكم بنعمة. الهدف هو إظهار فضائل الشخص الآخر في المحادثة معه، لا أن تحطوا من قيمته أو تقاطعوه» (ترجمة «الرسالة» لكولوسي ٤: ٥-٦).

من الخوف إلى الإيمان

لا مهرب من الخوف. إذا انتظرنا إلى أن نصبح متحررين من الخوف كلياً لنطيع دعوة الله، فسوف يطول انتظارنا إلى يوم وفاتنا. ليس الهدف التحرر من الخوف بل بالأحرى منع الخوف من أن يقيّدنا ويشلّ أعمالنا. الخوف ليس عيباً، وليس خطية. اسمعوا ما قاله بولس عن الخوف في رسالته إلى المؤمنين في كورنثوس:

«وأنا لمّا أتيتُ إليكم أيّها الإخوة، أتيتُ ليسَ بسموّ الكلام أو الحكمة... وأنا كنتُ عندكم في ضعف، وخوف، ورعدة كثيرة. وكلامي وكرازتي لم يكُونا بكلامِ الحكمةِ الإنسانيّة المقنع... لكي لا يكون إيمانُكم بحكمةِ الناسِ بل بقوّةِ الله» (١كورنثوس ٢: ١-٥).

لم يكن بولس كما نتصوّر شخصاً خالياً من الخوف، لكنه وجد طريقة كي لا يسمح لمخاوفه أن تمنعه من ممارسة خدمته، بل استخدمها من أجل الإنجيل. كيف تعتقد أنه فعل ذلك؟ يعطينا الرسول بعض التلميحات في رسائله. دعونا نتفحص ثلاثاً منها.

١. كُنْ شفافاً بالنسبة لمخاوفك

الفقرة التي قرأناها للتو مثال عن كيفية استفادة بولس من مخاوفه. سمح بولس لكلّ شخص أن يعرف ما كان يفكر فيه. لقد طرح مخاوفه أمام إخوانه وأخواته وطلب منهم أن ينضموا إليه في الصلاة إلى الله من أجل مخاوفه. «ولأجلي... لأعلِمَ جهاراً بسرِّ الإنجيل» (أفسس ٦: ١٩).

الصلاة خط دفاعنا الأول ضد الخوف. لقد واجهت الكنيسة الناشئة بعد وقت قصير المتاعب مع السلطات في أورشليم. كانت السلطات قد اعتقلت بطرس ويوحنا لأنهما أخلاّ بالنظام العام بكرازتهما الجريئة وهددتهما بعقاب شديد إن هما استمرا في ذلك.

بعد إطلاق سراحهما، أعاد بطرس ويوحنا سرد ما حدث معهما للكنيسة. ربما شعر المؤمنون بالخوف فبدأوا يصلّون. بدأوا صلاتهم بتركيز أنظارهم على مَنْ كانوا يصلّون إليه. «أيّها السيّد أنتَ هو الإله الصّانع السّماء والأرضَ والبحرَ وكلّ ما فيها.» في سياق مراجعتهم لقدرة وسيادة الله، أنهوا صلاتهم بهذه الكلمات: «والآن يا رب، انظر إلى تهديداتهم، وامنح عبيدَكَ أن يتكلّموا بكلامكَ بكلّ مجاهرة» (أعمال الرسل ٤: ٢٤، ٢٩). عندما نفحص مخاوفنا في ضوء عظمة الله، فإنها تبدو مختلفةً.

إذاً، كيف نتعامل مع مخاوفنا؟ نعبد الله ونسبّحه.

٢. اسأل الله أن يعطيك الكلمات التي تحتاجها

تصبح مشاعر الخوف المبهمة لدينا أكثر تحديداً عندما نعلم أن هناك فرصة مواتية للتحدث عن المسيح. **ماذا سأقول؟** ثم ينتابنا القلق. لو عرفنا فقط ما كنّا سنقوله، لكان الأمر أسهل بكثير.

اختبر الرسول بولس هذا الخوف نفسَه وأضافه إلى قائمة طلبات الصلاة الخاصة به. «ولأجلي، لكي يُعطى لي كلامٌ عند افتتاح فمي... لكي أجاهرَ فيه كما يجب أن أتكلّم» (أفسس ٦: ١٩-٢٠).

صلّى بولس ليعطيه الله الكلمات المناسبة في الوقت الذي يحتاجها فيه. صلّي المؤمنون في أورشليم صلاة مشابهة. قالوا: «وامنح عبيدَكَ أن يتكلّموا بكلامكَ بكلّ مجاهرة» (أعمال الرسل ٤: ٢٩). بإمكاننا أن نثق بالله ليعطينا الكلمات المناسبة وسط مخاوفنا.

يضيف الرسول بطرس بعض كلمات الحكمة والإرشاد إلى ما سبق. كتب قائلاً: «مستعدّين دائماً لمجاوبة كلّ من يسألُكم» (١بطرس ٣: ١٥). إنه يقول فكروا بما ستقولونه عندما تسنح لكم الفرصة للتحدّث عن المسيح. أعدّوا أجوبتكم قبل الأوان.

وجدت أن الوقت الأكثر ملاءمة للقيام بهذا هو عندما أكون قد ضيّعت للتو فرصة، فأعيد مراجعة ما حدث وأفكر بما كان بإمكاني أن أقوله أو أفعله بطريقة مختلفة. الحقيقة هي أن الفرص تعود ثانية. ولذا، أريد أن أكون مستعداً عندما تظهر ثانية.

٣. اقبل مخاوفك كفرصة أمامك

اسمح لمخاوفك أن تعمّق ثقتك واتكالك على الله. هل تعلم أن مخاوفك وضعفاتك قد تعمل لفائدتك؟

في إحدى فقرات الكتاب المقدّس يصف الرسول بولس المكانة الكبيرة التي لضعفاته في خدمته. كان يعاني من مشاكل جسدية أضعفته و»عذبتّه». ولأنه تخيل كم كان باستطاعته أن ينجز لو أنه تحرّر منها، صلّى مراراً أن يشفيه الله منها. لكن الله أجابه: «قوّتي في الضّعفِ تُكمَلُ» (٢كورنثوس ١٢: ٩). أي أن هذه المشاكل جعلت بولس يدرك محدودياته لدرجة أنه لم يحاول أن يفعل شيئاً بقوته الشخصية. وعرف أنه لا بديل لديه إلا أن يستقي من قوة المسيح. فأنهى شرحه لوضعه بهذه الكلمات: «لأنّي حينما أنا ضعيفٌ فحينئذٍ أنا قويٌّ» (٢كورنثوس ١٢: ١٠).

قد تقودنا مخاوفنا أيضاً إلى إحساس متعاظم لدينا بحضور الروح القدس. إن إطاعة إرشاد الله تضعنا حتماً في مواقف مخيفة. وهو سيقودنا إلى مواقف أصعب مما يمكننا مواجهتها، أي إلى حالات وأوضاع لن يستطيع أحد سواه أن يساعدنا فيها، أو إلى أعمال لن يستطيع أحد غيره أن يفعلها. هذا ما يجب أن يحدث، وإلاّ كيف سنتعلّم المزيد عنه؟ إذا قمنا بالأعمال التي نستطيع أن نقوم بها على أي حال فأين مكانة «الإيمان بالله»؟ وإذا رفضنا أن نتبعه إلى هذه الحالات الصعبة، سنبقى في حالة فقر روحي ولن ننضج أبداً.

إما أن نسمح لمخاوفنا أن تعمل لفائدتنا، أو نسمح لها بإضعافنا. إذا قبلنا وجود هذه المخاوف ووضعناها أمام المسيح، ستقودنا إلى إيمان قوي وأكثر نضجاً. لكننا لن نتحرّر من المخاوف أبداً. هناك دائماً رائحة الخوف قرب مدرسة الإيمان!

خاتمـــة

هناك بطاقة مكتوب عليها آية موضوعة على مكتبي وأردّدها دائماً. إنها صلاتي الشخصية بالنسبة لمسألة الخوف هذه. تقول هذه الآية: «حسبَ انتظاري ورجائي أنّي لا أخزى في شيءٍ، بل بكلّ مجاهرةٍ كما في كلّ حين، كذلك الآن، يتعظّم المسيح في جسدي، سواءٌ كانَ بحياة أم بموت» (فيلبي ١: ٢٠). إذاً بحثت في داخلي لأجد هذه الجرأة، فلن أجدها. لكن عندما أنظر إلى الروح القدس لأحصل عليها، فلن يخيب أملي أبداً.

أسئلة للمناقشة

١. عندما تفكّر أن تعيش كمؤثّر بين غير المؤمنين من أفراد عائلتك وأصدقائك وجيرانك وزملائك في العمل، ما هي المخاوف التي تنتابك؟ اقرأ القائمة أدناه وأضف بعض المخاوف الأخرى التي قد تنطبق عليك: أخاف أن:

* يرفضني الآخرون. * أكشف عن عدم كفاءتي في التحدث إلى الآخرين عن الإنجيل. * أكشف عن مشاعري. * أكشف عن ضعفاتي الشخصية أو في حياتي الروحية. * أقول أشياء خاطئة. * يلّقبني الناس بألقاب خاصة. * أخسر صداقتي مع ذلك الشخص. * أفشل.	* لا أتمكن من الخدمة بسبب انشغالي. * أشرك أفراد عائلتي معي. * أتأثر بمعتقدات أو قيم غير مقبولة. * أخسر وقت راحتي. * يبدي غير المؤمن اعتراضه على ما أقول. * * * * *

٢. بأية طريقة تسيّطر هذه المخاوف على أعمالك؟

٣. برجاء قراءة الآيات التالية التي تتحدث عن كيفية التغلّب على مخاوفك:

* مزمور ٣٤: ٤
* إشعياء ٦: ١-١٢
* أعمال الرسل ٤: ٢٣-٣١
* ١كورنثوس ٢: ١-٥
* ٢كورنثوس ١٢: ١-٩
* أفسس ٦: ١٩-٢٠
* فيلبي ١: ١٩-٢٦
* يعقوب ١: ٥-٧
* ١يوحنا ١: ٧

ـــ أية ردود فعل في هذه الشواهد تتوقع أن تكون الأكثر فائدة لك؟ وأية ردود فعل للمخاوف تقاومها؟ هل اختبرت أية ردود فعل للخوف من هذه الاستجابات؟

٤. ما الخطوة التي يمكنك اتخاذها هذا الأسبوع للتغلّب على أحد المخاوف المتعلّقة بالمؤثّر؟

الفصل الثامن

من الانعزالية إلى الحرية

****

آمن والداي بالمسيح قبل زواجهما بوقت قصير. وبعد ثلاث سنوات أسسا بيتهما، وافتتحا محلاً لبيع المأكولات، وأنجبا أول ولدين من ستة أولاد: أختي الكبيرة جوانا، وأنا.

كانا يعملان بجدّ لإزدهار عملهما التجاري، والنمو في إيمانهما، وتربية أولادهما. حفظت غيباً بضع آيات من الكتاب المقدّس بينما كانت والدتي تُلبسني ثيابي يومياً.

عندما بلغت التاسعة انتقلنا من بلدتنا الصغيرة إلى مدينة كبيرة. أراد والدي أن يتابع تعليمه. عندما استقرينا في المدينة الكبيرة، انضمّت عائلتنا إلى كنيسة صغيرة وبدأنا نشارك بأنشطتها. إن السلوك كمؤمنين كانت إحدى القيم الرئيسة في بيتنا.

بسبب هذا الوضع، ترعرعت وأنا أشعر أنني مختلف عن بقية أصدقائي. لقد كنّا نؤمن بالمسيح ونذهب إلى الكنيسة، كما كنّا نصرف يومياً وقتاً في العبادة العائلية. بالإضافة إلى هذا، كان لدينا قائمة من المحظورات تتقيد بها كنيستنا في ذلك الوقت: السينما ممنوعة، الرقص ممنوع، لعب الورق (كوتشينة) ممنوع، شرب الكحول والتدخين ممنوعان أيضا. ولذا، أصبح الاشتراك في أنشطة اجتماعية مع زملاء الدراسة بينما كنت أتقيد بهذه القائمة، أمراً محرجاً وعسيراً، خاصة في سنوات مراهقتي. كنت أستطيع أن أجاري أصدقائي إلى حدّ ما، ثم كان عليّ أن أنسحب. وكنت إذا قبلت دعوة للذهاب إلى حفلة ما، أعرف أنني سأواجه لحظات محرجة وصعبة. كان أصدقائي سيرقصون ويشربون الجعة (البيرة)، فكان من الأسهل أن أرفض الدعوة.

وضعتني هذه الحالة على هامش كثير من الأنشطة الاجتماعية الخاصة التي كان يقوم بها زملائي في المدرسة الثانوية. اعتقد أصدقائي أنني انعزالي. لكنني لم أر مخرجاً من هذا الوضع. كنت أكنّ الاحترام الشديد لوالديّ، ولذا لم أفكر مطلقاً في عدم إطاعتهما. وعلاوة على ذلك، كانت إحدى الآيات التي حفظتها غيباً بينما كانت والدتي تساعدني على ارتداء ثيابي هي (٢كورنثوس ٦: ١٧) «لذلك اخرجوا من وسطهم واعتزلوا، يقول الرّب. ولا تمسّوا نجساً». لقد فنّدت هذه الآية أي تبرير أو حجة كانت لديّ. وتوصلت إلى نتيجة مفادها أن

المؤمنين لا يمكنهم أن يشعروا بالراحة في صحبة غير المؤمنين.

كان من الممكن أن أعيش بسرور وسلام بقية حياتي منعزلاً في ذلك الحيِّز الصغير والغريب من أنواع السلوك الممنوعة، لو لم أنتقل أنا وزوجتي إلى البرازيل كمرسلين ناقلين الأخبار السارة إلى شعبها. ذهبنا بسبب الإنجيل.

قررنا أن نبدأ خدمتنا بين طلاب الجامعات. كان هؤلاء الطلاب قد قطعوا كل علاقاتهم بالكنيسة بسبب اتجاهاتهم الماركسية. فلو أردنا الاتصال بهم والتحدث معهم، لوجب علينا أن نتواصل معهم في مستواهم ومجالات تفكيرهم. ولم يكن يبدو أن لديهم أي اهتمام ببرامجنا، وكان يساورهم الشك بخصوص منظمتنا والمواد التي لدينا.

لم يكن لدينا إذاً أي مكان نختبيء فيه طالما أنه لم تكن لدينا أية برامج أو كنيسة ندعو الناس إليها. وجدنا أنفسنا وجهاً لوجه مع الأشخاص الذين أرسلنا لنكرز لهم. وكاد مفهومي عن طبيعة العلاقات بين المؤمنين وغير المؤمنين أن يزول ويندثر، أصبحت لكلمات بولس في (١كورنثوس ٩: ٢٠-٢٣) أهمية جديدة بالنسبة لنا. يقول بولس في هذه الآيات: «فصرتُ لليهودِ كيهوديٍّ... وللذين تحتَ النّاموس كأنّي تحتَ النّاموس... صرتُ للكلِّ كلَّ شيءٍ، لأخلِّصَ على كلِّ حالٍ قوماً. وهذا أنا أفعلُهُ لأجلِ الإنجيل.» بالنسبة إلى بولس، ينبغي على الكارز أن يتكيّف مع الذين يسعى للكرازة لهم. كانت هذه فكرة جديدة. وخلال السنوات اللاحقة تعلّمنا ما تعنيه هذه الفكرة في الواقع، لكن خطوة فخطوة.

ابتدأت أتعلّم هذه الدروس بشكل جدّي في اليوم الذي قبلت فيه دعوة لأزور أحد الأشخاص الذين تعرفت عليهم في الشارع. عندما وصلت إلى شقته، سألني عمّا أريد أن أشرب. كانت خياراته الخمر أو الفودكا. وبينما كان يهرع نحو الباب ليشتري المشروب الغازي الذي طلبته، ذكّرني الروح القدس بهذه الآية في (١كورنثوس ١٠: ٢٧) «وإن كان أحدٌ من غير المؤمنين يدعوكم، وتُريدون أن تذهبوا، فكلّ ما يُقدّم لكم كلوا منه غير فاحصين، من أجل الضّمير» فتوضّح لي أنني لم أكن أرضي الله ولا حتى الناس!

ثم تعلّمت أن ألعب *Truco* وهي لعبة الورق (كوتشينة) التي يحبها الطلاب البرازيليون ويلعبونها حتى الساعة الثالثة صباحاً. وتعلّمت كيف أصرخ في وجه حكم المباراة في مباريات كرة القدم، وتعلّمت أيضاً كيف أستخدم الكلمات المناسبة وكيف أناقش الحقائق العظيمة عن الله بلغة الشارع. وخلال السنوات التي قضيناها هناك جعلتنا الدروس العديدة التي تعلّمناها نشعر بارتياح متزايد مع أصدقائنا غير المؤمنين وجعلتهم هم أيضاً يرتاحون معنا. كنا نتعلّم كيف نعيش كمؤثّرين من الداخل.

مشكلة التمسك بالناموس

في الوقت الذي آمن فيه أوائل أصدقائنا البرازيليين بالمسيح وابتدأوا ينمون في إيمانهم، أدركت أن أفكاري التي كونتّها عن سلوك المؤمن لم تكن مرتكزة على الكتاب المقدّس وإنما على الثقافة التي ترعرعت فيها. كان من الواضح أنني لم أستطع أن أعبّر عن حيرتي هذه. ثم تساءلت عمّا يمكنني أن أقدمه لهؤلاء المؤمنين الجدد. بدأت أبحث في الكتاب المقدّس. كنت أفتّش عن الحقائق التي تُرشدهم إلى تطوير نمط حياة يمجّد ويرضي المسيح، وتساعدهم على الانضباط في حياتهم، وفي الوقت نفسه يكون هذا النمط جذاباً لأصدقائهم غير المؤمنين. باختصار، كان ينبغي علينا أن نساعدهم على أن يتجنبوا الوقوع في فخ التمسك بالناموس.

اندهشت كثيراً عندما اكتشفت الحيّز الكبير الذي يفرده العهد الجديد لهذا الموضوع. إذا كنّا نستطيع أن نقيس أهمية حقيقة ما بمقدار الاهتمام الذي يخصّها به الكتاب المقدّس، فإن هذه الحقيقة تُعتبر عظيمة. التمسّك بالناموس قضية رئيسة في الكتاب المقدّس. إنها موجودة في الأناجيل، وفي صميم أعمال الرسل، وفي إصحاحات عديدة تتحدث عن هذا الموضوع في الرسائل.

في الأناجيل

ترد عبارة "تقليد الشيوخ" مراراً في الأناجيل. كان هذا التقليد عبارة عن مجموعة من القوانين والتعليمات المحدّدة المحفوظة شفهياً والتي أعطت تفاصيل إضافية لستمائة وثلاث عشرة وصية لموسى. وكانت تذكر بالتفصيل الخطوط الفاصلة بين إطاعة هذه الوصايا وعصيانها. كانت هذه القوانين تُملي على الناس ما يمكنهم أن يفعلوه أو لا يفعلوه يوم السبت، وما هو العُشر، وأية قواعد يحفظونها ومتى يحفظونها، وأموراً كثيرة أخرى حتى أصبحت تسيطر على جميع جوانب الحياة اليومية.

كان "تقليد الشيوخ" نقطة الجدل والخلاف بين يسوع والكتبة والفريسيين. (في نهاية المطاف، برّر اليهود صلب يسوع بهذه القوانين). رفض يسوع هذه القوانين لأنها كانت مجموعة من الوصايا من صنع الإنسان ولأنها كانت تُستخدم كمقياس رسمي لما هو صحيح أو خطأ. لكنها كانت بديلاً سيئاً عن معايير الله ـــ خاصة لأن الفريسيين وجدوا طريقة لإطاعة هذه الوصايا حرفياً بينما كانوا يعيشون في الوقت نفسه كما يريدون. ولهذا السبب دعاهم يسوع بالمرائين. وقال لهم: "تُغلقون ملكوتَ السمواتِ قدّام النّاس، فلا تدخلون أنتم ولا تدعون الدّاخلين يدخلون" (متى ٢٣: ١٣).

كان الفريسيون متمسكين بالناموس، أي أنهم أضافوا قوانين إلى كلمة الله ثم اعتبروا أن كلمة الله وهذه القواعد لديهما سلطة متساوية. إن التمسك بالناموس عقبة في طريق الإيمان وهو يتعارض مع النعمة التي هي لبّ الإنجيل. وتصبح قواعد الناموس هذه سلّماً مزيّفاً للحصول على الخلاص.

في أعمال الرسل

تركّز أول خلاف رئيسي في الكنيسة الأولى حول قضية التمسك بالناموس ذاتها. ابتدأت الكنيسة كحركة بين اليهود. ثم انتقلت بمرور الوقت إلى الأمم المجاورة، بين الأمميين. ولدينا في "أعمال الرسل ١٣" القصة التي تسرد كيف أرسلت كنيسة أنطاكية بولس وبرنابا للكرازة بالإنجيل إلى الأمم. قادتهم رحلتهم التبشيرية الأولى إلى إقليم غلاطية حيث كرزا بالإنجيل الذي أعلنه الروح القدس إلى بولس — أي أن "الأمم شركاءُ في الميراث والجسد..." (أفسس ٣: ٦). بدون أن يتحولوا إلى اليهودية ليحصلوا على هذا الامتياز.

لكن هذه الرسالة لم تُرضِ بعض المؤمنين في أورشليم. فانطلق العديد منهم إلى غلاطية لتصحيح الأوضاع لأنهم كانوا مقتنعين بأن عاداتهم كانت جزءاً من الإنجيل. فساروا في الطريق الذي سلكه الرسل يصحّحون ما كانوا يرونه مناسباً لدى المؤمنين الجدد.

كان رد فعل بولس مباشراً وواضحاً. "إن كان أحدٌ يُبشّركم بغير ما قبلتم، فليكن أناثيما" (أي ملعوناً) (غلاطية ١: ٩). أدرك بولس أن أي شيء يُضاف إلى إنجيل النعمة بالإيمان سوف يلغيه.

أصبحت تلك القضية موضوع نزاع كامل. فاجتمع قادة الكنيسة بأكملها، الرسل والشيوخ، في أورشليم لتسويتها. كان السؤال المطروح: ما هو السلوك المطلوب من المؤمنين الأمميين؟ هل ينبغي عليهم أن يمتثلوا أو لا يمتثلوا للعادات اليهودية لكي ينالوا الخلاص؟

عند افتتاح جلسة المجلس، كان بولس وبرنابا أول المتحدثين. فوصفا ثمار عمل الله بين الأمم. ثم وصف بطرس ما تعلّمه عن هذا الموضوع من خبرته مع كرنيليوس. ثم أعطى يعقوب، أخو يسوع، الكلمة الختامية. قال يعقوب: "أنا أرى أن لا يُثقّل على الرّاجعين إلى الله من الأمم" (أعمال الرسل ١٥: ١٩). كان القرار ينصّ على أن المؤمنين من الأمم لا يتوجب عليهم أن يمتثلوا للعادات اليهودية. إن عمل أي شيء خلافاً لذلك سيكون عبئاً غير ضروري على المؤمنين الجدد ويجعل الاستجابة للمسيح أكثر صعوبة.

تخيّلوا القضية التي كانت على المحّك في ذلك الجدال. ماذا كان سيحدث لو سارت

المناقشة في الاتجاه المعاكس؟ لو كان المجتمعون قد قرروا أن المؤمنين من الأمم ينبغي أن يمتثلوا للعادات اليهودية ويختتنوا ويتمسكوا بالأعياد الخاصة، لكان انتشار الإنجيل قد توقف حيث وصل، ولكان الإنجيل قد أصبح من الممتلكات اليهودية، وما كان قد وصل إلينا اليوم. كانت حرية حركة وانتشار الإنجيل، أي قدرته على الانتشار بين الأمم، على المحّك في ذلك الجدال.

في الرسائل

تُفرِد الرسائل أيضاً مكاناً كبيراً لقضية السلوك والتمسك بالناموس. فقد تمّت مناقشتها في رومية ١٤؛ وكورنثوس الأولى الإصحاحات ٨ و ٩ و ١٠ ؛ وكورنثوس الثانية ٦؛ في رسالة غلاطية كلها؛ كولوسي الإصحاح الثاني؛ وفي عبرانيين ٥.

رأينا في الأناجيل أن التمسك بالناموس عقبة في طريق الإيمان. وفي أعمال الرسل رأينا أنه عقبة في سبيل انتشار الإنجيل. والآن في الرسائل، يمثّل التمسك بالناموس عقبة في طريق النضوج الروحي. وضع بولس أصبعه على العلاقة بين الاثنين بهذا السؤال: "أهكذا أنتم أغبياء! أبعدما ابتدأتم بالرّوح تُكمّلون الآن بالجسد" (غلاطية ٣: ٣). إن إطاعة الوصايا بحرفية الناموس ليست السبيل إلى النضوج الروحي. لكنها، بدلاً من هذا، بديل رخيص للنضوج الروحي الحقيقي. إنها تتجنب عمل التغيير العميق وتكتفي بدلاً منه بالإصلاح والامتثال الديني فقط.

طرح بولس سؤالاً على بعض المؤمنين في كولوسي ممّن وقعوا في هذا الفخ: "إذاً إن كنتم قد متّم مع المسيح... فلماذا كأنّكم عائشون في العالم... لا تمسَّ! ولا تذُق! ولا تجسَّ!" ثم شرح المشكلة: "التي هي جميعُها... حسبَ وصايا وتعاليم النّاس، التي لها حكايةُ حكمة... ليس بقيمة ما من جهة إشباع البشريّة" (كولوسي ٢: ٢٠-٢٣). يمكن لشخص ما أن يطيع كل القوانين والوصايا، ويبدو إنساناً صالحاً أمام الآخرين، لكنه في الوقت ذاته يعاني من صراع في داخله بخصوص الشهوات البشرية. إن حِفْظ الوصايا بحرفية الناموس ما هو إلا طلاء خارجي يخفي حالة القلب الحقيقية.

النقاوة، حرية الحركة، والنضوج

قبل ذهابي إلى البرازيل رأيت ما يلي. تعرضت هذه المُثل العليا الثلاثة ـــ نقاء الإنجيل، حرية انتشاره في المجتمع، ونضوج الذين يؤمنون بالمسيح (وهي جوهر كلّ ما كنّا نسعى لتحقيقه) ـــ للخطر بسبب قضية التمسك بالناموس. كنت أستطيع أن أرى ما كنّا نسعى لعمله مهدداً بالفشل. كنّا نبذل الجهود الحثيثة لنوضّح أن العلاقة مع المسيح متاحة بواسطة

النعمة وأنه لا يمكن إضافة أي شيء آخر مطلقاً إليها. لكن بدأ السؤال التالي: ما هو السلوك الصحيح؟ (ما هو المسموح وما هو المحظور في الحياة المسيحية)؟ يُهدد بتغيير هذه الرسالة. كلّ ما كان علينا أن نفعله هو أن نعطي الناس قائمة بأنماط السلوك المقبولة وغير المقبولة، والتي تفرضها علينا بعض المؤثرات الخارجية، لنتابع سيرنا ـــ لكن في الاتجاه الخاطيء.

رأيت هذه الأمور تحدث في عملية زرع الكنائس حيث يخضع المرسل للضغوط لكي يقدم للمؤمنين قائمة بأنماط سلوك مغايرة بعض الشيء للقائمة التي ترعرعت أنا بموجبها. وقد أدّى هذا العمل إلى خلق بيئة ثقافية منعزلة بالنسبة لهؤلاء المؤمنين الأوائل. وكان سلوكهم يبدو غريباً في نظر عائلاتهم وأصدقائهم لدرجة أن إمكانية رؤية أجيال روحية أخرى قد زالت. إن جدران التمسك بالناموس كانت فاصلاً بينهم كمؤثرين من الداخل وبين الوصول إلى عائلاتهم وأصدقائهم والكرازة لهم بالإنجيل.

ثم اكتسبنا بُعداً آخر لفهمنا لهذه القضية عندما بدأ ماريو، الذي كان قد آمن بالمسيح لتوه، بشرح السبب الذي دفعه لمغادرة الكنيسة في سن العاشرة وتصميمه على عدم العودة إليها. كان يشعر أن الكاهن يستخدم الخوف للسيطرة على الناس والتلاعب بهم. كانت رسالته: إن لم تواظبوا على حضور القدّاس وتقوموا بواجباتكم الدينية الأخرى، فإنكم سوف تهلكون في جهنم. فكان رد فعل ماريو على استخدام أسلوب التخويف هذا أن صمّم على المخاطرة بمصيره خارج الكنيسة.

من خلال هذه القصة وقصص أخرى مشابهة، أدركت أننا كنّا نجاهد ضد قضية التمسّك بالناموس هذه على كلا الجانبين: كان على حامل الرسالة وعلى الذين يستلمون الرسالة أن يتغلبوا على تقيّدهم بالناموس لكي ينتشر الإنجيل بحرية. كانت تلك مرحلة حاسمة جداً في مسيرتنا معاً. إن نقاوة رسالة النعمة، وحرية انتشارها بين عائلات وأصدقاء المؤمنين الجدد، وبالتالي نضوجنا الروحي، كانت جميعها تعتمد على كيفية معالجتنا لهذه القضية. كنا بحاجة إلى أجوبة جديدة من الله!

ثلاثة أنماط من السلوك

إذاً، ماذا يطلب منّا الله بخصوص نمط حياتنا؟ يحدّد لنا الكتاب المقدّس ثلاثة أنواع من السلوك. هناك أنماط من السلوك دائماً صحيحة وصائبة. وهناك أنماط دائماً خاطئة، وهناك مسائل مثيرة للجدل (رومية ١٤ : ١) ـــ أي مسائل قد تكون صحيحة أو خاطئة بناءً على السياق.

يعطينا بولس ملخّصاً عن أنماط السلوك الخاطئة دائماً. كتب يقول: "وأعمالُ الجسدِ

ظاهرةٌ، التي هي زنىً عهارةٌ نجاسةٌ دعارةٌ عبادة الأوثان سحرٌ عداوةٌ خصامٌ غَيرَةٌ سخطٌ تحزّبٌ شقاقٌ بدعةٌ حسدٌ قتلٌ سُكرٌ بَطَرٌ، وأمثال هذه.'' ثم بعد ذلك أورد وصفاً لأنماط السلوك الصحيحة دائماً؛ إنها أنماط تناسب كل مكان مهما كانت الثقافة السائدة. هذه الأنماط هي: ''محبةٌ فرحٌ سلامٌ، طولُ أناةٍ لطفٌ صلاحٌ، إيمانٌ وداعةٌ تعفّفٌ. ضد أمثال هذه ليسَ ناموسٌ'' (غلاطية ٥: ١٩-٢٣).

ربما يطرح أحدهم الآن السؤال التالي: ألم نكن نتحدّث عن تجنّب قوائم السلوك لكي لا يقع الناس ضحية التقيّد بالناموس؟ أليست هذه الأنماط قائمة من السلوك المقبول وغير المقبول؟

نعم، هذا كلام صحيح. بإمكاننا أن نعلّق هذه القائمة على الجدار مثل نسخة منقّحة للوصايا العشر. ثم نبدأ بإطاعتها. لكن النتائج ستكون كارثية مثلما كانت بالنسبة للمجموعة الأولى من القوانين والوصايا. إننا سنفشل في إطاعتها. هذه هي الفكرة الأساسية في الإنجيل.

علينا أن ندّقق النظر بسياق هذه الفقرات. إن بولس لا يعطينا قائمة لنطيعها. إنه يصف ما نتوقع أن يفعله الروح القدس فينا. إنه يبدأ الفقرة بهذه الكلمات: ''وإنّما أقولُ اسلكوا بالرُّوح فلا تُكمّلوا شهوة الجسد''. ثم عندما ينتقل إلى أنماط السلوك الصحيحة، يبدأ وصفه بإطلاق عبارة ''ثمر الروح'' عليها. (غلاطية ٥: ١٦-٢٢).

هناك فرق شاسع بين الخضوع للروح القدس والخضوع للتعليمات البشرية. إن ثمر الروح يأتي من الروح. إنه الثمر الخارجي لعمله الداخلي فينا. والتأثير واضح على الذين يراقبون هذا الثمر. إن التغيير الحقيقي من الداخل يُذهل الذين يعرفوننا جيداً. إنهم لا يصدّقون أننا تغيّرنا حقاً. إن روعة التغيير تجذب الذين يلاحظوننا للتدقيق في الأمر. لكن عندما نعطي الانطباع بأن ديننا هو مجموعة من القواعد والوصايا التي نطيعها ونحاول فرضها على الآخرين فإنهم سيهربون!

بعض أنماط السلوك دائماً صحيحة. وبعضها دائماً خاطئة. هذا أمر واضح. لكن ماذا بشأن ''الأمور المتخالفة''؟

استخدم بولس هذا المصطلح ''الأمور المتخالفة'' ليشير إلى أسئلة تتعلق بأنواع السلوك التي لا يتطرق إليها الكتاب المقدّس. أحد هذه الأمور في أيام بولس كان الذهاب إلى الهيكل وتناول الطعام المقدّم للأصنام. إن قائمة الأمور المتخالفة تتغير باستمرار بتغيّر ثقافتنا. وعبر

القرون ظهرت أمور كثيرة على هذه القائمة تتراوح بين ارتداء الثياب الملونة والنوم على فراش مريح. وعندما نعود بنظرنا إلى الماضي، تبدو قائمة الأمس بالأمور المتخالفة دائماً غريبة، مثل التي كانت موجودة في صغري منذ خمسين سنة. يبدو أن الناس يدافعون عن قوائمهم الخاصة بهم بكلّ حماس، وكأنهم يدافعون عن الإيمان نفسه!

من السهولة بمكان أن نقع في تجربة الجدال الساخن حول قضايا السلوك. لماذا نفعل ذلك؟ أنا أعتقد أن السبب يكمن في أن طبيعتنا البشرية تميل إلى توجيه ضمائرنا لتحكم بموجب معتقداتنا. الأمور المتعلّقة بالضمير، بحسب تعريفها، عميقة جداً. ونحن نتجاوب عاطفياً معها. إذاً، في هذه الأمور المتخالفة، علينا التعامل مع ضمائرنا كما أن علينا التأكد من أن لا نكون عثرة لدى ضمير الشخص الآخر. يقول الكتاب المقدّس: "كونوا بلا عثرة لليهود ولليونانيّين ولكنيسة الله" (١كورنثوس ١٠: ٣٢). إن الناس يعثرون عندما يُدفعونَ للسلوك بطريقة تخالف ضمائرهم.

ربما تقول إنك في هذه الحالة حائر ولا تعرف ما ينبغي عمله. فمن ناحية ينبغي عليّ أن أهتم بضمائر الآخرين أيضاً. لكن لا شك أن ضمير أحدهم في مكان ما سيكون ضد أي عمل أقوم به. وأنا أعرف أنني إن خالطت أصدقائي غير المؤمنين فإنني سأكون عثرة لبعض أصدقائي المؤمنين. ولكنني أعرف أيضاً أنه إن سمحت لضمائر أصدقائي المؤمنين أن تقرر سلوكي، فلن يكون لديّ أصدقاء غير مؤمنين. هذا ما واجهته أنا عندما كنت مراهقاً، وهذا ما يشعر به كثير من الذين يصمّمون على العيش كمؤثّرين من الداخل. كيف نحل هذه المشكلة؟

مبـــدآن

يحدّد الكتاب المقدّس مبدأين يرشداننا عندما نقرّر ما ينبغي عمله عندما نواجه قراراً يتعلق بمسألة متخالفة. إنهما مبدأ المحبة ومبدأ ضبط النفس.

مبـــدأ المحبـــة

ذكر بولس هذا المبدأ في رسالته إلى رومية، عندما كتب: "لأنَّ من أحبَّ غيره فقد أكملَ النّاموس... وإن كانت وصيةً أخرى، هي مجموعة في هذه الكلمة أن تحبَّ قريبك كنفسك. فالمحبّة هي تكميل النّاموس" (رومية ١٣: ٨-١٠).

كيف نتّخذ قراراً بالنسبة لقضية مثيرة للجدل؟ يبدو الأمر واضحاً بموجب هذه الآية. إن كلّ ما عليّ أن أفعله هو أن أسأل نفسي: كيف أستطيع في هذه الحالة أن أظهر المحبة لهذا الشخص؟ عندما أطرح هذا السؤال، أستطيع أن أفترض أنني اتخذت القرار الصائب.

وسأكون على صواب في معظم الأوقات لكن ليس دائماً. وهناك اعتبار آخر لأنه يجب أن أطرح سؤالاً آخر: هل أستطيع شخصياً أن أتعامل مع هذا الاختيار أو القرار؟ علينا أن نطبّق مبدأ ضبط النفس أيضاً.

مبـــدأ ضبط النفس

مضى على إتّباع رامي للمسيح ستة أشهر تقريباً. بدأ يفكّر بالله أثناء مشاركته في برنامج من اثني عشرة خطوة للمدمنين على المخدرات. بينما كان يصلي "للقوة العظمى"، بدأ يفكر في الله. وتساءل إن كان الله بالفعل موجوداً، وإذا كان موجوداً، فماذا يشبه. عندما انضمّ رامي إلى مجموعة دراسة الكتاب المقدّس في أحد المكاتب، بدا عليه أنه تعرّف على يسوع من أول نظرة. كانت حياة رامي قد تحطّمت بسبب إدمانه وعاداته السيئة العديدة، لكن عملية الشفاء التي تجري الآن تبدو بوضوح على وجهه.

أعلن رامي منذ فترة وجيزة أنه صمّم على عدم العودة إلى مخالطة أصدقائه القدامى. وهكذا بدأ في قطع صلاته بكل أصدقائه القدامى. وجد رامي أن هذا القرار صعب ومؤلم — لكنه ضروري. إنه يطبّق مبدأ ضبط النفس. يقول هذا المبدأ "كلُّ الأشياء تحلّ لي، لكن ليسَ كلُّ الأشياء توافق. كلُّ الأشياء تحلّ لي، لكن لا يتسلّط عليّ شيءٌ" (١كورنثوس ٦: ١٢). إن رامي سيخاطر بالاستسلام للتجارب التي لن يستطيع أن يقاومها إن أراد أن يكون مؤثّراً من الداخل بين الأشخاص المألوفين لديه.

الإنجيل هو الأخبار السارة عن الحرية. يقول بولس "فاثبتوا إذاً في الحريّة التي حرّرنا المسيح بها، ولا ترتبكوا أيضاً بنير عبودية" (غلاطية ٥: ١). إن رامي لا يريد حتى الاقتراب من "**نير عبودية**" لئلا ينتهي به المطاف إلى فعل ما يفعله أصدقاؤه غير المؤمنين.

هذان المبدآن — مبدأ المحبة ومبدأ ضبط النفس — يساعداننا على التمتع بقسط كبير من الحرية في المسيح. نحن نسعى للحصول على هذه الحرية لأنه بدونها لن ننضج روحياً. ونريد ممارستها لأجل الناس الذين نريد أن نكون مؤثّرين بينهم. إننا نحتاج أن نكون أحراراً لإشراكهم في حياتنا ولمشاركتهم حياتهم.

أربعة أنواع من الناس

لقد أحرزنا تقدماً في مناقشة أسئلتنا حول السلوك والتمسّك بالناموس. باستطاعتنا أن نرى الطريق أمامنا لكننا لم نخرج من الغابة حتى الآن. لا يزال الأمر يبدو وكأننا سنتسبّب في تعثّر بعض الناس مهما كانت قراراتنا جيدة. غالباً ما يكون الوضع هكذا. لذا، علينا

أن نطرح سؤالاً أخيراً قبل أن نتوصل إلى استنتاجاتنا النهائية. ماذا أفعل عندما أجد أنني لا أستطيع إرضاء الجميع؟

كان من المفيد لي أن أدرك أن هناك أربعة أنواع من الناس ينبغي عليّ أن أتذكّرها وأنا أحرز تقدماً في علاقاتي مع غير المؤمنين. هذه الأنواع هي: المؤمنون الناضجون، غير المؤمنين، المؤمنون الجدد، والمؤمنون الضعفاء.

١. المؤمنـــون الناضجون

المؤمنون الناضجون هم الذين لا نقلق بشأنهم كثيراً. إنهم يعرفون أن "ليسَ شيءٌ نجساً بذاته" وأنّ "ليسَ ملكوت الله أكلاً وشرباً" (رومية ١٤: ١٤، ١٧). إنهم لن يتضايقوا أو يعثروا بسبب القضايا المتعلّقة بالضمير.

٢. غير المؤمنيـــن

الفئة الثانية هي غير المؤمنين الذين لهم الأولوية. لقد كيّف بولس نمط حياته ليناسب الذين كان يسعى للكرازة لهم. قال بولس: "صرتُ للكلّ كلّ شيء، لأخلّص على كلّ حال قوماً" (١كورنثوس ٩: ٢٢). نواجه في بعض الأحيان تجربة معاملة هذه الأولوية على أنها الكلمة الفاصلة وننسى كلّ ما عداها. إن هذا يجعل كثيراً من الأمور سهلة. لكننا لا نستطيع أن نفعل هذا الأمر كما سنرى.

٣. المؤمنـــون الجدد

الفئة الثالثة هي المؤمنون الجدد. إنهم الذين انتقلوا حديثاً من سلطان إبليس إلى ملكوت الله (انظر كولوسي ١: ١٣). هم أيضاً لهم أولوية. إنهم يدخلون الملكوت وهم ضعفاء ومحطّمون لأنهم كانوا قد قضوا حياتهم وهم يعيشون في الظلمة. كما أن حياتهم تتصف بالعلاقات والآمال المحطمة. وها هم الآن يواجهون التحدّي المتعلّق بقطع صلتهم بأصدقائهم القدامى والتوقف عن الإدمان. هؤلاء هم الأشخاص الذين يتحدث عنهم بولس عندما حذّر قائلاً: "فيجب علينا نحن الأقوياء أن نحتَملَ أضعافَ الضُّعفاء، ولا نرضي أنفسَنا" (رومية ١٥: ١). إنه يتحدّث عن أشخاص مثل رامي.

كان على المؤمنين الجدد في القرن الأول أن ينـــزعوا عنهم عبادة الأوثان التي شملت "تقديم الذبائح للآلهة، وممارسة البغاء في الهيكل، وعبادة الشياطين." كانوا لا يزالون ضعفاء ومعرضين للتجربة، وغير قادرين على التمييز بين الحياة القديمة والجديدة. يقول بولس إن علينا احترام حالتهم. لا تفكّروا بأنفسكم فقط، لكن فكّروا بمساعدة هؤلاء المؤمنين الجدد

على أن يبتعدوا عن تلك الممارسات ويتقدموا نحو النضوج.

٤. المؤمنـــون الضعفاء

مجال مناقشتنا الرابع هو المؤمن المصاب بضعف مزمن. هؤلاء المؤمنون ضعفاء بطريقة تختلف عن ضعف المؤمنين الجدد. إنهم أقزام روحيون. إن كاتب الرسالة إلى العبرانيين يقول لهم ''لأنّكم إذ كان ينبغي أن تكونوا معلّمين لسبب طول الزمان، تحتاجون أن يعلّمكم أحدٌ ما هي أركانُ بداءة أقوالِ الله، وصرتُم محتاجين إلى اللّبن، لا إلى طعامٍ قويّ'' (عبرانيين ٥: ١٢).

يقول كاتب الرسالة إن هؤلاء المؤمنين لم يضعوا أساساً متيناً لإيمانهم. النعمة ليست واضحة بالنسبة لهم، ولا غفران الله واضح لهم. ونتيجة لذلك، لا يقدرون على التمييز بين الخير والشر. إنهم متمسّكون بالنّاموس. يتابع كاتب الرسالة قائلاً: ''لنتقدّم إلى الكمالِ، غيرَ واضعين أيضاً أساس التّوبة... والإيمان بالله'' (عبرانيين ٦: ١). إن لم يكن الإيمان هو الأساس، فلا يبقى للشخص المتديّن إلا أن يختلق القوانين وينفذها. وعندئذ تصبح هذه القوانين نسخته الشخصية عن النضوج الروحي.

إن أحد الأمور التي تجعل هذه المناقشة حول الحرية والسلوك صعبة للغاية هو أن هناك أشخاصاً ضعفاء كثيرين في كنائسنا اليوم. إنهم يخيفوننا بتهديداتهم من أن نكون عثرة لهم. عندئذ نفكّر بما قال يسوع إنه سيحدث للشخص الذي يعثر شخصاً آخر. فنصبح وكأننا نشعر بحجر الرحى حول أعناقنا. ولذا نتراجع ونحاول أن لا نعثرهم.

علينا أن ندرك أن المؤمنين المصابين بضعف مزمن ليسوا ضعفاء ومعرضين للسقوط مثل المؤمنين الجدد. المؤمنون الضعفاء قد ترسّخوا بنمط حياة متمسّك بحرفية النّاموس ولا يستطيعون التخلّي عنه. ومن غير المحتمل أن تسبب لهم المعثرة. لكنهم سوف يصدرون أحكامهم عليك عندما تحيد أنت عن مفهومهم للصواب والخطأ. لا يمكننا أن نسمح للخوف الناتج عن إصدار الأحكام بحقنا أن يسيطر على ما نفعله. إذا سمحنا له بالسيطرة، لن نستطيع أن نطيع المسيح. عندما يحكم علينا الآخرون، نسلّم هذا الأمر إلى الله الذي هو الديّان وسيدين الكل. إن إدانة الآخرين بحد ذاتها خطية.

استخدم حريتك... لتخدم (غلاطية ٥: ١٣)

ترعرعت داخل جدران الكنيسة. أنا لست مستاءً من هذا ولست ألوم أحداً بسببه. إنها الطريقة الطبيعية التي تحدث الأشياء بموجبها. إن كل جماعة من الناس تسعى لخلق هوية مشتركة، وبمرور الوقت، سوف تضع مدونتها الخاصة الفريدة بالسلوك. إن التقيد بمدونة

السلوك هذه هو عمل يشير إلى الانتماء. إنها القبلية. فلكل مجموعة من الناس طبيعتها القبلية، سواء أكانت مجموعة من راكبي الدراجات أو رعية كنيسة ما. فإذا سلك الفرد بموجب قواعد هذه المجموعة يستطيع الانضمام إليها، وكل شخص آخر يصبح شخصاً من الخارج. إن هذه المدونة تضع جدراناً "بيننا وبينهم" ونحن كمؤثرين من الداخل علينا أن نفهم هذا المبدأ ولا "نعلق" خلف الجدران.

إذاً، ماذا أقول بشأن الآية التي حفظتها بينما كانت والدتي تساعدني على ارتداء ثيابي "اخرجوا من وسطهم واعتزلوا"؟ ماذا أفعل بهذه الآية؟ تعلّمت في مرحلة ما أن الانعزال ليس له علاقة بالمكان، أي حيث أكون في الجسد. إنه يتعلّق بمن يسيطر على قلبي وفكري. عندما صلّى يسوع لأجل تلاميذه، قال: "ولستُ أنا بعد في العالم، وأمّا هؤلاء فهم في العالم... لستُ أسأل أن تأخذَهُم من العالم بل أن تحفظَهُم من الشرير... قدّسهم في حقّك. كلامُك هو حقٌّ. كما أرسلتني إلى العالم أرسلتُهُم أنا إلى العالم" (يوحنا ١٧: ١١ ، ١٥ ، ١٧ — ١٨).

إذا كان الروح القدس يهيمن على قلبي، وكلمة الله في فكري، أستطيع أن أذهب إلى أي مكان وأكون بصحبة أي شخص، وأبقى مع ذلك "منعزلاً".

أسئلة للمناقشة

١. برجاء قراءة غلاطية ٥: ٢٢-٢٣. أعط مثالاً عن سلوك تسلكه مع شخص غير مؤمن يكون دائماً صائباً ومقبولاً. (مثال: تقديم المساعدة لعائلة محتاجة).

٢. برجاء قراءة غلاطية ٥: ١٩-٢١. أعط مثالاً عن سلوك تسلكه مع شخص غير مؤمن يكون دائماً خاطئاً وغير مقبول. (مثال: التحدث معه عن كراهيتك لجارك).

٣. برجاء قراءة رومية ١٤: ١-٥. أنواع السلوك المثيرة للجدل هي الأمور التي لا يتحدث عنها الكتاب المقدّس بشكل مباشر ومحدّد. علينا أن نطور قناعاتنا حول هذه القضايا. ما هي هذه القضايا التي يثير المؤمنون الجدل حولها اليوم؟

٤. تخيّل أنك تبني علاقة مع عائلة تسكن بجوارك. وقد دعتك هذه العائلة لحضور احتفال ديني معها في نفس الوقت الذي تعقد فيه كنيستك نشاطاً أسبوعياً. ماذا ستفعل؟

٥. فكّر بحياتك ورد فعلك تجاه المؤمنين قبل أن تصبح مؤمناً بالمسيح. أو إذا كنت قد ترعرعت في بيت مسيحي مؤمن، فكر بحياتك كمراهق شاب. ما هو التأثير الذي يحدثه التعصب أو التمسك بالشريعة على فهمك ليسوع وإتبّاعه؟ وهل هناك أي تأثير للتمسك بالشريعة على علاقتك مع المسيح ومفهومك لإتبّاعه؟ ما هو هذا التأثير؟

٦. أخبر صديقاً لك عن شيء تعلمته عن كيفية التعامل مع الخوف من التعصب والتمسك بالشريعة.

٧. ما هي الأسئلة والاهتمامات التي لا تزال لديك فيما يتعلق بتكوين القناعات ومقاومة التمسك بالشريعة؟

الفصل التاسع

ولكن كيف سأجد الوقت؟

****

منذ فترة قريبة قضى سامي عطلة نهاية الأسبوع مع مجموعة من الناس وهم يناقشون كثيراً من المواضيع التي نتحدث عنها في هذا الكتاب. كان الدافع وراء اجتماع هؤلاء الأشخاص فكرة العيش والخدمة كمؤثّرين من الداخل. وكانوا بحاجة إلى المساعدة لتنفيذ هذه الفكرة. لكن كلّ واحد منهم، بطريقة أو بأخرى، طرح السؤال نفسه: "كيف سأجد الوقت؟"

كانت قصصهم متشابهة. كان الزوج والزوجة يعملان. وكانا يقضيان عطلة نهاية الأسبوع وهما يشاركان أولادهما في أنشطتهم وفي الذهاب إلى الكنيسة وزيارة الأصدقاء. ثم يعودان إلى العمل في بداية الأسبوع الجديد. كان هؤلاء الأشخاص يقولون: "ليس لدينا الوقت أو الطاقة لقضاء وقت مع الناس بهذه الطريقة."

هذه حالة اعتيادية. فنحن نسمع قصصاً مشابهة في كل مكان نذهب إليه. إنها لا شك قصتك أنت أيضاً. إنها قصتنا جميعاً بدرجة أو بأخرى. عندما بدأت ثورة المعلومات تسيطر على الناس، أصبح الوقت أثمن سلعة لدينا. فقد غدا أكثر ندرة من المال.

تعمل النساء اليوم بمعدل ٤٠ ساعة أسبوعياً بينما يعمل الرجال بمعدل ٤٨ ساعة. ولأن ثلثي النساء يعملن خارج المنـــزل، فإن متوسط ساعات عمل الزوج والزوجة هو ٩٠ ساعة أسبوعياً. وتضيف التكنولوجيا أعباء أخرى على ما تبقّى من الوقت لدينا. وضعت إحدى الصحف الكبرى منذ فترة قريبة إعلاناً على صفحة كاملة يقول: "الأخبار السارة هي أنك على اتصال دائم بمكتبك. والأخبار السيئة هي أنك على اتصال دائم بمكتبك"

ماذا حدث؟ لقد اعتقدنا أننا مسيطرون على الوضع. لكننا نجد أنفسنا منشغلين كلياً ومنعزلين تدريجياً.

وها نحن نتحدث عن العيش كمؤثّرين من الداخل. كيف سنقوم بهذا؟ لن نجد وقتاً للقيام بهذا العمل بتبديل أولوياتنا أو بتقوية مهارات إدارة الوقت. إن القضية أعمق من هذا بكثير.

نجد أنفسنا مقيدين بنمط حياة يستهلك وقتنا وانتباهنا. ومع ذلك، فالمسيح يعيش في

قلوبنا. فهو يدعونا كل يوم لنسير معه ثانية. إن رغبتنا العميقة هي تلبية دعوته، لكن سرعان ما يتشتت ذهننا بأصوات كثيرة أخرى تدخل إلى آذاننا. ولا نعرف كيف نتعامل مع الصراع الداخلي الذي ينبع من هذا التشويش. لقد أغلق بعضنا آذانه عن سماع صوت المسيح، لأن الأمر مؤلم جداً. لا نريد أن يحدث معنا هذا الأمر، لكننا لا نعرف ما يمكننا القيام به أيضاً. إننا لا نستطيع أن نتخلّى عن مسؤوليات الحياة اليومية.

ماذا نفعل إذاً؟ هذا هو موضوع هذا الفصل. سوف نناقش ثلاثة أسئلة في هذا الفصل. ونأمل أن تعطينا الأجوبة المنظور الذي نحتاجه لنشق طريقنا إلى الحرية. الأسئلة هي: (١) ما الذي حدث لمجتمعنا حتىّ وصلنا إلى هذه الحالة؟ (٢) ما هي تأثيرات الحداثة علينا؟ (٣) كيف نعيد توجيه حياتنا لنعيش كمؤثّرين من الداخل؟

ماذا حدث لمجتمعنا؟

أثناء السنوات الخمسمائة الماضية، منذ العصور الوسطى لغاية الآن، حدثت ثورات متعددة في المجتمع الغربي غيّرت عالمنا، عندما غيّرت أسلوب حياتنا وطريقة تفكيرنا.

كان الدين مسيطراً على المجتمع في العصور الوسطى. وكان اللاهوت هو الذي يقرّر ما هي الحقائق المقبولة، وكانت عقول الناس منشغلة بالحياة بعد الموت. كما أن الكنيسة فرضت عقائدها على الناس عشوائياً، فأصبح الخوف هو العامل المسيطر على الحياة اليومية.

لكن الأمور بدأت تتغير من جراء مساهمات بعض الأشخاص غير العاديين خلال فترة ثلاثين سنة، بين ١٤٩٠ و١٥٢٠. كان منهم كوبرنيكوس (١٤٧٣ ــ ١٥٤٣) الذي طوّر علم الكون الجديد؛ مايكل أنجلو (١٤٧٥ ــ ١٥٦٤) الذي أعلن عن إنسان جديد بواسطة فنّه؛ كريستوفر كولومبس (١٤٥١ ــ ١٥٠٦) الذي اكتشف العالم الجديد؛ ومارتن لوثر (١٤٨٣ ــ ١٥٤٦) الذي ساهم في تفكيك البُنية الفردية للكنيسة الكاثوليكية الرومانية.

كان هؤلاء جزءاً من عصر النهضة أو "الولادة ثانية" في الحضارة الغربية. واستعاد عصر النهضة ثقافة الحقبتين اليونانية والرومانية. كانت تلك الفترة "إعادة ولادة" أو "تجديد" الاهتمام بالطبيعة، والمعرفة، والجمال، والابتكار. وساعدت اختراعات فنية عديدة، مثل البوصلة المغناطيسية وآلات الطباعة، على تقدّم المجتمع نحو الحقبة الحديثة.

تبع ذلك عصر التنوير، أو عصر المنطق (الذي بدأ في منتصف القرن السابع عشر). كانت الفكرة الدافعة في تلك الفترة، هي الإيمان بقوة عقل الإنسان ومنطقه. ومع التقدّم الذي تمّ إحرازه في المعرفة مثل نظريات اسحق نيوتن (١٦٤٢ ــ ١٧٢٧) الذي قال بأن

الجاذبية تسيطر على الأرض والكواكب، وفرانسيس بيكون (١٥٦١ ــ ١٦٢٦) وتعريف الطريقة العلمية، انتقل المجتمع من النظرة الدينية العالمية إلى النظرة الإنسانية العقلانية. في ذلك الوقت، أصبح محور إيماننا هو ذواتنا. واعتقدنا أن بإمكاننا أن نبني عالماً أكثر تعقلاً وإنسانية بسبب امتلاكنا لأدوات العلم وثقتنا في قوة منطقنا. وهكذا أصبح العلم ملاذنا ومصدر عبادتنا.

لم يؤدِ عصر التنوير إلى ظهور ثورة علمية فحسب، بل إنه أدّى إلى ظهور ثورة فلسفية أيضاً. لقدَ أقنعنا كوبرنيكوس بعلم الكون الجديد الخاص به، وأن الأرض ليست مركز الكون. ونشر تشارلس داروين (١٨٠٩ ــ ١٨٩٢) استنتاجاته بأن الإنسان ليس إلا مجرد حيوان آخر كان قد تطور بالصدفة عبر الوقت. وأكّد سيجموند فرويد (١٨٥٦ ــ ١٩٣٩) أن أفضل مناقشاتنا هي غطاء لرغباتنا اللاعقلانية والحيوانية. لقد قادتنا جميع هذه الملاحظات والاستنتاجات إلى نتيجة تبعث على القلق وهي: لا يمكن الاعتماد على العقل البشري للحكم على الواقع بدقة. إذاً، مع أن البعض كان يعلن هيمنة العقل البشري، إلا أن البعض الآخر كان يبذر البذور التي كانت ستفضح هذه الفكرة وتكشف زيفها.

إن هذه الفكرة ــ عدم وجود حقيقة رئيسية تربط كل الأفكار أو الأجزاء معاً ــ اكتسبت زخماً في بداية القرن العشرين. فقد نقلت الغرب إلى ما يدعى عصر ما بعد الحداثة. إننا الآن في فترة ما بعد الحداثة لأننا رفضنا الدين المبني على الكتاب المقدّس والعلم الحديث كمصادر لمعرفة الحق. أصبحت الحقيقة تُعرَّف بأنها كل ما هو عملي للفرد. بموجب هذه العقيدة لا توجد حقائق مطلقة.

أثناء ذلك، وبينما كانت هذه الأفكار تنمو في عقولنا، كنا منشغلين بتطبيق العلم والتكنولوجيا الحديثين في مصانعنا وأسواق العمل. اكتشفنا أن المصنع والمواد الخام بالإضافة إلى اليد العاملة ينتجون الثروة. وتعلّمنا أموراً كثيرة عن التصنيع والإنتاج. وهكذا أصبح الإنتاج والتسويق مصدراً جديداً للحصول على الثروة، مصدراً لا يعتمد على امتلاك الأرض كما كان الوضع في القرون الوسطى. لقد خلقنا الثورة الصناعية (التي بدأت في بريطانيا العظمى أثناء القرن الثامن عشر وانتشرت إلى شمال أفريقيا في بداية القرن التاسع عشر).

كان الطرف الرئيسي في هذه الثورة هو المستهلك، الذي بدونه كان هذا الاقتصاد الجديد سيزول. وهكذا خلقنا المستهلك. وحولّت الصناعة الأميركيين من أشخاص مؤمنين بقيمهم التقليدية إلى الإيمان بعقيدة الاستهلاك. فوُلد علم وفن التسويق، وبدأت تظهر أفكار عن الموضة والعلاقات التجارية.

وفي بداية الخمسينات، بدأت الطائرات التجارية والتلفاز وظهور الحاسوب بتقليص عالمنا. ومنذ عام ١٩٨٥ حولّت الأقمار الصناعية، وآلات الفاكس، والحواسب الشخصية، والهواتف النقّالة، كوكبنا إلى مكتب وهمي أوحد. إننا في وسط ثورة المعلومات. أصبحت المعلومات عن كل شيء وفي كل مكان في متناول أيدينا. إن عالمنا اليوم صغير جداً في الحقيقة.

ما هي تأثيرات الحداثة علينا؟

لقد عرفّنا الحداثة بهذه العملية التي وصفناها للتو. الحداثة هي نظام عالمي مبني على العلم والتكنولوجيا وتعتمد على اقتصاد السوق. و"التقدم" متأصّل في جوهر فكرة الحداثة، وأصبح النمو الاقتصادي مقياسها.

إن العلم والتكنولوجيا اللذين يُحفّزان الحداثة قد جلبا لنا فوائد جمة. فالآلات لها تأثير مضاعف على عملنا، والأدوية الحديثة تشفي أجسادنا، وموائدنا مليئة بالأطعمة التي تقدمها لنا التكنولوجيا. كل جانب من جوانب حياتنا قد تأثر وتعزّز بالطريقة الحديثة التي نفعل ما نفعله بموجبها. ولا أحد منّا يرغب في العودة إلى نمط الحياة الصعب الذي كان سائداً قبل يومنا هذا. لكن للحداثة ثمن.

إن تأثير هذه الثورات في العلم والتكنولوجيا والاقتصاد بالإضافة إلى الطريقة التي أصبحنا نفكّر بها، قد جعلنا نتقهقر وأصبحنا في حالة من فقدان التوازن. إن القيم المحفّزة للعمل (معرفة أكثر) والتكنولوجيا (عمل أكثر) والاقتصاد (ممتلكات أكثر)، قاسية جداً. فأخذنا نتخبط عشوائياً ونكافح في حياتنا الشخصية لنلحق بالركب. وللقيام بهذا، اخترنا التنازل عن الأشياء الأكثر أهمية لنا. تنازلنا عن رعاية الأطفال لمراكز الرعاية النهارية، وعن المحادثة للمرشد، الخ... وأصبحنا لا نتناول الطعام في المنـــزل، بل نتناول الغداء في مطاعم الوجبات السريعة. وما تبقّى لنا من وقت وطاقة نصرفهما على استخدام الهواتف النقّالة والحواسب التي تمتص كل أوقات الفراغ في برنامجنا. ولا يبقى أحد في المنـــزل لأن لا شيء يحدث فيه.

الكذب الذي نعيش بموجبه

في إحدى مواجهات يسوع الكثيرة مع الفريسيين، طرح عليهم سؤالاً بليغاً ـــ ثم أجاب عنه بنفسه. سأل: "لماذا لا تفهمون كلامي؟"

ثم أجاب: "لأنّكم لا تقدرون أن تسمعوا قولي. أنتم من أب هو إبليس، وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا... ولم يثبت في الحقّ لأنّه ليسَ فيه حقٌّ. متى تكلّم بالكذب فإنّما يتكلّم ممّا له، لأنه كذّابٌ وأبو الكذّاب" (يوحنا ٨: ٤٣-٤٤).

إذاً نستطيع التأكد من شيء واحد طالما أن إبليس هو "رئيسَ هذا العالم" (يوحنا ١٤: ٣٠)، وهو أن معظم ما نؤمن به، كمجتمع، هو في الحقيقة زائف. أثناء هذه السنوات الخمسمائة التي لخصّناها بإيجاز هنا، كنّا نصدّق كذبة هنا وكذبة هناك، فأصبح الكذب جزءاً من أساس ثقافتنا. أصبحت هذه الأفكار الكاذبة غير قابلة للمناقشة ولا يمكن التشكيك فيها وهي تقود مجتمعنا إلى اتجاهات مميتة.

إننا كمؤمنين بالمسيح ليس لدينا مناعة ضد قوة هذه الأفكار الخاطئة. بإمكاننا اعتناقها بدون تفكير كما يفعل كل شخص آخر. لقد أصبحت متأصلة في عقولنا. ولذا، علينا أولاً أن نُخضع قلوبنا إلى روح الله وكلمته لتحديد هذه الأفكار أولاً ثم لهدمها "هادمين ظنوناً وكلَّ علوٍ يرتفع ضدَّ معرفة الله، ومُستأسرين كلَّ فكرٍ إلى طاعة المسيح" (٢كورنثوس ١٠: ٥).

هناك فكرتان من هذه الأفكار (الكثيرة) الكاذبة لهما علاقة خاصة بموضوع هذا الفصل. إنهما مصدر كثير من الضغوط التي كنّا نصفها. وقد زُرعتا في نفوسنا منذ قرنين تقريباً ولا نزال نخوض معهما معركة ضارية. الفكرة الأولى هي أن "التقدم يعني معرفة المزيد وعمل المزيد وامتلاك المزيد"، والفكرة الثانية هي المفهوم الذي يقول بأن "الحرية تعني عمل ما ترغب فيه."

١. التقدّم يعني معرفة المزيد وعمل المزيد وامتلاك المزيد

هذه هي إحدى الأفكار الإبداعية لعصر التنوير. ولكن لأنه من الصعب تعريف التقدّم، فقد ركّزنا تعريفنا على ما يمكننا أن نحرز فيه بعض النجاح. وبدلاً من أن نسأل إن كان على الأرض سلام وبالناس المسرة، أصبحنا نُعطي قيمة لما نفعله، ونقيس حجمه. وأخذنا نقول لأنفسنا: "ذو الحجم الكبير جيد، لكن الأكبر أفضل، والأكبر من الكل هو أفضل الكل" هذا المعيار يُطبّق في كل مكان — في الأعمال التجارية، في الكنائس، في استثماراتنا، الخ... حتى أننا طبّقنا هذا المعيار على بيوتنا، فتضاعف حجم بيوتنا خلال الأربعين عاماً الماضية بينما يتضاءل حجم عائلاتنا.

هذه الفكرة تقود حتماً إلى مقولة "قل لي ماذا تملك أقول لك من أنت." وبدلاً من تقدير الشخص بسبب شخصيته وإنجازاته، فإننا نعطي قيمة ومركزاً عالياً للناس بناءً على ما يستطيعون شراءه.

هذه المجموعة من الأكاذيب لها علاقة بمبدأ الاستهلاك بطريقة أو بأخرى. وتعكس جميعها الفكرة الباطلة التي تقول "سأصبح سعيداً عندما أحصل على المزيد مما أسعى وراءه." وفي كل مرة نحاول فيها التشكيك بهذه الفكرة، نجد أمامنا لوحات الإعلانات في الطرق

العامة أو دعايات التلفاز وهي تؤكد لنا أن الاستهلاك هو الطريق إلى الحياة الأفضل.

وقد وقعنا جميعنا في هذه المصيدة. وسيأتي الوقت الذي يحصد فيه مجتمعنا ثمر هذه الكذبة. لا نستطيع أن نتخلّى عن مبدأ الاستهلاك لئلا ينهار الاقتصاد. إذاً، سواء أكنّا بحاجة إلى سلعة ما أم لا، فإنه يجب علينا أن نشتريها. وهذا يعني الركض في السباق العشوائي للحصول على المال اللازم لمشترياتنا. المستهلك قد استُهلك من قِبَل المُنتَج.

''قلبٌ مخدوعٌ قد أضلّه فلا يُنجّي نفسَه ولا
يقول أليس كذبٌ في يميني'' (إشعياء ٤٤: ٢٠).

٢. الحرية تعني عمل ما ترغب فيه

يدافع ''إعلان الاستقلال'' الأميركي عن الحقوق في "الحياة، والحرية، والسعي وراء السعادة''. ثم جاء جون ستيوارت ميل في أطروحته الطويلة عن الحرية في عام ١٨٥٩ ليعطي فكرة الحقوق معنى إضافياً عندما سجّل هذه العبارة: ''الحرية تعني عمل ما ترغب فيه.'' إن مفهوم الحقوق هذا هو فكرة زائفة أخرى تؤثّر علينا تأثيراً كبيراً.

لقد أُعلنت حروب عديدة للدفاع عن الحرية التي نصّ عليها ذلك الإعلان. لكن الحداثة، برفضها الدين القائم على الكتاب المقدّس والعلم الحديث كمصدرين للحق، قد فتحت الطريق لتفسير هذه الحقوق بطريقة تهدد بتمزيق نسيج الأمة.

يُستخدم ''ميثاق الحقوق'' كبيان رسمي ضد أية قيود تُفرض على الفرد. دعا جون ستيوارت ميل إلى إعطاء الفرد حرية ''حيث السلوك الخاص بالفرد واستقلاله هو الحق المطلق.'' ونادى بأن الفرد ''حرّ من كل قيود يفرضها الدين، أو الأخلاق، أو القانون، أو العائلة، أو المجتمع.''

يعبّر هذا الكلام عن جانب واحد من مفهوم الحرية. لا يمكن للحرية أن تتواجد بدون الانضباط. فأنا لا أملك حرية العزف على البيانو لأنني لم أخضع لانضباط ممارسة العزف على هذه الأداة الموسيقية. وبالطريقة ذاتها، فإن القيم التي تركّز على الذات فقط تحرمنا من الأشياء التي نصبو إليها. إنها لا تسمح لنا بإقامة علاقة دائمة مع شخص آخر لأنها تعمل ضد التزامنا بشخص آخر عدا أنفسنا.

إذاً، حكمة هذه الأيام تترك معنا بعض الشعارات المميتة:

''أنت بنفسك مسؤول عن استخدام كل طاقتك الكامنة.''
''إذا كانت هذه العلاقة لا تلائمني، فسأقطعها.''

إن هاتين المقولتين كذب وخداع ـــ وفي أفضل الأحوال، إنهما تمثّلان نصف الحقيقة. إنه طريق لا يقود إلى الحرية والاكتفاء الذاتي، كما يعلن هو، بل إلى الانعزال الشخصي. أصبحت حياتنا فردية لدرجة أننا لم نعد نفكّر في الانضمام إلى الآخرين حتى إلى أفراد عائلتنا لننطلق معاً نحو رؤية مشتركة. إننا نعيش في سعي ملتهب لتحقيق ذواتنا. ونتيجة لذلك، لا نستطيع أن نبقى متزوجين؛ ولا نستطيع أن نتخلى عن سلّم النجاح؛ ولا نستطيع أن نربي أولادنا. إننا نلقي بمسؤولية تربية أولادنا على الذين أصبحت هذه المسؤولية مهنتهم.

ما الذي يجب أن يحدث بالإضافة إلى ما سبق لكي نعترف بأن هناك خطأً جسيماً في نمط حياتنا؟

إعادة توجيه أنفسنا لنعيش كمؤثّرين من الداخل

"ولا تشاكلوا هذا الدهر، بل تغيّروا عن
شكلكم بتجديد أذهانكم" (رومية ١٢: ٢).

إن السعي وراء تحقيق هذه الأفكار الكاذبة، مثل الفكرتين اللتين ذكرناهما سابقاً، يجعلنا منشغلين باستمرار ويمنعنا من التمتع بالحياة. ليس لدينا الوقت للتوقف والتفكير بهذه الأمور، لأننا انضممنا إلى هذا الاندفاع الجماعي سعياً وراء روح الاستهلاك وتحقيق الذات على حساب كلّ شيء آخر. إن هذا السعي يمتّص كل قدراتنا لدرجة أنه يحجب كل الأهداف النبيلة الأخرى، مثل العيش كمؤثّر من الداخل.

أنا لا أقترح التخلص من حاسوبنا الشخصي أو هاتفنا النقّال والعيش على شجرة في مكان ما. إننا لا نستطيع أن نتخلّى عن مكاننا في المجتمع. تذكّروا أننا مدعوون لنعيش كمؤثّرين داخل مجتمعنا. لكننا نحرز تقدماً هاماً باتجاه الحرية بالتعرّف على هذه الأفكار الكاذبة التي نعتنقها في حياتنا. عندما نكشف هذه الأفكار الكاذبة، فإنها لن تستطيع السيطرة على حياتنا ولن تدفعنا كما تريد. وعلينا أن نتذكّر أيضاً، قبل كل شيء آخر، أننا مواطنون في ملكوت الله. وهو يدعونا لنلائم مفهومنا عن التقدّم والنجاح مع مقاييس الملكوت. إن إدراك هذه الحقيقة سيغيّر أموراً عديدة.

بدأنا ندرك أن كوننا مؤثّرين من الداخل لا يعني إضافة نشاط أو أكثر إلى حياتنا المحمومة. إننا لا نتحدث عن مجرد إيجاد الوقت أو فسحة في برنامجنا الأسبوعي لوضع بعض الأنشطة الإضافية. إن ما نتحدث عنه هو أكثر من هذا. إنه الدعوة لتغيير إطار حياتنا ـــ إعادة توجيه كاملة لعقولنا. إنه يعني العيش بموجب مجموعة مختلفة من القيم ـــ بعيداً عن

الانشغال المحموم ــ لكي نعيش بالتناغم مع مقاصد الله. إنه استبدال نمط حياة بنمط حياة آخر. (سنناقش هذه الفكرة بالتفصيل في الفصل الثامن عشر).

حان الوقت لاستعادة بعض الأشياء

في أثناء ذلك، توجد بعض الأشياء التي بمقدورنا أن نفعلها حالاً لاستعادة بعض مجالات حياتنا التي ما كان ينبغي علينا أبداً أن نتخلّى عنها من البداية. لقد أعطينا مسؤولية إدارة جوانب حياتنا للآخرين! الآن، علينا استعادة بعض الأشياء.

قبل الثورة الصناعية، كانت حياة غالبية الناس تدور حول محور واحد وهو البيت. كانت السلع تُصنَّع في غرفة صغيرة في حديقة البيت أو المزرعة. وكان لكل فرد في العائلة دور يقوم به. وكانت العائلة بأكملها بالإضافة إلى عاملين أو ثلاثة، تُصنِّع ما تحتاج إليه. كان الأولاد يذهبون إلى المدرسة كل يوم، وكان الجميع يذهبون إلى الكنيسة يوم الأحد. كانت الحياة تتمركز في شبكة اجتماعية متماسكة واحدة.

كان المجتمع الذي نشأت فيه الكنيسة أكثر تماسكاً. كانت وحدة المجتمع الأساسية هي **"أهل البيت"**. كان أهل البيت يتكوّنون من الأسرة الكبيرة ــ بالإضافة إلى بعض الأشخاص الآخرين مثل المدرّسين والعمّال. وكان الأب يترأس هذه الأسرة الكبيرة، وكانت كل أسرة تكوّن بمفردها نظاماً بيئياً اقتصادياً واحداً. إن أصل كلمة "اقتصاد" باللغة الإنكليزية مشتقّ من الكلمة اليونانية *oikos* أو "أهل البيت". إن قراءة العهد الجديد، بإشارته المستمرة إلى "أهل البيت"، تكشف لنا حقيقة أن الكنيسة كانت تجتمع هناك أيضاً. وفي الحقيقة، كانت العائلة الكبيرة النموذج الرئيسي للكنيسة خلال السنوات الثلاثمائة من تاريخ الكنيسة. لم تكن هناك أبنية للكنائس.

فكّروا بهذا الوضع! عندما يكون الفرد موجوداً في البيت، فإنه يكون موجوداً في كلّ مكان يحتاج إليه. فهناك عمله، ومدرسته، وكنيسته، ومكان قضاء وقت فراغه ــ جميع هذه الأنشطة كانت تُقام في البيت. لكن اليوم، تقوم مؤسسات منفصلة بكلّ واحدة من هذه المهام. وكلّ مؤسسة فيها مجموعة من الناس تختلف عن الأخرى. يمكننا أن نعيش حياة منشغلة ونحن محاطون بالناس طوال اليوم وكل يوم، ومع ذلك نعيش منعزلين.

بإمكاننا أن نغيّر هذا الوضع. علينا أن نفعل شيئاً ما إذا ما أردنا أن نتوقف عن إهدار حياتنا، وسمحنا للمجتمع أن يعطي أولوية للأنشطة على حساب الناس في نظام قيمنا. نحن ننجرف وراء التيار بدون إثارة أية أسئلة أو شكوك. والحجة التي نعطيها هي قولنا: **هذه هي الحياة.**

لكن هذا ليس صحيحاً. إذا أردنا أن نكون أكثر دقة، نقول هكذا اخترنا أن نعيش. لقد اخترنا الانسياق وراء التيار.

ارسم صورة لحياتك

توقف، واصرف ساعة ترسم فيها صورة حياتك. وارسم بداخل هذه الصورة عائلتك، وعملك، وحياتك الاجتماعية، وكنيستك، ومدرستك، وفريق كرة القدم، والتمارين الرياضية، الخ... راجع هذه الصورة. والآن اكتب أسماء الأشخاص الذين تتصل بهم كل يوم في مجال كل نشاط من هذه الأنشطة. ضع خطاً تحت الأسماء التي تعني لك الكثير، وابدأ بالنظر إلى هؤلاء الأشخاص على أنهم "أهل بيتك".

كيف تبدو هذه القائمة؟ ما الذي تكشفه لك عن حياتك؟ هل حياتك منعزلة كثيراً عن الآخرين؟ هل هي مُشتتة؟ إلى أين تتجه؟

إذا أردنا أن نسيطر على حياتنا، علينا القيام ببعض الخيارات. اسأل نفسك: مَنْ وما هو المهم بالنسبة لي؟ من يسيطر على وقتي وانتباهي؟ عندما نجيب عن هذه الأسئلة، نكون قد حصلنا على المعايير التي نستطيع بموجبها أن نقبل أو نرفض المتطلبات التي نواجهها في حياتنا. بإمكاننا أن **نركز** اهتمامنا ووقتنا على ما هو مهم بالنسبة لنا. عندما نعيد تركيز حياتنا وتوجيهها، نكون قد استعدنا الجزء الأكبر منها.

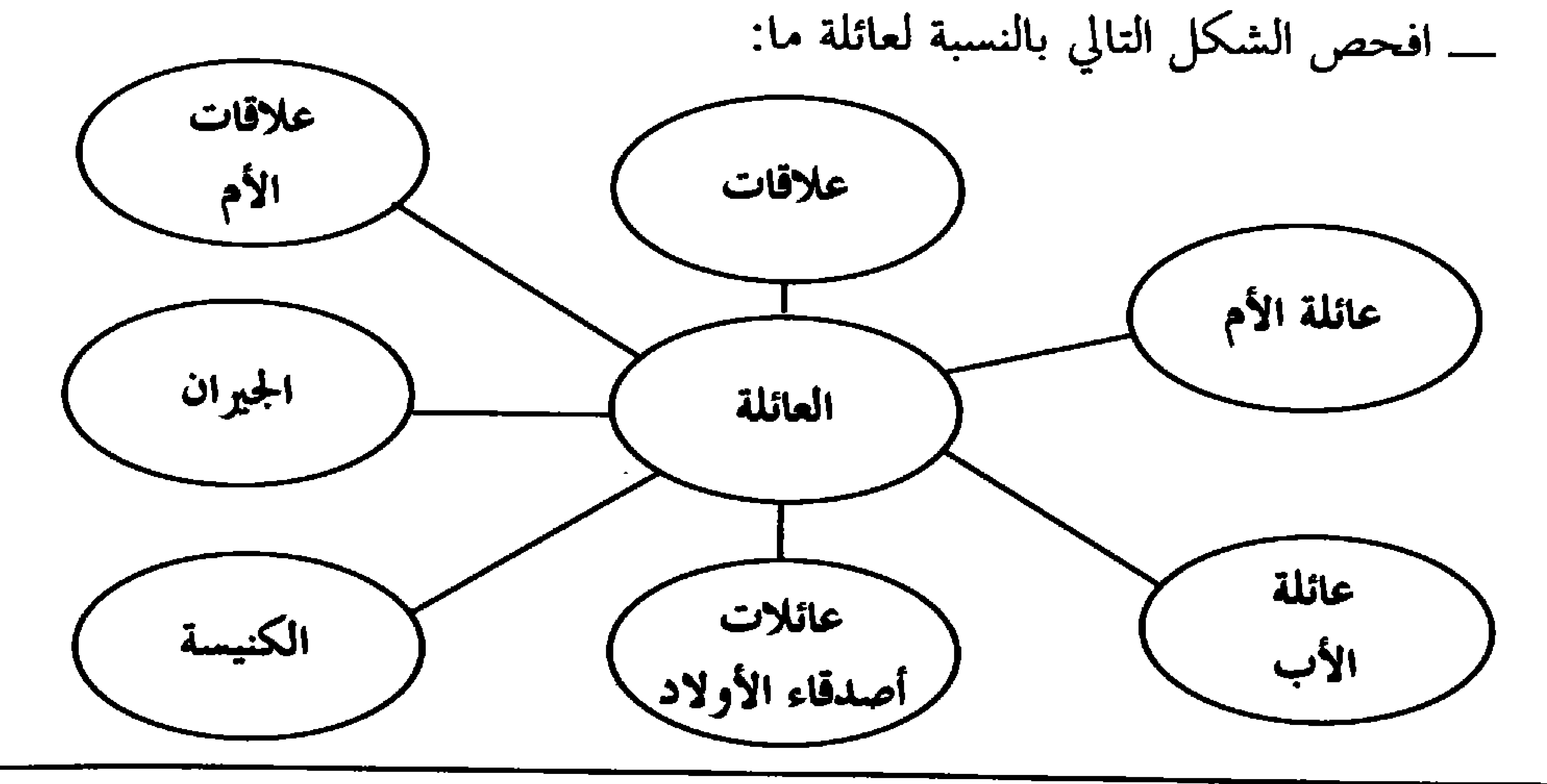
أسئلة للمناقشة

١. بأية طريقة تستطيع أن تتعاطف مع الحياة المجزّأة والمنهكة التي وصفناها في هذا الفصل؟

٢. اقرأ الاقتباس التالي
"الهامش هو المسافة أو المكان بين حمْلنا ومحدودياتنا؛ إنه ما نحتفظ به للحالات الطارئة أو غير المتوقعة؛ إنه الفجوة بين الراحة والإنهاك، بين رد الفعل والاختيار، بين البقاء على قيد الحياة والعيش الهادف. إن لم يكن لدينا هامش في حياتنا سنصبح منهكين ولن نستطيع تمثيل الله في العالم. علينا أن نكون مرئيين لغير المؤمنين إن أردنا لهم أن ينظروا ويشاهدوا المسيح من خلالنا."
ــ ماذا نستطيع أن نفعل ليكون لدينا هامش في حياتنا ولتكون حياتنا مرئية حتى ينتشر الإنجيل من خلال حياتنا؟

٣. الرجاء قراءة أعمال الرسل ١١: ١٣-١٤؛ ١٦: ١٤-١٥؛ ١٦: ٣١-٣٤؛ ١٨: ٧-٨؛ و٢٠: ٢٠. في العهد الجديد لم تكن الكنيسة **ekklesia** منفصلة عن العائلة والحياة الاقتصادية والاجتماعية **oikos** فالكنيسة الأولى لم تبتكر هياكل جديدة. لكنها بدلاً من هذا، غيّرت الأشكال والعلاقات التي كانت قائمة. فانتشر الإنجيل من "أهل بيت" إلى "أهل بيت" آخر.
ــ بأية طريقة يمكن لدمج الكنيسة **ekklesia** بأهل البيت **oikos** أن يؤثّر على حياة المؤمن؟ وعلى العالم غير المؤمن؟

٤. بالنسبة لأشخاص كثيرين ــ مؤمنين وغير مؤمنين ــ إن الشكل المعاصر لأهل البيت **oikos** في العهد الجديد يمكن وصفه على أنه مجموعة من المؤسسات المستقلة.
ــ افحص الشكل التالي بالنسبة لعائلة ما:



الفصل العاشر

عدم كفاءتنا الشخصية

****

لقد تطرقنا إلى ثلاث عقبات تهدد قدرتنا على العيش كمؤثِّرين من الداخل. إنها مخاوفنا، انعزالنا، وانشغالنا. هناك عقبة رابعة ستمنعنا من التأثير على الآخرين إن لم نواجهها. إنها شعورنا بعدم كفاءتنا الشخصية. وقد تأتي هذه المشاعر من مصادر عديدة.

إننا ننظر إلى ما يجري في حياتنا ونفكّر قائلين: **"كيف سيستخدمني الله في حياة الآخرين بينما أنا مقصّر في حياتي؟ كيف سأخبر الناس عن "السلام مع الله" بينما تنتابني مشاعر القلق بالنسبة لعملي ولدخلي ولأصدقاء أولادي؟ من أنا حتى أتحدّث مع الآخرين عن أي شيء؟"**

يشعر آخرون بعدم الكفاءة بسبب علاقة محطّمة. وربما لأنهم يعانون من صراع عميق في زواجهم. وكثيرون يعانون من الصداع بسبب أولادهم ونزاعهم مع أفراد عائلتهم الكبيرة أو بسبب عدائهم لبعض زملائهم في العمل. نشعر بالذنب تجاه صعوبات مثل هذه — ونشعر بالفشل، وكأننا أشخاص لا يحق لهم أن يتحدّثوا عن أي شيء لأي شخص.

في بعض الأحيان، تكون هذه المشاعر محقّة. وفى بعض الأحيان نفشل، ونفقد مصداقيتنا. إن الاعتراض على الإنجيل الأكثر انتشاراً والذي أسمعه من أشخاص في مراكز العمل له علاقة بخبرات عمل سيئة واجهها هؤلاء المعترضون مع أشخاص يقولون إنهم مؤمنون بالمسيح. إن هذا الوضع هو كالوضع الذي أشار إليه بولس: "لأنَّ اسم الله يجدّف عليه بسببكم بين الأمم، كما هو مكتوبٌ" (رومية ٢: ٢٤).

يمكن أن يتسبب أسلوب حياتنا في فقدان الإنجيل لمصداقيته. لكن هذا الاحتمال لا يحدث مراراً كما نعتقد ولا يحدث للأسباب التي نتصوّرها. في أغلب الأحيان تكون مشاعر عدم الكفاءة ناتجة عن كذبة أو أكثر يملأ الشيطان عقولنا بها ليُبقينا تحت سيطرته. إننا نسمعه يقول: "المؤمنون الحقيقيون لا يواجهون المشاكل، ولا تتشوش حياتهم — لكنك أنت تفعل هذا! صَحّح حياتك قبل أن تحاول مساعدة الآخرين." إننا نصغي لهذه الكلمات فنبقى صامتين ولا نتفوه بكلمة.

لكن لنفترض أن هذا الوضع صحيح! لنفترض أنني بالفعل عطّلت مصداقية شهادتي، أي أن الأخبار انتشرت بأنني كنت أغشّ في معاملاتي التجارية. ماذا سأفعل بخصوص هذه الحالة؟ هل سأبقى على هذا الوضع طيلة حياتي؟ أم هل سأخرج إلى النور وأتخلّص من هذه الحالة؟ إن عملية الشفاء تحدث عندما نكون صادقين أمام الله أولاً ثم أمام الآخرين. فسواء فقدنا مصداقيتنا أو كانت مشاعر عدم الكفاءة من اختلاقنا، فإن أفضل أسلوب للتقدّم الروحي هو أن نضع أيدينا في يد الله ونشترك معه للتأثير على حياة الأشخاص الآخرين من حولنا. عندما نفعل هذا، سنجد أن الله قادر على استخدام ضعفاتنا لفائدتنا وفائدة الآخرين.

قصـــة نبيـــل

كانت حياتي لعدة سنوات مرتكزة على افتراضين خاطئين: أولاً، كنت أعتقد أن عليَّ أن أحقّق مستوى معيناً من الكفاءة والجدارة، وأن أصحّح حياتي بشكل جيد قبل أن يتمكن الله من استخدامي ـــ لكنني لم أحقّق هذا الهدف. وكنت أعتقد أيضاً أنه إذا كانت حياتي شفّافة، وسمحت للناس بأن يروا ضعفاتي وصراعي، فإنني سأفقد مصداقيتي أمام الآخرين ولن يكون لكلامي تأثير عليهم. وبقدر ما يمكنكم أن تتخيلوا، فقد تسبّب هذان الافتراضان في بروز مشاعر الذنب، والقلق، والاستياء الداخلي العميق.

لم أحصل على هذه الأفكار من الكتاب المقدّس لكنني حصلت عليها من طفولتي. إن أقدم ذكرياتي عن أبي هي مغادرته البيت في رحلة أخرى طويلة. كان عمله كواضع للاستراتيجيات السياسية، يتطلب منه أن يغيب لفترات طويلة. فكانت والدتي تبقى في البيت وحدها مع طفلين صغيرين. كنت أنا أكبرهما. كانت والدتي تعاني من نوبات من الكآبة الشديدة، فلم نكن نعرف ما يخبئه لنا اليوم. هل ستكون في حالة جيدة أم سيئة؟

كنت كصبي يافع أفتّش عن الأمان. وكنت أتوق إلى الاستقرار والاطمئنان. ولكني سرعان ما اكتشفت أنني عندما كنت أنجز أموراً معينة بكفاءة، كنت أحصل على ثناء والدي. وبالنسبة إلى صبي يعيش في عالم يتغيَّب فيه الأب وتعاني فيه الأم من الآلام، كان المديح هو أقصى ما حصلت عليه لكي أشعر بالمحبة الحقيقية والقبول اللذين كنت أتوق إليهما. وأصبح الأداء طريقتي الخاصة للتغلب على مشاعر الشك وعدم الاطمئنان.

انتقل نمط حياتي هذا إلى مرحلة المراهقة ثم إلى إيماني بالمسيح. لم أكن أشعر بالراحة حين كان الوضع يخرج عن سيطرتي. وبسبب هذا الوضع، كان الإيمان ـــ بحسب تعريفه ـــ مشكلة لي. "وأمّا الإيمان فهو... الإيقان بأمور لا تُرى" (عبرانيين ١١: ١). أي أن الإيمان ليس إيماناً ما لم يخرج عن نطاق سيطرتي. تلكَ كانت فكرة مخيفة بالنسبة لي. كنت أخاف

من انكشاف عدم كفاءتي إذا سرت مع الله إلى حيث يريد أن يقودني. سأبدو وكأنني فشلت. كنت أجد صعوبة في التخلي عن حاجتي للسيطرة على العالم والاستجابة لدعوة الله لأتبعه بالإيمان.

بمرور السنوات، حررني الله من هذه الأنماط المغروسة فيَّ بعمق، والتي جعلتني أسيراً. وكانت إحدى الفقرات التي استخدمها الروح القدس ليحررني، من رسالة بولس الرسول الثانية إلى كورنثوس. إليكم ما رأيته فيها.

رجل يتعرض للهجوم

كانت مصداقية بولس تتعرض للهجوم عندما كتب الرسالة الثانية إلى المؤمنين في كورنثوس. كان بعض الناس يحاولون أن يشوهوا شرعيته كرسول وخادم للإنجيل. وكانوا يحاولون أن يقوضوا تأثيره لكي يجذبوا المؤمنين في كورنثوس إلى دائرة نفوذهم. لقد كانوا معلّمين كذبة.

كانت رسالة بولس الوارد ذكرها تتصف بالمواجهة والتحدي. في الرسالة الأولى عالج بولس عدداً من الأوضاع الصعبة داخل الكنيسة، مثل الخصومات، الزنى، الدعاوى أمام المحاكم، وبعض الفوضى. في رسالته الثانية هذه، نجد بولس مهتماً بكيفية قبول الكورنثيين لرسالته الأولى. وكان قلقاً بشأن سوء تفسير بعض الناس لفشله في زيارتهم كما خطط لذلك. يبدو أن بعض الناس كانوا يستخدمون مثل هذه الأمور ــ الرسالة الصعبة والرحلة التي أُلغيت ــ لخلق الانشقاقات وتقويض سلطة بولس. كانوا يقولون إن بولس لا يحبكم. انظروا إلى هذه الرسالة التي كتبها. وهو لم يحضر لرؤيتكم كما كان قد أخبركم. ولذا، لا يمكن أن يكون بولس رسولاً حقيقياً. الرسل الحقيقيون لا يفعلون هذه الأمور. عليكم أن تتبعونا لأن لدينا مؤهلات للقيادة أفضل منه.

علِم بولس بكل هذه الأقاويل عندما كتب هذه الرسالة. وعرف أن هناك بعض الأشخاص يحاولون السيطرة، ويستخدمون إثارة الشكوك حول مؤهلاته كنقطة انطلاق لهم. كانوا يطلبون برهاناً على شرعية بولس كرسول، وكان هو يكره هذه الأمور لأن إعلان الشخص عن مؤهلاته كان في أغلب الأحيان نوعاً من الافتخار. لكن بولس قرّر أن يسايرهم في هذه اللعبة. فقد كان يعلم أن هذه الحالة ستوفّر له الأجواء المناسبة لتعليم أولاده الروحيين إحدى أعظم الحقائق في الحياة المسيحية.

اللعبـــة

قبل أن يبدأ بولس هذه اللعبة الجنونية نوعاً ما، أراد أن يقول لأولاده الروحيين شيئاً واحداً. أرادهم أن يعرفوا الحقيقة عنه. فكتب لهم قائلاً أن هناك مؤهلاً واحداً يعطي مصداقية لخدمتي بينكم، وأن لديَّ ذلك المؤهل، الذي هو أنتم "أنتُم رسالتُنا مكتوبةً في قلوبنا... مكتوبةً لا بحبرٍ بل بروحِ الله الحيّ" (٢كورنثوس ٣: ٢-٣). إن كلّ واحد منكم، وكل اسم من أسمائكم، مكتوبَ هنا على قلبي. أنتم تعلمون هذا وأنا أعرفه أيضاً. هذا هو مؤهلي — المؤهل الوحيد الذي أحتاجه للدفاع عن خدمتي بينكم. إذا كان هذا واضحاً، فإن كلّ هذا الجدال السخيف لا وجود له.

بعد ذلك، قام بولس بحركته الأولى في هذه اللعبة التي يحاول فيها كلّ طرف أن يكون أفضل من الطرف الآخر. إذا أرادوا الافتخار، فإن لديه افتخاراً يعادل افتخارهم.

"لكنَّ الذي يجترىءُ فيه أحدٌ، أقولُ في غباوة، أنا
أيضاً أجترىءُ فيه. أهُم عبرانيّون؟ فأنا أيضاً. أهُم
إسرائيليّون؟ فأنا أيضاً. أهُم نسلُ إبراهيم؟ فأنا أيضاً.
أهُم خدّام المسيح؟ أقولُ كمُختلِّ العقل. فأنا أفضل.
في الأتعاب أكثر، في الضربات أوفر، في السّجون أكثر،
في الميتات مراراً كثيرةً. من اليهود قبلتُ أربعين جلدةً...
ضُربت... رُجمت... انكسرت بي السَّفينة... بأخطار لصوص،
بأخطار من جنسي... بأخطارٍ في المدينة... في البريَّة... في البحرِ...
من أخوة كذبة... في جوعٍ وعطش... في بردٍ وعُري....
عدا ما هو دون ذلك التَّراكم عليَّ كلّ يوم، الاهتمام
بجميع الكنائس" (٢ كورنثوس ١١: ٢١-٢٨).

يتابع بولس ويقول إنه طالما أننا في صدد سرد هذا الافتخار الذي لا طائل منه، دعوني أخبركم بماذا أفتخر. "إن كان يجبُ الافتخار، فسأفتخرُ بأمورِ ضعفي" (٢ كورنثوس ١١: ٣٠).

التناقض العظيم

ضعفاته! إن أمامنا رجلاً تتعرض مصداقيته للهجوم. وكان قد طُلب منه تقديم أوراق اعتماده أو مؤهلاته. ويتساءل أولاده الروحيون عمّا سيكون جوابه وماذا سيحدث لهم بعد انتهاء هذا الجدال. أهذا هو الوقت للتحدث عن الضعفات الشخصية؟ إن هذا الوضع يشبه وضعك عندما يوضع اسمك على القائمة الصغيرة بعدد أسماء المرشحين لوظيفة ما. لم يبق إلا

اسمك وأسماء ثلاثة أشخاص فقط. ثم تقف أمام فريق الاختيار لإجراء المقابلة. وأثناء المقابلة، بدلاً من التحدّث عن الأمور العظيمة التي ستحققها للشركة إذا ما حصلت على الوظيفة، تبدأ بالتحدّث عن فشلك وضعفاتك السابقة.

إن الفشل الذي اختار بولس التحدّث عنه يعود إلى حادثة وقعت في بداية خدمته. كانت تلك محاولته الأولى للكرازة بالمسيح. حدث ذلك في دمشق مباشرة بعد إيمانه بالمسيح. ذكّر بولس الكورنثيين كيف أنه "في دمشق، والي الحارث الملك كان يحرس مدينة الدّمشقيّين، يريد أن يُمسكني، فتدلّيت من طاقة في زنبيلٍ من السّور، ونجوت من يديه" (٢كورنثوس ١١: ٣٢، ٣٣). ما علاقة تلك الحادثة بهذا الموضوع أي بخصوص ضعفات بولس؟ علينا الانتقال إلى سرد القصة في أعمال الرسل لنحصل على الجواب.

إن سجلّ القصة في أعمال الرسل يبين أنه بعد إيمان بولس بالمسيح مباشرةً "للوقت جعلَ يكرزُ في المجامع بالمسيح أنَّ هذا هو ابن الله. فبُهت جميع الذين كانوا يسمعونَ وقالوا أليسَ هذا هو الذي أهلَكَ في أورشليم الذين يَدعونَ بهذا الاسم... أمّا شاول فكان يزدادُ قوةً، ويُحيّر اليهودَ السّاكنين في دمشق مُحققاً أنَّ هذا هو المسيح" (أعمال الرسل ٩: ٢٠-٢٢).

قد نتساءل، أيعتبر هذا فشلاً؟ لقد تفوّق على أعدائه وحيّرهم. واستطاع أن يبرهن لليهود أن يسوع هو المسيح. إن هذا يبدو نجاحاً! الآية التالية تشرح الموقف: "ولمّا تمّت أيّامٌ كثيرةٌ تشاور اليهود ليقتلوه... فأخذه التلاميذ ليلاً وأنزلوه من السّور مدلّين إيّاه في سلٍّ" (أعمال الرسل ٩: ٢٣، ٢٥). إن الهدف ليس ربح المناقشة أو الجدال. إنه مساعدة الناس على رؤية يسوع. فبدلاً من أن يؤمن الناس بالمسيح نتيجة إقناعه الواضح وحججه القوية، كان على بولس أن يهرب — في سل يُستخدم عادةً للتخلّص من النفايات.

انتقل بولس من دمشق إلى أورشليم حيث حاول القيام بالعمل ذاته، "يجاهر باسم الرّب يسوع. وكان يخاطبُ ويباحثُ اليونانيّين" فحدث نفس الشيء. تقول الآية: "فحاولوا أن يقتلوه". كان هذا المؤمن الحديث يثير المتاعب أكثر مما ينبغي، ولذا "فلمّا عَلِمَ الإخوة أحدروه إلى قيصريّة وأرسلوه إلى طرسوس" (أعمال الرسل ٩: ٢٨-٣٠). كان عليهم أن يُخرجوه من ذلك المكان. قضى بولس سنواته التالية في طرسوس والعربية حتى ذهب برنابا ووجده وأتى به إلى إنطاكية لمساعدة الكنيسة هناك.

إن هذه المحاولات الأولى التي قام بها الرسول بولس والتي انتهت بالفشل كانت بمثابة نقطة تحوّل بالنسبة له. أليس من المثير للعجب أن من بين جميع خبراته الرائعة خلال السنوات يبرز بولس ذلك الفشل في دمشق وينظر إليه على أنه من الأحداث الأكثر أهمية في حياته؟

كانت تلك الحادثة هامة جداً لأنها علّمته درساً رئيسياً.

لننظر إلى الفرق بين هذا الرجل المتهور العدائي الذي واجه اليهود في دمشق وذلك الرجل الذي كرز بالإنجيل إلى الناس في كورنثوس. يقول بولس: "وأنا كنتُ عندَكم في ضعف، وخوف، ورعدة كثيرة. وكلامي وكرازتي لم يكونا بكلام الحكمة الإنسانيّة المقنع، بل ببرهان الرّوح والقوّة." (١كورنثوس ٢: ٣).

هذه المرة كان بولس في ضعف! ليس أنه لا يقدر أن يكون أكثر إقناعاً وجرأة. إنه ابتدأ هكذا بكل قوة واندفاع ثم اكتشف أن هذا الأسلوب غير نافع ولا يعطي ثمراً. تخلّص بولس من هذا الأسلوب واستبدله بآخر أكثر قوة. لقد اختار أن يعيش خاضعاً للروح القدس. لماذا؟ لأنه كان يريد نتائج دائمة وأبدية.

بينما نقوم بأعمالنا اليومية الروتينية، سوف نعتمد إما على أنفسنا أو على الله. ومن الأسهل والأقل إثارة للتوتر أن نعيش حياتنا كما نريد متّكلين على أنفسنا، وأن نتوهّم أننا نحن المسيطرون على الأوضاع لأننا نعرف ما يجب أن نقوم به كل يوم من أعمال، ونشعر أننا مستعدون للسيطرة على العالم.

لكن من ناحية أخرى، قد تكون الثقة بالروح القدس والاتكال عليه عملية صعبة تثير القلق. عندما يكون الروح القدس هو المسيطر والقائد، لا يمكننا أن نتأكد أبداً من نتائج ما نفعله. إننا سنبقى مستعدين للقيام بأعمالنا، لكننا نعرف أن مقاصد الروح القدس قد تكون مختلفة عن مقاصدنا. وفي بعض المناسبات، قد يقرر الروح القدس أن يجعلنا نبدو فاشلين. إننا لا نحب أن نحيا هكذا، ومن المحتمل أننا لا نريد هذا النوع من الحياة حتى نواجه نحن أيضاً حالات مثل إنزال بولس في سلّ النفايات.

لهذا السبب نحتاج إلى الشعور بعدم كفاءتنا. بدون هذا الشعور لن نفهم مطلقاً حاجتنا للقوة الحقيقية. من الصعب علينا أن نقبل ونفهم التناقض التالي: أننا، في المسيح، ضعفاء عندما نفكّر أننا أقوياء؛ وأننا أقوياء عندما نعرف أننا ضعفاء. إن جلب الثمار الروحية لا يحدث نتيجة شعورنا بالقوة والأهمية الذاتية. الثمر الروحي لا يأتي إلا من الروح القدس.

قبول ضيقاتنا، ضعفاتنا، وصعوباتنا

"ضَعفَ الله أقوى من النّاس... ليسَ كثيرون حُكماء
حسب الجسد، ليسَ كثيرون أقوياء، ليسَ كثيرون
شرفاء، بل اختار الله جهّال العالم ليُخزيَ الحكماء. واختار

الله ضعفاءَ العالم ليُخزيَ الأقوياء" (١كورنثوس ١: ٢٥-٢٧).

ليس من السهل علينا مواجهة عدم كفاءتنا وضعفاتنا، لكن حياتنا ستكون عقيمة في مجالاتها الهامة ما لم نفعل ذلك. غالباً ما ننسى هذه الحقيقة. نعتقد أن أمورنا على ما يرام وأن كل شيء يسير حسناً، لكننا لن نجلب الثمر الدائم حتى نعترف بضعفاتنا الحقيقية.

يتابع نبيل قصته...

قضينا أنا وزوجتي آخر ثلاثين سنة في مدرسة الإيمان. كان المنهاج يتألف بشكل رئيسي من الخبرات التي كشفت لنا عدم كفاءتنا وبيّنت لنا الحاجة للاتكال على الله. لقد حصلنا على خبرة لا يمكننا أن ننساها دامت ثلاث سنوات بين تشرين أول (أكتوبر) ١٩٧٥ وأيار (مايو) ١٩٧٨.

خلال تلك الفترة، توفي والدي بالسكتة القلبية وهو في التاسعة والأربعين من العمر، وعانت والدتي من الكآبة الشديدة بسبب حزنها. أصبحت تغضب بسرعة وأصبحت طلباتها غير عقلانية. وُلد إبننا الأول في شباط (فبراير) ١٩٧٦. ثم انتقلنا في نهاية تلك السنة إلى مدينة أخرى حيث حصلت على وظيفة في مجال التعليم. وُلدت ابنتنا الثانية في عام ١٩٧٧، وكادت أن تموت بعد خمسة أشهر. كانت مواردي المالية شحيحةً، ولم أستطع أن أسيطر على ذلك الوضع رغم الجهود التي بذلتها. وعندما لم يَعُد لديَّ أي شعور بالاكتفاء الذاتي، سيطرت عليَّ مشاعر اليأس. بدأنا نتطلّع إلى الله، فرأيناه موجوداً بانتظارنا.

بعد مضي عدة سنوات، عندما ننظر إلى الوراء نشكر الله لأجل الدروس الثمينة التي تعلّمناها في تلك الفترة. قدّمت لنا تلك الدروس الإرشاد منذ ذلك الوقت ولغاية الآن. تعلّمنا أن الضيقة بحد ذاتها لا تساعدنا على معرفة الله بطريقة أفضل. لكن عندما نقبل ضيقاتنا بالإيمان، وننظر إليها كفرصة لاختبار قوة الله، نصبح ناضجين.

وندرك الآن أن تلك السنوات الثلاث كانت مثمرة للغاية. كثير من الأصدقاء الذين تعرّفنا عليهم خلال تلك الفترة رأوا المسيح يعمل وسط ضيقاتنا. وكانوا مستعدين للبدء في تلك الرحلة لمعرفته وإتّباعه. واليوم، يحصد أصدقاؤهم وعائلاتهم بركات إيمانهم.

مبادلة الضعف بالقوة

لنفترض أن مديري جلب اثنين من الزبائن من خارج المدينة للتحدّث عن تصنيع منتج معين لهما. وحمّلني مسؤولية تلبية رغباتهما. كنت خائفاً لأنني لم أمارس ذلك النوع من العمل قبل ذلك الوقت، لكنني أردت ممارسة الاتكال على الله. كان عليّ أن أعتمد على الله

في ضعفي. ولذا، أردت استخدام الفرصة لأراه وهو يعمل.

عندما وصل الزائران، رحّبت بهما وتحدّثت إليهما عن المنتج ـــ وركّزت نظري على الله. طلبت منه أن يعطيني الحكمة والكلمات التي أحتاجها. أتعلمون ما حدث؟ لقد نجحت في مهمتي. أحب الزائران الشركة واشتريا المنتج. فرح مديري أيضاً، وقال لي أمام الجميع إن عملي كان رائعاً. فصدّقت ما سمعت. لقد فاجأت نفسي. أنا أفضل مما اعتقدت، وها أنا أتقدّم في عملي بسرعة.

هذا ما يحدث طوال الوقت. الله يقوم بالعمل، ونحن ننسب الفضل لأنفسنا وفي كل مرة نفعل فيها ذلك، نشوّه الصورة لأننا تعدّينا على مجده.

إن مبدأ قوة الله في ضعفنا حقيقة من الصعب أن نستوعبها. نعتقد أننا فهمنا درس الاتكال على الله، ثم ننسى ونعود إلى الاتكال على أنفسنا. أعطى الله بولس علامة دائمة ليذكّره ألا يفعل ذلك. كتب بولس: "ولئلاّ أرتفِعَ بفرطِ الإعلانات، أُعطيتُ شوكةً في الجسد، ملاكَ الشّيطان ليلطمني" (٢كورنثوس١٢: ٧).

عانى بولس من إعاقة جسدية كانت تضايقه وتعذبه باستمرار. في بادىء الأمر لم يفهم مغزاها. كان يُنفق كلّ طاقاته في نشر الإنجيل. ثم يصيبه هذا المرض فجأة. كان يتصور مقدار ما يستطيع أن ينجزه لو عادت إليه صحته. فكر بحلّ بسيط: عليه أن يصلي ليشفى. كان معتاداً على الصلاة لأجل الآخرين وكان يرى الاستجابة لصلواته. فصلّى من أجل نفسه، لكن لم يحدث أي شيء. حاول ثانية ولم يحدث أي شيء. ثم عندما صرخ مرة ثالثة إلى الله، تحدّث إليه المسيح وقال له أنت أفضل في الحالة التي أنت فيها ـــ أي كإنسان ضعيف. بهذه الطريقة لن تفكر أبداً بالاتكال على قدراتك الشخصية أو الثقة بها. والأشخاص الذين ستذهب إليهم سيعرفون أن شخصاً مثلك لن يقدر أن يفعل ما تفعله أنت، وأحصل أنا على المجد عندما تتخبط وتتعثر أنت هكذا "لأنّ قوّتي في الضّعفِ تُكمَلُ" (٢كورنثوس ١٢: ٩).

إن رد فعل بولس يكشف عمق علاقته القوية مع الله. لم يصدر عنه أي استفهام أو تذمر أو رثاءٍ للنفس، إنما قال "فبكلِّ سرورٍ أفتخرُ بالحريِّ في ضعفاتي، لكي تحلّ عليّ قوّة المسيح. لذلك أسرّ بالضّعفات والشّتائم والضّروراتِ والاضطهاداتِ والضيقاتِ لأجل المسيح. لأنّي حينما أنا ضعيفٌ فحينئذٍ أنا قويٌّ" (٢كورنثوس ١٢: ٩-١٠).

لن تنفع إلاّ الأواني الخزفية

"ولكن لنا هذا الكنـــزُ في أوانٍ خزفية، ليكون

فضلُ القوّة لله لا منّا" (٢كورنثوس ٤: ٧).

لهذا السبب صُنعت الأواني الخزفية. إنها تعلن عن الكنــز الذي فيها أفضل مما تعلنه الأواني المصنوعة من المواد الفاخرة. الأواني الخزفية كانت شائعة. إنها لا تحوّل الانتباه عن المحتويات. وليس هناك التباس بخصوص مصدر القوة. إننا نُعلن عن قوة الإنجيل التي تغيّر الإنسان بأفضل طريقة عندما نكون صادقين ومنفتحين بخصوص ضعفاتنا.

الحقيقة هي أننا جميعاً ضعفاء. إننا أوانٍ خزفية. وهناك جوانب عديدة في حياتنا نشعر فيها بعدم الكفاءة. لكن هذه الحقيقة ليست سبباً يمنعنا من أن نكون مؤثّرين من الداخل. قد نواجه تجربة الاعتقاد بأن علينا أن ننتظر لفترة أطول حتى نكون قد أصلحنا حياتنا وأصبحنا أكثر قدرة على الكرازة بالإنجيل قبل أن نفعل أي شيء. لكن الواقع هو أن ذلك اليوم لن يأتي أبداً. لن يجعلنا إبليس نتخلّى عن مشاعر الذنب التي تراودنا. ولن يحدث إلا تقدّم قليل في حياتنا الروحية حتى نقرّ بضعفاتنا واتكالنا على الله. علينا الكرازة للآخرين كما نحن بكل ضعفاتنا. عندما نفعل هذا، سنجد أننا أصبحنا على طريق الحرية الجديد الذي يقودنا بعيداً عن قوة وسيطرة ضعفاتنا علينا. علينا أن نعيش كمؤثّرين من الداخل لأجل تقدمنا ونضوجنا الروحي.

أسئلة للمناقشة

١. برجاء قراءة سفر العدد ١٣: ١-٣؛ ٢٦-٣٣؛ ١٤: ١-٤. كيف أثّر الخوف ومشاعر عدم الكفاءة على سلوك الناس؟

٢. ما هي ضعفات حياتك التي تريد أن تخفيها عن غير المؤمنين؟

٣. برجاء قراءة ١كورنثوس ٢: ١-٥ و٢كورنثوس ١٢: ١-٩. كيف تتجاوب مع الفكرة القائلة بأن الله سيعلن عن نفسه بوضوح من خلال ضعفاتك؟

٤. ما هي إحدى الحالات التي تشعر فيها بعدم الكفاءة لتعيش كمؤثّر من الداخل؟ ما الذي تخشى حدوثه في تلك الحالة؟ ماذا تعتقد أن الله يريدك أن تفعل؟

٥. إن المثال الموجود في السؤال الرابع من الفصل الثالث يصوّر عملية الكرازة. تخيّل أن لديك جاراً في بداية هذه العملية — إنه الآن ضد الإنجيل. وينتقد الآخرين بسبب معتقداتهم. كيف ستظهر الجرأة في علاقتك مع جارك؟

٦. تخيّل أن أحد زملائك في العمل مهتّم بالكتاب المقدّس وبالأمور الروحية، لكنه لا يعرف إلا القليل مما فعله يسوع وعلّمه. كيف ستبدو الجرأة في علاقتك معه؟

٧. فكّر ثانية بالمخاوف التي سجلتها في السؤال الأول، الفصل السابع. كيف ستبدو الجرأة لديك لتنطلق إلى ما هو أبعد من هذه المخاوف؟ أي عمل يتّصف بالجرأة يمكن أن تقوم به لتقوية علاقة الوئام والثقة مع غير المؤمن؟

الجـــزء الثالث

أنمــاط حيــاة

المــــؤثِّـر المثمــــــر

مقدمـــــــة

****

الحياة عبارة عن نافذة تطلّ على فرص كثيرة لها وجود أبدي. يخلق الله شعباً، وهو يجمع أفراد هذا الشعب من كل أمة للاشتراك معه في ملكوته كأفراد من أهل بيته. ولقد دعانا لنكون شركاء معه في هذا العمل ووضعنا في الموقع المناسب للقيام به. نحن مؤثّرون بين الذين نسكن معهم وفي العلاقات المتعددة التي يريدنا الله من خلالها أن نمجده أو نعلنه.

إن دعوة الله هذه للاشتراك معه في هذا العمل تبعث على الفرح والحماس كما أنها قد تثير بعض المخاوف. إن هذا الهدف أكبر من الحياة لأنه يمتد إلى الأبدية. لكننا نتردد في تحقيقه لأننا ننظر إلى العقبات التي تواجهنا. إن هذا العمل سيدفعنا إلى الخروج خارج مجالات الراحة التي نشعر بها وسيأخذنا بعيداً عن وجوه الدائرة الصغيرة من الأشخاص المشابهين لنا. إنه سيقودنا إلى تطوير علاقات مع أشخاص حياتهم مختلفة عنّا. وهنا قد نشعر بالقلق ونتساءل: **"هل هذا ما سنقوم به؟ وهل نحن مستعدون للقيام بهذا العمل؟"**

عندما نزيل من طريقنا مثل هذه العقبات، فإننا نواجه عقبة أخرى. نحن لا نعرف ما يجب أن نفعله لاحقاً. سؤالنا التالي إذاً: كيف نقوم بهذا العمل؟ وبصياغة عملية نطرح هذا السؤال كالتالي: كيف نترجم هذه الرؤية التي تتطلب منّا أن نعيش كمؤثّرين إلى أنماط حياة عملية؟ إن هدفنا في الجزء الثالث هو مناقشة هذا السؤال. سنجد أن الكتاب المقدّس يقدّم لنا معلومات وفيرة وإرشاداً عملياً لمعرفة كيف نعيش حياة مثمرة كمؤثّرين. سوف نرى أن المؤثّرين المثمرون يعيشون بطريقة معيّنة، وبالتالي يقومون بأعمال معيّنة.

في هذا الجزء سوف نفحص سبعة أنماط من السلوك يشكّل كل منها جزءاً من حياة المؤثّر. إننا نصلي من أجلك لكي تتمكن بعد قراءة كلّ نمط من هذه الأنماط من القول: «**هذه عملية بسيطة! أستطيع القيام بها.**» هذه الأنماط بسيطة لكنها مجتمعة تكوّن قوة كبيرة. وسبب ذلك هو أنك ستصبح شريكاً مع الله ومع إخوتك وأخواتك بالمسيح.

الأنماط السبعة هي:

١. القليل من المبادرات.
٢. الصلاة والاستجابة.
٣. خدمة الآخرين.
٤. العمل مع أفراد الفريق.

٥. التحدّث عن الإيمان بالمسيح.
٦. دعْ الكتاب المقدّس يتكلم.
٧. المساعدة في ولادة حياة جديدة.

الفصل الحادي عشر

النمــط الأول
القليل من المبادرات

لم يدرك الناس في أيام يسوع ما كان يقوله عن ملكوت الله. فها هو الملك بنفسه يجلب لهم ملكوت الله ليكون بينهم، لكن الناس تجاهلوه واستخفوا بقدومه لأنهم لم يكونوا يتوقعون هذا النوع من الملكوت. فملكوت الله لم يكن لديه أي ثروة لعرضها، ولا جيوش تفرض سلطانها، ولا وسيلة مرئية لتنفيذ قوانينه. إن الناس لم يفهموا **طبيعة** هذا الملكوت. ومع أن الملكوت كان يبدو غير هام إلا أنه أكثر قيمة من أي شيء آخر ولا يمكن مقارنته بأي شيء آخر. إن الذين يفهمون الملكوت وطرقه يرون عظمته وجلاله ويدركون أنه سيربح العالم للمسيح في السنوات القليلة القادمة. إنهم يعرفون أن ملكوت الله يتقدم وينتشر في قلوب الناس عندما يعيش مواطنوه حياتهم اليومية تحت سلطان المسيح. إنهم يدركون الأهمية الأبدية للمبادرات الصغيرة في انتشار الملكوت. وهذه المبادرات هي جزء من أنماط حياتهم.

****

وصف يسوع في إحدى استعاراته اللغوية أبناء الملكوت بالبذور المزروعة في العالم. في هذا المثال، أخبرنا يسوع أن مكاننا في الوقت الحاضر كمواطنين في الملكوت هو في العالم، بين الزوان. هذا هو مكاننا لأن يسوع قال: «ها ملكوتُ الله داخلكم» (لوقا ١٧: ٢١). إذا أراد الناس أن يروا ملكوت الله اليوم، عليهم أن يلاحظوه في مواطني الملكوت. إن قلوبنا تعلن الملكوت عندما نخضع له، وأعمالنا تعبّر عن سلطان الملكوت. سيرى الناس الملكوت عندما نُظهر الرحمة بدلاً من الإدانة، أو نتكلم الصدق بدلاً من الكذب الذي ربما سيفيدنا، أو نخدم الآخرين عندما لا يتوقعون منّا هذه الخدمة أو قد لا يستحقونها.

إنها مبادرتك!

تظهر فكرة انتشار وتقدّم الملكوت في حياة أبناء الملكوت اليومية في العديد من الأمثلة والاستعارات اللغوية التي استخدمها يسوع لوصف الملكوت. إن الملكوت مثل الخميرة، أو الملح، أو البذرة، أو نور الشمعة. الخميرة تنفذ إلى الداخل، وكذلك يفعل الملح. البذرة تنبت وتنمو، والنور يُضيء ــ **وتحدث هذه الأمور كلها بدون أن يكون لها صوت!** وهذا يعني

بشكل عملي أن أبناء الملكوت مختلفون عن الآخرين. فإن أدركوا أنهم أساءوا إلى شخص ما، يتركون كل ما يفعلونه ــ حتى ولو كانوا يعبدون الله ــ ويذهبون ليتصالحوا مع ذلك الشخص. إنهم يسيطرون على غضبهم. ولا يهينون شخصاً ما باشتهائه جنسياً. وهم يفون بوعودهم، وكرماء تجاه الذين يريدون استغلالهم. وحتى أنهم يحبون أعداءهم (انظر متى ٥: ٢١-٤٣).

لاحظوا أن هناك شيئاً مشتركاً بين جميع صفات هذا السلوك الخاص بالملكوت. لا يستطيع أي شخص أن يُظهر هذه الصفات بدلاً من شخص آخر. وليس بإمكان أي شخص أن يوظف شخصاً آخر ليقوم بهذه الأعمال مهما كان يملك من أموال. إن كل مواطن في ملكوت الله مدعوٌّ للقيام بهذه المبادرات الصغيرة كل يوم.

لكن المشكلة تكمن في أن كثيراً من هذه المبادرات هي على نقيض ردود أفعالنا العادية فنستنتج أن يسوع لا يعني بالحقيقة ما كان يقوله. لنأخذ على سبيل المثال محبة أعدائنا. لأن هذه الوصية تبدو غير منطقية بالنسبة لنا، نميل إلى التقليل من أهميتها ومعناها. لكن يسوع كان يعني ما كان يقوله. وأشار إلى أبيه كنموذج ومثال لما كان يتحدث عنه. قال يسوع:

> «سمعتُم أنّه قيل تُحبّ قريبَكَ وتُبغضُ عدوّك. وأمّا أنا فأقولُ لكم أحبّوا أعداءَكم. باركوا لاعنيكم. أحسنوا إلى مُبغضيكم، وصلّوا لأجلِ الذين يُسيئون إليكم ويطردونكم، لكي تكونوا أبناءَ أبيكم الذي في السموات، فإنه يُشرق شمسَهُ على الأشرار والصالحين، ويُمطر على الأبرار والظالمين. لأنّه إن أحببتم الذين يُحبّونكم، فأيُّ أجرٍ لكم؟ أليسَ العشّارون أيضاً يفعلون ذلك؟ وإن سلّمتُم على إخوتكم فقط، فأيّ فضلٍ تصنعون؟ أليسَ العشّارون أيضاً يفعلون هكذا؟ فكونوا أنتم كاملين كما أنّ أباكم الذي في السموات هو كاملٌ» (متى ٥: ٤٣-٤٨).

منذ فترة قريبة ذهبت إلى إحدى الدول الأفريقية لألتقي مع مجموعة صغيرة من الأشخاص الذين كانوا منشغلين بنشر الإنجيل في مجتمعهم. وكان زميلي في الغرفة قد فقد زوج أخته وابن أخته عندما هاجمت مجموعة من المسلحين منزلهم. وأشعلوا النار بالمنزل، وعندما حاول الأب وابنه الفرار قبضوا عليهما وقتلوهما بسكاكين كبيرة. في ذلك الأسبوع دخلت عدة مرات إلى غرفتي لأجد زميلي راكعاً وهو يصلي، ليعرف كيف يتعامل مع حزنه الشديد.

في الصباح التالي عندما بدأنا الاجتماع طلب زميلي مني أن أسمح له بالكلام. كنّا في

اليوم السابق قد ناقشنا تلك الفقرة من إنجيل متى، وأراد زميلي التعليق عليها. قال: «أنا أعتبر هذه الآيات عن محبة أعدائنا تحدياً لي. ماذا أفعل عندما يكون أول شخص أقابله في الشارع في الصباح هو الشخص الذي قتل زوج أختي وابنه في اليوم السابق؟ هل يطلب مني الله حقيقةً أن أسلّم على ذلك الشخص؟» ثم تابع وقال: «نعم، أنا أعتقد أن هذا ما قصده الله. لكن هذا العمل صعب جداً بالنسبة إلي.»

عندما نُصغي إلى قصص مثل قصة زميلي هذه، نستطيع أن نرى كم كانت دعوة يسوع للعيش كأبناء الملكوت مختلفة اختلافاً جذرياً. إن هذه الدعوة هي نمط حياة يتألف من أشياء صغيرة لكنها هامة جداً، إذ أنها على نقيض حياة مجتمعنا وثقافتنا الدينية.

الله يحب الناس سواء أحبوه أم لا. والمزارع الذي يكره الله يحصل على أشعة الشمس والأمطار لمحصوله كما يحصل عليها جاره الذي يحب الله. لماذا يزدهر الأشرار؟ لأن الله يحبهم! يقول لنا يسوع افعلوا أنتم هكذا. أظهروا محبة للناس الذين حولكم بدون أن تضعوا شروطاً لهذه المحبة. أحبوهم لأن الله يحبهم.

غالبا ما يسألني الناس: «كم من الوقت سيستغرق التزامي بصداقة شخص ما؟ لقد صادقت ذلك الشخص لفترة سنتين وهو الآن ليس أقرب إلى المسيح مما كان عليه عندما قابلته لأول مرة. هل يجب أن أتوقف عن صداقته وأبحث عن شخص آخر؟» الجواب هو طبعاً كالتالي: إذا كان هدفنا من مصادقة الآخرين هو الكرازة لهم، أو إذا كنا نهتم بالناس لكي نحقق أهدافنا بواسطتهم فقط، فنحن نكون قد أسأنا فهم معنى الصداقة. عندما نفكر بهذه الطريقة، فإننا لا نحب الآخرين كما يحبهم أبونا السماوي. إن محبة الله خالية من الشروط.

قوة إلقاء التحية

إن فكرة القيام بمبادرات صغيرة للتعبير عن المحبة للناس أساسية وهامة. أراد يسوع أن يتأكد من أننا فهمنا معناها. فهو قد أخبرنا كيف نُظهر هذه المحبة. قال: «وإن سلّمتم على إخوتكم فقط فأي فضل تصنعون أكثر من الآخرين؟» أي، قُلْ للناس «مرحبا». إن يسوع يطلب منّا أن نسلّم على الذين نقابلهم في حياتنا اليومية والذين نتجنبهم عادةً ونحن نعرف كيف تسير حياتنا اليومية. بالنسبة لمعظمنا، تجري حياتنا وفق برنامج معيّن. علينا أن نستيقظ في وقت محدد لننطلق إلى أعمالنا أو لنلحق بالقطار لنكون في المكتب في الوقت المحدد. وبقية يومنا تجري أموره على هذا المنوال.

وخلال اليوم نقابل الأشخاص أنفسهم يوماً بعد يوم. (يعيش معظم الناس حياتهم بموجب برنامج معروف ومحدد.) نتوقف عادة لنسلّم على بعض هؤلاء الأشخاص. ونسألهم

عن صحتهم وأعمالهم ونتمنى لهم يوماً سعيداً. ونسلّم على البعض الآخر بأسمائهم وبعضهم نحييهم بابتسامة وإيماءة رأس. لكننا نتجنب الآخرين ونعبر أمامهم وكأنهم من أثاث البيت أو آلات صماء. وهم يعاملوننا بالمثل.

يقول يسوع: هؤلاء هم الأشخاص الذين يجب أن نسلّم عليهم ــ الذين نتجنبهم عادة. هؤلاء هم الذين أريدكم أن تحيّوهم، يقول يسوع: وعندما تفعلون هذا، فإنكم تطيعون كلامي.

من الواضح أن المعايير والأصناف التي بموجبها نقسّم المجتمع لم تتغير كثيراً منذ زمن يسوع إلى وقتنا الحاضر. لقد غيّرنا الأسماء، لكن مجموعات المجتمع لا تزال كما هي. كان يسوع يخاطب أشخاصاً اعتقدوا أنهم جزء من الثقافة الدينية المسيطرة. فقد أقاموا جدراناً بينهم وبين بقية أفراد المجتمع، كانوا يعيشون حياتهم داخل حدود منطقتهم. وكانوا يحصلون على دعم من أفكارهم الدينية لتبرير مواقفهم. لكن يسوع يطلب منّا أن نتخلّى عن هذا النمط من الحياة. قم بمفاجأة أحد الأشخاص اليوم وألقِ التحية على هذا الشخص الذي كنت تتجنبه. واستمر بالقيام بهذا العمل، فيوماً ما سينظرون إليك ثم يتبسمون وسرعان ما يسلّمون عليك أيضاً. إن يسوع يقول: «افعلوا هذا لأجلي».

كانت ماري تستيقظ باكراً كل يوم من الاثنين إلى الجمعة وتقود سيارتها إلى محطة القطار. ثم كانت تركب القطار لمدة خمس وأربعين دقيقة للذهاب إلى مدينة أخرى. ثم كانت تستقل قطار الأنفاق إلى مكتبها. كانت تذهب إلى عملها بهذه الطريقة لمدة سنة واحدة. ثم استقالت من عملها لتتدرب لتكون مساعدة طبيب. أعطاها المهندس في قطار الأنفاق تذكرة مجانية لركوب القطار لمدة أسبوعين. وفي اليوم الأخير من ذهابها، أقام ركّاب القطار حفلة وداعية لها.

لماذا حصل هذا؟ ما الذي دفع هؤلاء الركّاب إلى إقامة حفلة لراكب آخر؟ عادة ما ينهمك ركاب القطار في قراءة الصحف والمجلات أو الاستماع إلى الموسيقى، أو يهرعون إلى فتح حواسبهم بمجرد الجلوس في القطار. فما الذي حصل مع ماري؟

يبلغ عمر ماري اثنتين وعشرين سنة. وتقول بكلماتها الخاصة: «أنا لست شخصاً ينفتح على الآخرين بسهولة.» لكنها كمؤمنة بالمسيح، قرّرت أن تطبّق إرشادات ووصايا يسوع التي كنّا نتحدّث عنها في هذا الفصل. اختارت ماري أن تصعد كلّ يوم إلى عربة القطار ذاتها. ولأن معظم الناس يفعلون هذا الشيء، فإنها أرادت أن تقابل الأشخاص أنفسهم يومياً. لقد **قرّرت أن تكون متواجدة** بين الركّاب الآخرين. ثم بدأت بإلقاء التحية عليهم، وحفظت أسماءهم وتعرّفت على عائلاتهم واهتماماتهم ومخاوفهم. كانت أحاديثها

مع الركّاب تستمر طوال فترة ركوبها في القطار. لقد أبدت الاهتمام بهم، وأدرك الناس اهتمامها وتأثروا به. ولأن إيمانها كان جزءاً من حياتها، فإنه أصبح جزءاً من أحاديثها أيضاً. إن تلك الحفلة التلقائية في ذلك القطار توضّح نوع الاستجابة التي حصلت عليها ماري نتيجة مبادرتها الصغيرة.

ما أهمية الاسم؟

باستطاعة كلّ شخص أن يسلّم على شخص آخر. ليس من الضروري أن يكون الشخص منفتحاً على الآخرين ليفعل هذا. إننا نسلّم على الناس كجزء من عبادتنا للمسيح (انظر رومية ١٢: ١-٢). وكما رأينا في قصة ماري، فإن كلّ عمل صغير يؤدي إلى عمل آخر بدون إكراه. ستجد نفسك يوماً ما واقفاً بجانب شخص تلقي عليه التحية. ثم تتعرفان على بعضكما، وتتبادلان أسماءكما. فإذا حدث هذا، لا تنسَ اسم ذلك الشخص لأنه سيكون مستعداً لفتح الباب لكل ما سيحدث لاحقاً.

ربما تقول أنك لا تستطيع أن تتذكر الأسماء بسهولة؛ وهذا حال معظم الناس. إذاً، اكتب اسم الشخص حتى لا تنساه. ثم ابدأ باستخدام اسم الشخص عندما تسلّم عليه. قد لا يتذكر الشخص الآخر اسمك، لكن عندما تستخدم اسمه عدة مرات، فإنه سيتذكر اسمك. الأسماء هامة. منذ عدة عقود، فهم «ديل كارنيجي» أهمية استخدام الأسماء أثناء القيام بالعمل، فقال: «تذكّروا أن اسم الشخص هو الصوت الأحلى والأهم في أية لغة كانت.» عندما تستخدم اسم الشخص، فإنك تجذب انتباهه إليك.

إلى أين تقودنا هذه المناقشة؟ إنها تقودنا إلى تطبيق هذه الإرشادات في حياتنا اليومية. وأصبحنا الآن مستعدين للتحدّث عن النمط الثاني من حياة المؤثّر.

أسئلة للمناقشة

١. برجاء قراءة متى ٥: ٤٦-٤٨. ماذا يقول يسوع في هذه الفقرة بخصوص القيام بمبادرات بسيطة مع الناس؟

٢. ما هو الدور الذي يلعبه الخوف، والانعزال، والانشغال في رغبتك في إلقاء التحية على الآخرين؟

٣. اذكر ثلاثة أمكنة على الأقل تستطيع فيها أن تلقي التحية على الناس.

٤. اذكر أسماء ثلاثة أشخاص لا تسلّم عليهم عادةً. اكتب هذه الأسماء لتتذكرها. إن هذا يساعدك على إلقاء التحية على هؤلاء الأشخاص مع ذكر أسمائهم.

٥. اقرأ المناقشة التالية حول كون حياة المؤمن مختلفة عن الآخرين:

«إن مواطني الملكوت مختلفون عن الآخرين. إذا أدركوا أنهم أساءوا إلى شخص ما، فإنهم يتوقفون عما يفعلونه ـــ حتى ولو كان ذلك عبادة الله ـــ ويذهبون للتصالح مع ذلك الشخص. ويسيطرون أيضاً على غضبهم. ولا يقللون من قيمة شخص آخر. إنهم يفون بوعودهم وكرماء تجاه الآخرين، حتى أنهم يحبون أعداءهم. (انظر متى ٥: ٢١-٤٣).

ـــ اذكر حالتين صعبتين يكون لديك فيهما الفرصة لمعاملة الناس كما يعاملهم أحد مواطني الملكوت. ماذا تستطيع أن تفعل لتكون معاملتك للآخرين مختلفة؟

الفصل الثاني عشر

النمـــط الثاني
الصلاة والاستجابة

****

إن الاستخدام الأهم لاسم شخص ما، هو عندما نكرّره في حضرة الله.

منذ عدة سنوات انتقلت عائلتي إلى حيّ جديد تحت الإنشاء. وهناك بعض الميزات والحسنات للحيّ الجديد. فالناس منفتحون لتطوير علاقات مع الجيران لأن سكان الحيّ لا يعرفون بعضهم بعضاً. بعد فترة قصيرة من انتقالنا إلى ذلك الحيّ، بدأنا أنا وزوجتي مع جارٍ آخر القيام بمبادرات صغيرة. أردنا أن نخلق جواً اجتماعياً عن طريق مساعدة الناس على التعرّف على بعضهم البعض. فأنشأنا جمعية أطلقنا عليها اسم «مجموعة مراقبة الحيّ.»

كانت دائرة الشرطة المحلية تُشجّع تنظيم مثل هذه المجموعات في الأحياء. وكان رجال الشرطة يقدّمون التدريب والمعلومات والمواد للحيّ الذي ينظّم مثل هذه الجمعيات. فاتصلنا بدائرة الشرطة، وذات مساء أتى أحد رجال الشرطة إلى بيتنا حيث اجتمع جميع الجيران للاستماع إليه.

طلب منّا رجل الشرطة أن نتبادل الأسماء وأرقام الهاتف لكي نتصل ببعضنا في الحالات الطارئة. فكتب كل واحد اسمه وعنوانه، وأخذ أحد الجيران ورقة الأسماء والعناوين. ثم أخرج خارطة ووضّح لنا الشوارع والبيوت التي يسكن فيها كل واحد منّا. ثم أرسل نسخة من الخارطة والأسماء والعناوين إلى كل بيت في الحيّ.

عندما استلمنا نسختنا في البريد، أدركت أنني قد حصلت على قائمة للصلاة! ابتدأت أستخدم الخارطة أثناء خلوتي مع الله. كنت أضع إصبعي على أحد البيوت وأصلّي من أجل العائلة التي تقطن فيه. في بعض الأحيان — لأنني لا أستطيع التركيز لفترة طويلة أثناء الصلاة — كنت أسير في أرجاء الحيّ وأصلّي من أجل كل عائلة عندما كنت أمرّ أمام بيتها. اكتشفت أن هذه الطريقة ساعدتني على التركيز في الصلاة.

من السهل أن تتذكر أسماء الناس عندما تصلّي من أجلهم، ولذا تعرّفت على أسماء جميع

سكان الحيّ في وقت قصير. وعندما كنت أرى جاري وهو على وشك الدخول إلى سيارته كنت أسلّم عليه قائلاً: «مرحبا، جورج.» فكان يرّد عليّ مندهشاً: «مرحبا، كيف حالك؟»

بعد أن تبادلنا التحية عدة مرات، يبدو أنه تعرّف على اسمي من خارطته لأنه في المرة التالية التي سلّمت فيها عليه، قال لي: «مرحبا، جيم.»

كان لا بد لصداقتنا أن تبدأ وتنمو عند تلك المرحلة. لقد بذل مجهوداً ليتعرّف على اسمي. فشعر كلانا بالارتياح والسرور.

انضم إلى الله في عمله

في بعض الأحيان، كنت أقابل شخصاً كان قد صمّم على الكرازة لكل سكان الحيّ الذي يقطن فيه. فكان يوزع الكتب على البيوت في الحيّ. ثم كان يرسل دعوات إلى كل شخص يدعوه إلى حضور اجتماع كرازي في بيته. كانت هذه الجهود في بعض الأحيان تأتي بثمر ـــ لكنها غالباً ما كانت تأتي بعكس النتائج المرجوة. إن هذه المبادرة ليست شخصية ولا تأتي بنتائج بين الجيران. فلأن ذلك الشخص وآخرين مثله كانوا يريدون الكرازة بسرعة، فقد فقدوا الثقة والوئام مع الآخرين. وهكذا يجد هؤلاء المبادرون أنفسهم بدون أية وسيلة أخرى لمتابعة جهودهم.

لا نملك أنا وزوجتي القدرة على إقامة علاقات وطيدة مع جميع جيراننا. فليس لدينا الوقت أو الطاقة للقيام بهذا. لكننا نستطيع تقوية علاقتنا وصداقتنا مع بعض العائلات في الحيّ. مَنْ تكون تلك العائلات؟ هنا يأتي دور الصلاة.

بإمكاننا أن نفترض أن الله لا يزال يعمل ويجذب إليه بعض العائلات التي توجد أسماؤها على خارطة مراقبة الحيّ. ونستطيع أن نفترض أيضاً أن الله سيقودنا إلى هؤلاء الأشخاص بينما نصلّي لأجلهم. رأينا في الفصل السابق أن الرسول بولس تحدّث عن بعض الأشخاص المكتوبين في قلبه بالروح القدس. وهذا ما أعطاه الإرشاد الذي يحتاجه ليعرف ما يريد الله منه أن يفعل. وهذا ما سيفعله الله معنا أيضاً.

عندما كنت أصلّي مستخدماً خارطة مراقبة الحيّ، وجدت أن هناك نمطاً قد ظهر. كنت أصلّي بسرعة لأجل بعض الأسماء، ثم أصرف وقتاً أطول بالصلاة من أجل البعض الآخر، أو كنت أصلّي بتفاصيل أكثر من أجل عدد قليل منهم. فكنت كلّما قابلت أحد هؤلاء أشعر أن الله يقودني ويرشدني لأساعده في عمله أو لأصادقه. ينبغي ألاّ يقيّد أو يحدّ هذا المثال الذي استخدمته عن مراقبة الحيّ من تفكيرنا. إن استخدام يسوع لكلمة

«قريب» (جار) هو أوسع من استخدامي لها. عندما أجاب يسوع على السؤال: «من هو قريبي؟»، سرد قصة السامري الذي التقى مع شخص كان اللصوص قد ضربوه ضرباً مبرحاً وكان بحاجة للمساعدة. كان السامري هو «القريب الصالح» مع أنه لم يلتقِ بذلك الشخص قبل ذلك. إن كوننا «أقرباء» (أو جيران) لا علاقة له بمكان وجود منـــزلنا. إن «قريبك» قد يكون في مكان عملك، أو في سكن الطلبة في الجامعة، أو أحد شركائك، أو في الفريق الرياضي الذي تنتمي إليه.

من المفيد أن نصغي إلى الله قبل الشروع بأي عمل. بدأت ابنتنا وزوجها، اللذان كانا قد تزوجا منذ فترة قصيرة، بتقديم المسيح إلى بعض أصدقائهما. صرفا ثلاث سنوات وهما يزرعان البذور الصالحة في تربة قاسية وصعبة. ماذا حدث للبذور؟ «فجاءت الطّيور وأكلته» (متى ١٣: ٤). وعندما لم يجدا أي نمو روحي بين أصدقائهما، بدآ يتساءلان ما إذا كان الله سيستخدمهما للقيام بأي عمل. ثم انتقلا إلى ولاية أخرى ليتابع زوج ابنتي دراساته العليا. في هذه المرة، صلّيا من أجل كرازتهما وأعطاهما الله ثمراً وفيراً.

صلِّ خطوة فخطوة

غالباً ما كان يسوع يستخدم الاستعارات اللغوية الزراعية ليصف الطريقة التي يدخل بواسطتها الناس إلى الملكوت. بهذه الأمثلة شرح يسوع الفكرة القائلة بأن التجديد أو الإيمان الشخصي بالمسيح لا يحدث فجأة من لا شيء. عندما يحدث التجديد، يكون هذا لأن البذرة كانت قد زُرعت، ورُويت، وتم الاعتناء بها، لكنها كانت تحتاج إلى الوقت لتنمو. ثم يأتي وقت الحصاد. إن فهم هذه الحقيقة ــ أن الكرازة عملية تستغرق وقتاً بدل من كونها حادثة واحدة ــ بالنسبة لنا عامل أساسي لجلب الثمر كمؤثّرين من الداخل.

إن الزرع والحصاد نشاطان مختلفان ولهما أهداف مختلفة. غالباً ما يتضمن مفهومنا الشائع عن الكرازة أكثر من مجرد الحصاد. فبالنسبة لكثيرين، الكرازة هي توجيه الناس إلى اتخاذ قرار. إن كل جهودهم تتمركز حول ذلك المفهوم. وهذا المفهوم يضع الكثيرين خارج نطاق شهادتنا وكرازتنا. لكن عندما ندرك أن الإنجيل بحاجة إلى الوقت لينمو في قلب الشخص قبل أن يجلب الثمر، فإن الفرص تزداد بشكل كبير. وفجأة نجد أن بإمكاننا توصيل الرسالة إلى الكثيرين. كما أننا نكتسب الصبر، ذلك الصبر الذي يتحلّى به المزارع وهو ينتظر أن ينضج حصاده.

إننا نعتني بحقلنا من خلال الصلاة. هل هناك صخور في تربة القلب؟ ما هي؟ هل التربة قاسية وصعبة؟ لماذا؟ ماذا يمكننا أن نزرع الآن؟ وماذا عن الأعشاب الضارة التي تهدد بخنق

وتعطيل النمو؟ كيف أعتني بالبذرة التي تنمو؟

عندما نصلّي، سيرشدنا الله. إن الصلاة ليست مجرد التحدث مع الله. إنها التفاعل معه. إنها تشمل الإصغاء، والميل إلى التجاوب مع ما يضعه الله في قلوبنا. غالباً ما تقود الصلاة إلى العمل. إنها ليست نشاطاً سلبياً. قال يسوع: «لأنّ كلّ من يسألُ يأخذُ، ومن يطلبُ يجدُ، ومن يقرع يُفتح له» (لوقا ١١: ١٠).

هناك أوقات أصلّي فيها لأجل شخص ما أعرفه، فأشعر أنني أعرف بالتحديد الخطوة التالية التي يجب عليّ اتخاذها. لكن هذه الفكرة تخيفني لأنها تحتاج إلى جرأة أكثر مما أنا معتاد عليه. إن التجربة التي أواجهها هي التردد في القيام بخطوة أبعد، الأفضل أن أبقى حيث أنا ـــ وربما أصرف وقتاً أطول في الصلاة.

في مثل هذه الأوقات، عليّ أن أنهض وأطلب من الله أن يمنحني الجرأة والكلمات التي يجب أن أنطق بها، ثم أذهب للقيام بما طلبه الله مني. لقد فعلت هذا عدة مرات وغالباً ما كانت ركبتاي ترتجفان. لكنني كنت أكتشف أن الله سبقني وبدأ باستجابة صلاتي ومهّد الطريق أمامي لأعمل بما قد ألهمني القيام به.

ما الذي يفعله الله استجابةً لصلواتنا؟

الصلاة هي طلبة لكي يشترك الروح القدس ويعمل بفاعلية في حالة ما. إنها تفتح قنواتنا على المصادر الإلهية للتأثير على ما يجري. عندما شرح يسوع لتلاميذه عن مجيء الروح القدس، قال: «ومتى جاءَ ذاكَ يُبكت العالم على خطية وعلى برٍّ وعلى دينونة» (يوحنا ١٦: ٨). أليس هذا ما ينبغي أن يحدث بالتحديد في قلوب أصدقائنا غير المؤمنين؟ كيف سيهتمون بحالتهم الروحية الحقيقية إن لم يدركوا خطورة موقفهم من الله؟

ثم تابع يسوع حديثه قائلاً: إن الروح القدس سيبكّت:

١. «وأمّا على خطية فلأنهم لا يؤمنون بي.» (إن الإيمان بالمسيح هو العامل المركزي الأساسي لعلاقتنا مع الله. وعدم الإيمان هو الخطية التي تُبقي الشخص تحت دينونة الله.)

٢. «وأمّا على برّ فلأني ذاهب إلى أبي ولا ترونني أيضاً.» (عندما كان يسوع على هذه الأرض، كان هو مقياس البرّ. كانت حياته التعريف الحيّ العملي لهذه الكلمة. لكن لأن المسيح ليس حاضراً معنا في الجسد، فإن الروح القدس يقوم بهذا العمل.)

٣. «وأمّا على دينونة فلأن رئيس هذا العالم قد دِين.» (هذا العالم سائر نحو الهلاك. إن رئيسه، الشيطان، وكل أتباعه منهزمون ومحطّمون. فلا تقامر بحياتك وترهنها لشيء لا مستقبل له.)

هذا هو ملّخص يسوع الصريح لحالة غير المؤمنين. إنه يصف أيضاً ما يمكننا أن نتوقع من الروح القدس أن يعمله في قلوب الذين نصلّي لأجلهم. بإمكاننا أن نطلب من الله أن يعمل في هذه الحالات بكل ثقة لأننا نصلّي حسب إرادته.

من الأهمية بمكان أيضاً أن نتذكّر الدور الذي يقوم به كل واحد في هذا العمل لمساعدة الناس على إقامة علاقة شخصية مع المسيح. أنا لا أستطيع أن أبكّت أي شخص على خطية، ولا أستطيع أن أبيّن البرّ الحقيقي لأي شخص. كما أنني لا أقدر أن أجعل أي شخص يدرك أن حياته مبنية على شيء مصيره الهلاك.

كان أليكس طالباً في السنة الثانية بكلية الطب في إحدى جامعات البرازيل. قرأت وناقشت معه بعض الإصحاحات من إنجيل يوحنا خلال عدة أشهر، ومع أنه كان ملحداً، إلا أن التحدي العقلي الذي قدّمته تعاليم يسوع أدهشه كثيراً. لكن القلق بدأ يسيطر عليّ بالنسبة للتقدم الذي كنا نحرزه لأن مناقشاتنا كانت دائماً فكرية. كنت باستمرار أحاول أن أنقل المناقشة من عالم الأفكار إلى القضايا المرتبطة بالقلب، فقرّرت أن أصلّي لكي ينـزع الله قدرة أليكس على النوم أو الدراسة حتى يؤمن بالمسيح إيماناً شخصياً.

بعد أن صلّيت هكذا لمدة أسبوعين، التقيت بأليكس ثانيةً. فسألته عن أحواله. أجاب قائلاً: «لا أدري ما المشكلة، فأنا لم أستطع أن أنام أو أدرس في الأيام الماضية.» بإمكاننا أن نخلق الفرصة ليستطيع الشخص بواسطتها أن يرى المسيح بوضوح، لكننا لا نستطيع أن نلمس قلبه أو نغيّره. إن هذا عمل الله.

المثابرة ضرورية

لا نستطيع دائماً أن نعمل بموجب صلواتنا كما حدث بيني وبين أليكس. في كثير من الأحيان لا تسنح الفرصة للشخص الذي يصلّي أن يرى نتائج صلواته.

قابلت مريم امرأة تُدعى أليس أثناء عملها في رعاية المرضى المصابين بأمراض مزمنة. كانت أليس على وشك الموت نتيجة إصابتها بمرض السرطان. ومع أنها كانت مشتركة مع مجموعة من كنيستها في الأعمال اليدوية والفنية والحرفية لمدة خمس سنوات، إلا أنها لم تكن مؤمنة. عندما اكتشفت أليس أن مريم مؤمنة، طلبت منها أن تُجيب عن بعض الأسئلة حول بعض القضايا الروحية. وبمرور الوقت أدركت مريم أن أليس قد آمنت بيسوع المسيح. كانت أليس تتطلّع إلى مريم للحصول على التشجيع والتعزية.

كانت أليس تحصل على الدعم من أصدقائها الكثيرين أثناء مرضها. كانت عائلتها و كثير

من أصدقائها من مجموعة الأعمال الحرفية والفنية يزورونها باستمرار. وكانت تحصل على الدعم أيضاً من زوجين كانا صديقين لها هي وزوجها منذ أن كانا في سن العشرين. لكن الزوجين كانا يعيشان في بلد بعيد جداً عن أليس. وفي الأسابيع الأخيرة من حياتها، كانت أليس تتحدّث معهما يومياً بواسطة الهاتف.

حضر جميع أصدقاء أليس من مجموعة الأعمال الحرفية والفنية جنازتها. وحضر أيضاً الزوجان اللذان كانا صديقين لها لسنوات عديدة. تحدّث الزوج أثناء الجنازة وقال إنه وزوجته كانا صديقين لأليس وزوجها لمدة ثلاثين عاماً. ثم تابع الزوج قائلاً إنه كان وزوجته يصليان من أجل أليس أثناء هذه السنوات «لتعرف المسيح وتحبه». فاندهشت مريم كثيراً، وخاصةً عندما وصف الزوج سرورهما لأن الله استجاب صلواتهما أثناء الأشهر الستة الأخيرة من حياة أليس.

واكتشفت مريم أيضاً أن أفراد مجموعة الأعمال الحرفية والفنية كانوا يصلّون لأجلها. كان هدف صلواتهم أن تجد أليس الطمأنينة والرجاء في يسوع المسيح. لقد استخدم الله أشخاصاً عديدين من خلفيات وأمكنة متعددة ليجذب هذه المرأة إليه. البعض زرع البذرة، والبعض الآخر سقاها واعتنى بها، فحصلت مريم على فرح الحصاد.

إن بُعد المسافة ليس عاملاً يؤثّر على قدرة الله على العمل في حياة الفرد. فليس هناك فرق سواء كنّا جالسين بجانب الشخص الذي نصلّي لأجله أو كنّا في الجزء الآخر من العالم. إن قُربَنا من الشخص قد يساعدنا على تقوية إيماننا عندما نطلب، لكنه لا يؤثّر على استجابة الله لصلواتنا.

خاتمــة

«واظبوا على الصّلاة ساهرين فيها بالشّكر» (كولوسي ٤: ٢).

عندما نصلّي ينبغي أن تبقى أعيننا مفتوحة لنعرف ما يعمله الله استجابة لصلواتنا. إننا نشكره حتى عندما نصلي لأننا نثق به ونتّكل عليه لأجل النتائج.

لقد تطرّقنا إلى نمطين من أنماط حياة المؤثّر الأساسية وهما: **اتخاذ مبادرات صغيرة، والصلاة**. إن هذين العملين بسيطان لأنهما لا يتطلبان موهبة أو قدرة خاصة، لكنهما مؤثران بقوة. ولو أخذنا هاتين الفكرتين فقط من هذا الكتاب وبدأنا بممارستهما، فإن الله سوف يستخدمنا بطرق لم نفكر بها أو نتخيلها من قبل.

أسئلة للمناقشة

١. كيف تصف صلواتك لأجل غير المؤمنين؟ ماذا تصلّي لأجلهم؟ متى؟ لماذا؟ وما الذي يحدث نتيجة صلواتك؟

٢. ماذا نستطيع أن نصلّي لأجل غير المؤمنين؟ اقرأ الفقرات التالية واكتب اسم شخص غير مؤمن تفكر فيه وما يمكنك أن تصلّي لأجل ذلك الشخص باستخدام إحدى الفقرات.
يوحنا ٣: ٥-٨؛ يوحنا ١٦: ٧-١١؛ ١تسالونيكي ١: ٤-٥

٣. راجع عملية الكرازة من الفصل الثالث، السؤال الرابع. اذكر أسماء ثلاثة من أصدقائك من الفصل الأول، السؤال الأول أو الفصل التاسع، السؤال الرابع. إلى أين وصلوا في عملية الاقتراب من المسيح؟ هل لا يزالون غير مهتمين أو عدائيين تجاه الإنجيل؟ هل هم حياديون ولكنهم لا يعرفون من هو المسيح؟ هل حصلوا على المعلومات الضرورية عنه لكنهم يقاومون الخضوع لسلطة يسوع في حياتهم؟

٤. ماذا يمكنك أن تصلّي لأجل هؤلاء الأشخاص لتدفعهم إلى الاقتراب من المسيح؟ ارسم جدولاً كالتالي لتدوّن فيه كيفية استجابة الله لصلواتك.

الاسم	ماذا تصلّي	ما الذي يحدث نتيجة الصلاة

٥. بينما تصلّي من أجل أصدقائك غير المؤمنين، أصغِ إلى صوت الله حول ما يمكنك أن تفعله تجاههم. اكتب ما تعتقد أن الله يريدك أن تفعَله.

الفصل الثالث عشر

النمــط الثالث
خدمـــة الآخرين

في الرابع من حزيران (يونيه) عام ١٩٨٩ جذبت انتباه العالم كله صورة معارض واحد كان واقفاً أمام رتل من الدبابات في ساحة تاينامين في بكين عاصمة الصين. شرحت تلك الصورة كل ما كان يحدث آنذاك. كان شعب الصين يتحدى قبضة النظام الشيوعي الصيني القوية.

****

بعد اثنتي عشرة سنة من تلك الحادثة، كنت أنا وزميلي مايك في آسيا لعقد اجتماع مع مجموعة من الأشخاص من قادة آسيا. اجتمع هؤلاء الأشخاص ليتعلموا من بعضهم البعض كيف ينشرون الإنجيل في بلدانهم بفاعلية. وكان كيم، أحد المعارضين الذين كانوا في ساحة تاينامين، حاضراً معنا. كانت ساحة تاينامين بالنسبة له بداية عملية بحث روحي قادته إلى المسيح. ابتدأت العملية بخدمة صغيرة قدّمتها له إحدى النساء المتقدمات في السن.

في ٢٩ أيار (مايو) ١٩٨٩، كان كيم وصديقه متواجدين في الساحة للاحتجاج ضد النظام الشيوعي. كانا قد جرحا يديهما وكتبا بالدم رسالة على عصبة رأسيهما. كتب كيم كلمة **الحرية** على رباط رأسه، وكتب صديقه كلمة **الديمقراطية**. كانا يضايقان الجنود ويمنعان المركبات العسكرية من دخول الساحة. كان ذلك في فصل الصيف وكان الطقس حاراً جداً. بعد أربع وعشرين ساعة من الخدمة، شعر الجنود بالجوع والعطش. لم يكن لديهم أي طعام أو شراب. ثم رأى كيم امرأة متقدمة في السن، أستاذة جامعية، تتقدم من الجنود وتوزع عليهم الخبز والماء. صُعق كيم وأصابه الذهول.

قال كيم: «سألتها عن السبب الذي جعلها تخدم الجنود.» فأجابت: «الجنود لم يعرفوا ما كانوا يفعلونه، وأنا كنت هناك لأحمي الطلبة.»

تابع كيم قائلاً: «كانت تلك أول خبرة لي بالمسيحية. كانت تلك المرأة أول مسيحي أقابله. كنت أعتقد حتى ذلك الوقت أن المسيحية ديانة سخيفة وديانة الأجانب. لكنني بدأت أفكر وأقول **إنها ديانة صالحة وجيدة. إن إله المسيحيين لا بد أن يكون إلهاً صالحاً وديعاً.**»

بعد ثلاث سنوات كان كيم يدرس في جامعة أخرى لنيل شهادة الماجستير. وهناك قابل أحد المؤمنين الذي دعاه لدراسة إنجيل يوحنا مع بعض الطلبة الآخرين. تأثر كيم بعمق من تلك المجموعة من الأصدقاء ومن يسوع الذي قرأ عنه في الكتاب المقدّس. كان انطباعه الأول أن **يسوع وديع وأنه ذكي.**

أصبح كيم الآن بذرة صالحة في تربة الصين. لم تعلم الأستاذة الجامعية المتقدمة في السن التأثير الكبير لخدمتها. وفي الواقع، لم تكن تفكر بالتأثير المحتمل لأعمالها. بالنسبة لها، كان عملها مجرد إطاعة الوصية العظمى «تُحبّ قريبَكَ كنفسِكَ» (متى ٢٢: ٣٩).

الوصية العظمى

كان أحد المحامين (الناموسيين) يصغي إلى يسوع لمدة طويلة وأدرك بعدها أن ما كان يقوله يسوع لا يتوافق مع اللاهوت التقليدي الراسخ في ذلك الوقت. كان كلام يسوع يركّز على الحياة الأبدية وكيفية الحصول عليها. فكّر المحامي قائلاً: «**إن تعليم هذا الشخص غريب. ربما استطعت أن أقبض عليه متلبساً بمخالفة النّاموس فيكون لديّ دليل لاتهامه.**» فسأله: «ماذا أعمل لأرث الحياة الأبديّة؟»

أجابه يسوع: «أنت محام. ما هو مكتوبٌ في النّاموس؟» أجاب المحامي مقتبساً من سفر اللاويين: «تُحبّ الرّب إلهك من كلّ قلبك، ومن كلّ نفسك، ومن كلّ قدرتك، ومن كلّ فكرك، وقريبَكَ مثل نفسِك.» فقال يسوع: «بالصواب أجبت. افعلْ هذا فتحيا» (لوقا ١٠: ٢٥-٢٨).

بهذا الجواب قلب يسوع السؤال رأساً على عقب. وجد المحامي نفسه في موقف الدفاع. لقد عرف أن بعض أقربائه مثيرون للاشمئزاز، وكانوا قذرين وجاهلين. إن كلمة «قريب» بالتأكيد لا تشير إليهم. فسأل يسوع: «ومن هو قريبي؟»

أجاب يسوع عن هذا السؤال بسرد قصة قصيرة عن مسافر وقع بين لصوص فعرّوه، وجرّحوه، وسرقوا أمتعته، وتركوه على قارعة الطريق بين حيّ وميت. فاجتاز كاهن بقربه بدون أن يتوقف. وكذلك فعل لاوي أيضاً. لكن سامرياً — ذلك النوع من الأشخاص الذين كان المحامي يعتبرهم نفاية لا يُطاقون في مجتمعه — توقف وساعده. ثم سأله يسوع، لأننا نحاول تعريف كلمة «قريب» — «فأي هؤلاء الثلاثة ترى صار قريباً للذي وقع بين اللصوص؟» لم يستطع المحامي إلا أن يجيب «الذي صنع معه الرحمة.»

عندئذ قال له يسوع: «اذهب أنت أيضاً واصنع هكذا.» تخيلوا ما بدأ يدور في فكر

المحامي منذ تلك اللحظة في كل مرة كان يجد نفسه قريباً من جيرانه الذين يكرههم! لقد أثار يسوع في داخله وعياً بفشله في حفظ الناموس.

وفي مناسبة أخرى شرح يسوع أن هاتين الوصيتين هما خلاصة رسالة الكتاب المقدّس بأكملها. قال يسوع: «تُحبّ الرّب إلهك من كلّ قلبك، ومن كلّ نفسكَ، ومن كلّ فكرِكَ. هذه هي الوصيّة الأولى والعظمى. والثانية مثلُها. تُحبّ قريبَكَ كنفسِكَ» (متى ٢٢: ٣٧-٣٩).

كان ذلك كلاماً يثير الدهشة. لخّص يسوع بهذا الكلام رسالة العهد القديم بكامله في جملتين. إنهما تستحقان أن نوليهما انتباهنا.

ماذا يعني عملياً أن نحب الله وقريبنا؟ إن كلمة «نحب» هي فعل يتطلب القيام بعمل. إذا أردنا أن نطيع هاتين الوصيتين، ينبغي أن نعبّر عن محبتنا لله بخدمة قريبنا (أو جيراننا). هذا هو جوهر مفهوم المؤثّر من الداخل. إذا مارسنا هاتين الوصيتين في حياتنا، فلن يستطيع العالم مقاومة رسالتنا.

لكن كثيرين منّا يواجهون المشكلة ذاتها التي واجهها ذلك المحامي الناموسي. عندما نقرأ وصية «**تحب قريبك كنفسك،**» نفكر ونعتقد **أن هذا يعني بالطبع أقرباءنا المسيحيين.** ألا يُطلب منّا أن نولي اهتمامنا بخدمة بعضنا داخل جسد المسيح؟ ونجادل أيضاً قائلين إنه لا يوجد شيء مشترك بين المؤمنين وغير المؤمنين لتنمية الصداقة معهم.

إن هذا النوع من التفكير يلغي الوصية العظمى ويحرم الكنيسة من القوة التي تحتاجها لتلبية دعوتها للذهاب إلى العالم.

قوة خدمة الآخرين

ضايقتني قصة «السامري الصالح» هذه لسنوات عديدة لأنها بدت قصة ضعيفة. هل يعني يسوع أن الفكرة الجوهرية في القصة هي أن نُظهر الرحمة؟ هل هذا هو كل ما يجب أن نفعله؟ لا شك أن هناك شيئاً ناقصاً في القصة كما اعتقدت. بالتأكيد كان يسوع يعني أنه يجب على الأقل أن نقدّم رسالة الإنجيل الواضحة أثناء مساعدتنا لشخص ما. لكن يسوع لم يقل هذا. إن الفكرة الأساسية في قصته القصيرة بسيطة. أن نطيع مبدأ المحبة عندما نخدم الآخرين ونسدّ احتياجات الأشخاص الذين نقابلهم باستمرار.

مرة أخرى يتحدث إلينا يسوع بكلمات بسيطة. هناك طرق لا تُحصى لخدمة الآخرين. وباستطاعة أي شخص أن يمارس هذه الطرق لأن خدمة الآخرين لا تحتاج إلى مقدرة

أو موهبة خاصة. بإمكاننا أن نخدم جارنا عندما نعتني بحديقته أثناء غيابه. ونخدم الآخرين عندما نرّحب بجارٍ جديد بتقديم باقة من الورود له أو عرض المساعدة عليه والإجابة على أسئلته. ونخدم قريبنا في العمل عندما نقوم بعمل إضافي لمساعدته على إنهاء المشروع المطلوب منه. إن تقديم الخدمة للآخرين فكرة بسيطة من الأفكار الأساسية لمفهوم المؤثر المثمر. وللتعبير عن هذا المفهوم بكلمات بسيطة، نقول إنها تلبية احتياجات شخص آخر لأن دافعنا هو الرغبة في التعبير عن محبتنا وامتناننا للمسيح لأجل خدمته التي لا يمكن التعبير عنها نحونا. إن هذا النوع من الخدمة مسموع وله تأثير كبير حتى بدون أن نتفوه بكلمة لأن الناس سترى المسيح في حياتنا.

منذ بضع سنوات، تمزّق كاحل جارتنا باولا بشدة لدرجة لم تستطع معها أن تسير أو تقف على قدم واحدة فقط. كان لديها طفلان ولم يعرف زوجها جيري كيف يدير أمور البيت والطبخ والتنظيف.

في اليوم التالي دخلت إلى المطبخ ورأيت زوجتي منشغلة بالطبخ. فسألتها عمّا تفعله، فأجابت إنها كانت تُعدّ وجبة طعام لجيراننا. وكانت على وشك أن تأخذ الطعام إلى بيت جيري وباولا. واستمرت بتقديم الطعام لهما حتى أصبح بإمكان باولا أن تُعدّ الطعام بنفسها. وفيما بعد، عندما وجهنا الدعوة إلى جيراننا لينضموا إلينا لدراسة الكتاب المقدّس، تجاوب جيري وباولا حالاً وانضما إلى مجموعتنا.

اسمح للآخرين بتقديم الخدمة لك

قال يسوع: «مغبوطٌ هو العطاءُ أكثرُ من الأخذِ» (أعمال الرسل ٢٠: ٣٥). والعطاء **أسهل** بكثير بالنسبة لمعظمنا، يجد كثير من الناس صعوبة في أخذ أي شيء من أي شخص كان. لكن حيث يوجد العطاء، يوجد الأخذ أيضاً. إن عدم الرغبة في الحصول على شيء ما من شخص آخر قد يكون شكلاً مخفياً من أشكال الكبرياء مما يحرم الشخص الآخر من القيام بعمل يريد القيام به. عرف يسوع كيف يأخذ وكيف يحصل على المساعدة.

خطرت لمريم فكرة غريبة. كانت قد اشترت زجاجة عطر بمبلغ كبير ــ يعادل راتبها السنوي. كانت ستفرغ العطر على يسوع عندما تسنح لها الفرصة. لم ترغب في إعطائه الزجاجة ليأخذها معه إلى البيت ليستخدمها في المناسبات الخاصة. لكنها في الوقت المناسب كانت ستفرغ محتويات الزجاجة كلها عليه.

كانت مريم وأختها مرثا وأخوهما لعازر قد خططوا لإقامة حفل عشاء على شرف يسوع. كانت المناسبة غير اعتيادية أكثر من كونها عشاءً فاخراً. فمنذ بضعة أسابيع أتى

يسوع إلى بيتهم في قرية بيت عنيا وأقام لعازر من الموت. فتساءلوا: **ما الذي بإمكاننا أن نفعله لنعبّر عن شكرنا؟**

أثناء العشاء وبينما كانوا متّكئين أخذت مريم مناً من طيب الناردين ودهنت قدمي يسوع ومسحت قدميه بشعرها. لكن يهوذا اعترض على هذا العمل لأنه عرف أن طيب الناردين باهظ الثمن وأنه استُخدم بإسراف. يا لها من طريقة لهدر المال! (انظر يوحنا ١٢: ١-٨).

ماذا لو شعر يسوع كما شعر يهوذا بخصوص عمل مريم؟ لم يكن يسوع بحاجة إلى أن يدهن أحد قدميه بطيب الناردين. ماذا لو قال يسوع: «كلا يا مريم، لا تفعلي هذا. إن هذا إسراف. خذي طيب الناردين وبيعيه واستخدمي المال بحكمة ومسؤولية.»

كانت مريم ستفعل هذا لو طلب منها يسوع القيام به. وكانت ستشعر بالخجل والغباوة لمجرد التفكير بعمل ما كانت تنوي القيام به. كما أن حماسها كان سيخمد وتضيع منها الفرصة لتشكر يسوع. قدّم يسوع الخدمة لمريم بالسماح لها بأن تخدمه. في ذلك اليوم نمت محبة مريم ليسوع.

إن محبة الآخرين تشمل السماح لهم بخدمتنا. لكي يكون تقديم الخدمة مفيداً ومؤثراً، يجب أن يكون متبادلاً. ونحن نستطيع أن نخلق الفرصة للقيام بذلك. بإمكاننا أن نسمح للآخرين بتقديم المساعدة والخدمة لنا. تتوطد الصداقات أثناء عمليات العطاء والأخذ المتبادلة.

الضيـــافة

هل لاحظتم كم كانت حياة يسوع متمركزة حول تناول الطعام؟ أول مرة ظهر فيها يسوع علانية كانت في عرس حيث ساهم في تلك الوليمة بتوفير الخمر. وبعد فترة قصيرة ذهب إلى بيت متى لحضور وليمة غداء مع أصدقاء متى القدامى. وفي مناسبة أخرى طلب الذهاب إلى بيت زكا لتناول العشاء. كما أن أمثلة يسوع ملآنة بقصص الولائم وتناول الطعام. وقبل القبض عليه وصلبه مباشرةً كان آخر شيء فعله هو تناول وجبة طعام مع الاثني عشر تلميذاً. وبعد قيامته من الأموات اجتمع مع التلاميذ ثانية على شاطيء البحر حيث قدّم لهم السمك المشوي.

لم ينته الأمر عند هذا الحد. فقد قال إننا عندما نراه ثانية، فإنه سوف «يتمنطقُ ويُتكئُهُم ويتقدّم ويخدمُهُم» (لوقا ١٢: ٣٧). إنه سيقيم وليمة لعبيده ويخدمهم هو بنفسه. هل تستطيعون أن تتخيلوا هذا المنظر؟

ما هو تأثير تناول الطعام مع الآخرين؟ من الواضح أن هناك شيئاً أكثر من مجرد إطعام

الجسد. في ثقافة القرن الأول، كان تناول الطعام مع شخص آخر تعبيراً عن تبادل العواطف، وكان تعبيراً عن *koinonia* أي وجود رابط مشترك مع الشخص الآخر. ولهذا كان الناس يتضايقون لأن يسوع كان يأكل مع أصدقاء متى. كان الأشخاص الأتقياء لا يفعلون هذا. لذا سألوا يسوع: «لماذا تأكل وتشرب مع العشارين والخطاة؟».

أجاب يسوع: «لم آتِ لأدعو أبراراً بل خطاةً إلى التّوبة» (لوقا ٥: ٣٢). من الواضح أنه كان ينبغي على يسوع أن يأكل مع غير المؤمنين ليحقق هذا الهدف. وعلينا أن نفعل نحن هذا أيضاً.

في إحدى المناسبات كان يسوع يتناول طعام العشاء في بيت أحد الفريسيين، وكان ذلك اليوم سبتاً. وأثناء تناول الطعام، التفت يسوع إلى مضيفه وقال: «إذا صنعت غداءً أو عشاءً فلا تدعُ أصدقاءك ولا أخوتك ولا أقرباءك ولا الجيران الأغنياء، لئلاّ يدعوك هم أيضاً، فتكون لك مكافأة». هكذا تسير الحياة. هناك عائلتنا وأصدقاؤنا، نقضي أوقاتنا ونحن ندعوهم وهم يدعوننا إلى تناول الطعام. وفي النهاية نكون متعادلين ولا تكلفنا الدعوة أي شيء.

ثم تابع يسوع قائلاً: «بل إذا صنعتَ ضيافةً فادع المساكين، الجدع، العُرج، العُمي، فيكون لك الطوبى» (لوقا ١٤: ١٢-١٤). أي عليك أن تدعو أولئك الذين خارج نطاق دائرة أصدقائك؛ أولئك الذين لا تسلّم عليهم عندما تقابلهم في الشارع؛ أولئك الذين قيّدهم إبليس تحت سلطانه، المتخبطين في الظلام طوال حياتهم.

ما هو تأثير وجبة الطعام؟

لماذا علينا أن نأكل مع هؤلاء الأشخاص؟ ما هو تأثير وجبة الطعام؟ لقد نسينا نحن الأميركيين الجواب على هذه الأسئلة لأننا نادراً ما نتناول الطعام مع الآخرين.

شاهدت منذ فترة قصيرة برنامجاً عن مشكلة البدانة. تساءل الباحثون عن سبب بدانة الأميركيين مع أن الفرنسيين ـــ المعروفين بحبهم للطعام ـــ شديدو النحافة. ثم أظهر الفيلم ربة منــــزل فرنسية وهي تشتري أغراض الطبخ من أحد المحلات التجارية. اشترت تلك السيدة إحدى قطع الخضار وسمكة وبعض قطع الفاكهة.

وأظهر المشهد التالي أحد الطهاة الفرنسيين وهو يُعدّ وجبة الطعام ويضعها في الصحون. وكانت الحلوى عبارة عن مكعبات صغيرة قليلة من مادة حلوة. كان العرض بمثابة عمل فني.

ثم انتقلت آلة التصوير إلى أحد مطاعم ماكدونالد في الولايات المتحدة حيث كان أحد المستهلكين يحمل صينية ملآنة بالهامبرغر ذي الطبقات الثلاث وقطع البطاطس الفرنسية،

ووعاءً كبيراً من الكوكاكولا. ثم ظهر الطاهي الفرنسي وعبّر عن دهشته العميقة تجاه عادات الطعام الأميركية. قال ذلك الطاهي: «رأيت ذات مرة شخصاً يأكل قطعة بيتزا بينما كان يقود سيارته! وسمعت أن البعض يشاهدون التلفاز بينما هم يأكلون! إنهم ينسون أنهم يأكلون. بالمقارنة لا يفعل الفرنسيون أي شيء عندما يتناولون الطعام. إن وجبة الطعام هي الحدث الرئيسي.»

قال أحدهم إن الضيافة هي مزيج من الاهتمام والمكان. إن تقديم وجبة طعام هو تعبير عن الضيافة. ليس من الضروري أن تكون وجبة فاخرة. يمكن تقديم طعام بسيط. لكن عندما يتم تقديم الطعام في جو من القبول وعدم الاستعجال، يصبح عندئذ وليمة كبيرة.

هل لاحظتم كيف تختلف المحادثة أثناء تناول وجبة طعام في مكان هادىء عن تناول وجبة طعام في أي مكان آخر؟ يتحدث الناس في الغالب عن الناس الآخرين، أو قد يسردون قصصاً وأحداثاً كانوا قد سمعوها. لكن هذه الأحاديث سطحية. عندما تنتقل المحادثة إلى الأفكار نكون قد نزلنا إلى تحت سطح الأمور. وعندما نتحدث عن شعورنا تجاه هذه الأفكار، نكون قد بدأنا بفهم بعضنا بعضاً. لكن هذا يحتاج إلى وقت.

رأيت كثيراً من المؤمنين وهم يتحدّثون مع الآخرين عن الأمور السطحية ثم يتوقفون لأنهم يشعرون أن الحديث مضيعة للوقت إن لم يتحدّثوا عن المسيح. من الأفضل أن نسترخي ونتمتع بالوقت مع ضيوفنا بدون أن يكون لدينا هدف آخر. إن الفرصة للتحدّث عن يسوع ستأتي فيما بعد، لأنه في نهاية المطاف ستقودنا كل المواضيع إلى التحدّث عن يسوع.

خاتمـــة

ترد الضيافة كإحدى مؤهلات الأسقف (انظر ١تيموثاوس ٣: ٢) وذلك لسبب جيد. تتألف الكنيسة من الناس وحيث يوجد الناس توجد الضيافة. بالتأكيد لن نكون مثمرين كمؤثّرين من الداخل إذا كنّا غير راغبين في إضافة الآخرين.

يجب أن تجري محادثة بسيطة حول وجبة الطعام عن الناس والأشياء قبل أن تتم مناقشة الأمور العميقة بحرية. إنني أجد صعوبة في دعوة غير المؤمن ليدرس الكتاب المقدّس معي قبل أن نكون قد أكلنا معاً.

أنهى يسوع حديثه واقتراحه لمضيفه بهذه الملاحظة: «إذا صنعتَ ضيافةً فادعُ المساكين، الجُدع، العُرج، العُمي، فيكون لك الطوبى إذ ليسَ لهم حتى يُكافوك، لأنّك تُكافى في قيامةِ الأبرار» (لوقا ١٤: ١٢-١٤). إنني أرغب في مشاهدة تلك المرأة الصينية المتقدمة في السن

عندما تدخل إلى حضرة الله وتكتشف ما قد فعله الله ليضاعف تأثير عملها البسيط بتقديم الخبز والماء إلى بعض الجنود!

أسئلة للمناقشة

١. اذكر ثلاث فرص على الأقل يمكنك فيها أن تخدم الناس الذين تقابلهم.

٢. ماذا حدث عندما قدّمت الخدمة لهؤلاء الأشخاص؟

٣. اقرأ مثال السامري الصالح في لوقا ١٠: ٣٠-٣٧. لماذا امتنع اللاوي والكاهن عن مساعدة الرجل الجريح؟ ولماذا ساعده السامري؟

٤. دوّن الأفكار التي تجدها في هذه الفقرات بشأن تقديم الخدمة للآخرين.
متى ٥: ٢١-٢٤، ٣٣-٤٧؛ لوقا ١٤: ١٢-٢٤؛ يوحنا ٨: ١-١١؛ رومية ١٢: ١٥

٥. اكتب طريقة واحدة يمكن لغير المؤمن من خلالها أن يُقدّم الخدمة لك. لا تنتظر حتى يعرض عليك تقديم الخدمة، بل خذ أنت المبادرة واسأله. ثم اشكره.

٦. لمن يمكنك صنع الضيافة وتقديم وجبة طعام؟ فكّر بشخصين أو ثلاثة لا تدعوهم عادة لتناول الطعام معك. ليس من الضروري أن تكون وليمة فاخرة، إنما وجبة بسيطة.

٧. إذا لاحظت أنك لا تتخذ مبادرات تجاه الناس، ما هي برأيك العقبات التي تحول دون ذلك؟ ما دور الانشغال؟ والخوف؟

٨. شارك مع صديق لك شيئاً تعلّمته عن القيام بمبادرات.

الفصل الرابع عشر

النمــط الرابع
التحدّث عن الإيمان بالمسيح

****

بدأ مايك بإتّباع المسيح بينما كان ينهي سنته الأخيرة في التدرب على التدريس. أحدث هذا الإيمان الجديد تغييرات عميقة في حياته ورغبة في تعريف الآخرين بالمسيح. وأثناء نموه الروحي طلب مايك مساعدة مؤمنين ناضجين آخرين ليتعلّم منهم كيف يشارك الآخرين إيمانه.

سرعان ما اكتشف مايك أن التحدّث إلى الآخرين عن المسيح يتطلب أكثر بكثير مما اعتقده. لقد تعلّم كيف يسرد في ثلاث دقائق قصة إيمانه بالمسيح. فكتب اختباره الشخصي مع المسيح وحفظه غيباً. وتعلّم أيضاً كيفية تقديم رسالة الإنجيل بطريقة متماسكة ومختصرة. وتعلّم أيضاً كيف يتعرف على الغرباء ويشترك معهم في محادثة ليعرف ما إذا كانوا مهتمين بسماع المزيد مما سيقوله.

باكتسابه هذه المهارات الجديدة، بدأ مايك بالذهاب إلى الحديقة العامة يوم الأحد بعد الظهر. كان يذهب إلى ذلك المكان ليشارك الناس إيمانه. وعندما كان يسير في الحديقة، كان يصلّي للحصول على الجرأة ولانتهاز الفرص للتحدّث مع الناس. كان ينجح بعض الأحيان في هذا النوع من الكرازة، لكن معظم الناس كانوا يرفضون التحدّث معه بأدب واحترام. استاء البعض من تطفله ومحاولته التحدّث معهم أثناء وقت راحتهم.

لكن حياة مايك كانت مختلفة بقية أيام الأسبوع، من يوم الاثنين إلى يوم الجمعة. كان مايك يعمل كمدرّس في مدرسة ابتدائية ويعمل جنباً إلى جنب مع بقية المعلمين. فتساءل عن كيفية تطبيق مهاراته الجديدة بين زملائه المدرّسين. لم تسنح له الفرصة لمقاطعة المحادثات لكي يقدّم الإنجيل بالطريقة التي كان قد تدرّب عليها. حاول عدة مرات، لكنه لم ينجح. فشعر بالإحباط والفشل. فلجأ إلى دعوة بعض أعضاء هيئة التدريس لحضور بعض الاجتماعات المسيحية معه، لكن لم يُظهر أي واحد فيهم اهتماماً. فبدأ مايك ينعزل اجتماعياً لأنه شعر بالإحباط وبالتشويش بخصوص ما يجب أن يفعله بعد ذلك.

كارز أم مؤثّـــر؟

لقد تدرّب مايك، مثله مثل ألوف المؤمنين، على طريقة للكرازة لم تساعده عملياً في حياته اليومية. فقد علّمه المبشرون الكارزون الموهوبون مهارات وطرقاً كانوا يستخدمونها في عملهم ككارزين. كانت هذه الوسائل مفيدة لمايك يوم الآحاد بعد الظهر في الحديقة العامة. فهناك كان الأشخاص الذين لم يرغبوا في التحدّث أو الذين استاءوا من مايك، والذين تابعوا سيرهم دون مبالاة، كان باستطاعة مايك أن يفعل هذا. كما كان باستطاعته أيضاً أن يتحدّث مع الشخص الذي يلتقيه. لكن في مدرسته، كان عليه أن يعمل جنباً إلى جنب مع بقية المدرسين سواء رغب أم لم يرغب. ولأن ظنه خاب بسبب ردود فعل زملائه، بدأ مايك بتقسيم حياته إلى قسمين منفصلين: عمله وخدمته الروحية. ثم استنتج أن باستطاعته أن يقوم بخدمته الروحية أيام الآحاد. إن ما كان مايك بحاجة إليه، مع أنه لم يدرك هذه الحاجة في ذلك الوقت، هو إقامة علاقات طبيعية مع زملائه كمؤثّر من الداخل وليس ككارز.

غالباً ما نفشل في التمييز بين ما هو ملائم للكارزين والرسل، الذين **يكرزون** بالإنجيل في سياق خدمتهم، وما هو ملائم للمؤثّرين من الداخل الذين عليهم أن **يتحدّثوا** عن إيمانهم. إن فشلنا في رؤية هذا التمييز يجعل الكثيرين ممن كانوا سيصبحون مؤثّرين، يشعرون بالفشل. فبعد قيامهم ببعض المحاولات المؤلمة القليلة للكرازة لأصدقائهم، نراهم يتوقفون عن محاولة مشاركة إيمانهم مع الآخرين. إنهم يتوقفون عن الكرازة ثم يشعرون بالذنب طوال حياتهم. في بعض المناسبات قد يكرزون لشخص غريب.

يوضّح الرسول بولس هذا التمييز بين الطريقة التي يتبعها الرسول وبين طرق المؤثّر في ملاحظاته الختامية في رسالته إلى المؤمنين في كولوسي. كتب يقول: «واظبوا على الصّلاة... مصلّين في ذلك لأجلنا نحن أيضاً، ليفتح الرّب لنا باباً للكلام، لنتكلّم بسرّ المسيح، الذي من أجله أنا مُوثَقٌ أيضاً» (كولوسي ٤: ٢-٣).

هذا هو أسلوب بولس النمطي. كان همّه الرئيسي أن يستمع إليه الناس حيثما استطاع أن يكرز بالإنجيل. لم يكن يهتم سواءً قَبِل الناس كلامه أم رفضوه، أو إن انتهى به الأمر بطرحه في السجن. كان بولس يطلب الصلاة لأجل شيئين: الفرص والقدرة على انتهازها. لكن لاحظوا الفرق في طريقة تشجيعه المؤمنين في كولوسي على تقديم شهادتهم. قال لهم: «اسلكوا بحكمة من جهة الذين هم من خارج، مفتدين الوقت. ليكن كلامُكم كلَّ حينٍ بنعمةٍ، مُصلحاً بملحٍ، لتعلموا كيف يجب أن تجاوبوا كلَّ واحدٍ» (كولوسي ٤: ٥-٦).

بالنسبة إلى المؤمنين الذين كانوا مؤثّرين من الداخل في مجتمعهم، كان اهتمام بولس الأول يركّز على نمط حياهم وأعمالهم. كان على هؤلاء المؤمنين أن يتجاوبوا مع الفرص المتاحة لهم في الأعمال. ثم، في ذلك السياق، كان يجب أن يكون كلامهم مثل مقدار قليل من الملح. كلما أكل الشخص لقمة يعود ليأكل اللقمة التالية حتى يصبح الصحن فارغاً. وبكلمات أخرى، إن ما يقوله بولس هو: تحدّثوا عن إيمانكم بطريقة تجعل الناس يطلبون المزيد. ثم كونوا مستعدين للإجابة.

لم يكن هذا التمييز واضحاً في فكر مايك. فهو قد أدرك أن كونه شاهداً للمسيح يعني تقديم رسالة الإنجيل إلى شخص آخر. واعتبر الأمر وكأنه تمرين شفوي يتم إنجازه عندما يكون الشخص الآخر قد استمع إلى ما كان يقوله. بهذا التعريف عن الكرازة الذي كان في فكر مايك، فإن الشيء الوحيد الذي كان يجيده ـــ هو «**خطف**» المحادثة وتقديم رسالة الإنجيل. وهذا ما فعله.

لا شك أننا جميعاً قد اختبرنا عملية خطف المحادثة. تخيّل أنك تجري محادثة مريحة غير رسمية مع أحد المؤمنين. فجأة يبدأ المؤمن بالتحدث عن موضوع كان قد تدرّب عليه مما يوجّه المحادثة باتجاه محدد مسبقاً. وعندئذ يلمع ضوء أصفر في عقلك وتتساءل عمّا يحاول ذلك المؤمن أن يقوله. عبّرت إحدى شخصيات كتاب ***The Big Kahuna*** للمؤلف ***Danny Divito*** عن هذا النوع من المحادثات كالتالي: "عندما تخطف محادثة ما، فإنها تتوقف عن كونها محادثة. إنها تُصبح عملية إقناع لبيع منتج معيّن. إنها عملية بيع وشراء سواء أكنت تتحدّث عن المنتج أو عن يسوع المسيح."

تحفيز عملية البحث

إن حب الاستطلاع يجعل الناس يطلبون المزيد. وعندما يكتفي الشخص، يتوقف البحث.

كان يسوع قد دعا للتو فيلبس لإتّباعه. وبدافع من حماسه الشديد، كان أول عمل قام به هو البحث عن صديقه نثنائيل. وعندما وجده قال له: "وجدنا الذي كَتَبَ عنه موسى في النّاموس والأنبياء يسوع ابن يوسف الذي من النّاصرة."

كان نثنائيل يشك ويرتاب كثيراً. فأجاب: "أمِنَ الناصرة يُمكن أن يكون شيءٌ صالِحٌ؟" فقال فيلبس: "تعال وانظر" (يوحنا ١: ٤٥-٤٦).

أثار فيلبس حب الاستطلاع عند نثنائيل الذي كان عليه أن يذهب وينظر يسوع بنفسه. هذه المحادثة القصيرة توضّح مهمة المؤثّر من الداخل. علينا أن نثير في أصدقائنا حب

الاستطلاع والبحث لمعرفة الله. وليس من الضروري أن نكون علماء في الكتاب المقدّس أو مدرّسين متدرّبين للقيام بهذا العمل. إننا نفعل هذا بأفضل ما يمكن عن طريق نمط حياتنا والطريقة التي نتحدّث بها عن إيماننا.

المحادثـــة، بملـــح

يمكن وصف المحادثة على أنها تبادل كلامي غير رسمي بين شخصين أو أكثر. يكون البعض أكثر مهارة من الآخرين في إجراء المحادثة. والبعض ولدوا ومعهم مهارة التواصل الفعّال. لكن يمكن لأي شخص تقريباً أن يطوّر ويحسّن مهارة الاشتراك في محادثة مع الآخرين.

عندما أفكّر بشخص ماهر في المحادثة، يخطر في بالي لاري كينغ الذي يقدّم برنامجاً حياً على محطة CNN لذا، عندما رأيت كتابه "**التحدث إلى أي شخص، في أي وقت كان، وفي أي مكان كان**" في إحدى المكتبات في المطار، اشتريته على الفور. وبالإمكان تلخيص رسالته الأساسية بهاتين النقطتين:

١. كن صادقاً وشفافاً. دعْ الناس يعرفون ما هو شعورك تجاه الأشياء.
٢. أظهر اهتماماً صادقاً بالشخص الآخر. اطرح أسئلة، ثم استمع إلى ما يقوله الشخص الآخر. إن الإصغاء هو المبدأ الأول للمحادثة الجيدة.

دعونا نتطرّق إلى هاتين النقطتين من وجهة نظر المؤثّر.

كن صادقاً وشفافاً...

أنا أسافر بالطائرات في كثير من الأحيان. أي أنني أصرف وقتاً طويلاً في التحدّث مع أشخاص لم أقابلهم من قبل. وقد لاحظت أن المحادثة تتخذ أشكالاً ونماذج معينة يمكن التنبؤ بها بين المسافرين. في بعض الأحيان يرغب الشخص الجالس بجانبي في أن أتركه وحده. وهذا ما أكون أنا راغباً فيه في بعض الأحيان، ويكون من السهل إعلام الشخص الآخر بهذه الرغبة. فمن خلال لغة الجسد وبعض الكلمات والعبارات القصيرة نرسل رسالة إلى الشخص الآخر بهذا الخصوص.

ومن السهل أيضاً إرسال رسالة عن رغبتنا في التحدّث. لا شك أن السؤال ذاته يجول في فكرنا جميعاً عندما نقابل شخصاً غريباً. نريد أن نتعرف عليه ونعرف مكان سكنه ونوع عمله واهتماماته، الخ... عندما يتطوع شخص لإعطاء هذه المعلومات، نعلم أن الباب أصبح مفتوحاً لإجراء محادثة. وعندما أفعل أنا هذا، تصل رسالتي إلى الشخص الآخر.

نجد هذه الإشارات في جميع المحادثات تقريباً، حتى تلك المحادثات التي تجري على

أعمق المستويات. إن أردتُ أن أتواصل بفاعلية مع شخص آخر، ينبغي أن يكون الباب مفتوحاً أمامي وعليّ أن أكون صادقاً وودوداً. وعندئذ يصبح الشخص الآخر حرّاً في أن يكون هو أيضاً صادقاً مع نفسه. والنتيجة هي بناء الثقة بيننا مما يوفّر لنا أرضاً مشتركة نسير عليها معاً.

عندما تنمو هذه الثقة، فإن المحادثة تتطرق إلى خبراتي عن حياتي مع الله وسيري معه. وهذا أمر طبيعي لأن علاقتي مع الله جزء من حياتي. الكتاب المقدّس ملآن بالحكمة العملية. إنه يعالج قضايا تنمية العلاقات، وتسوية الخلافات، ومعالجة الضغوط والإجهاد، وإدارة الوقت والمال، الخ... إن إرجاع الفضل للكتاب المقدّس كمصدر للفكرة التي أناقشها مع صديقي غير المؤمن تؤثّر عليه تأثيراً أكبر مما لو قدمت له أفضل الحقائق عن الله.

كلما عرفنا وأدركنا كيف يؤثّر الإنجيل علينا في القضايا والعلاقات اليومية، كلما تعلّمنا كيفية التحدّث عن هذا الأمر بلغة بسيطة عادية، وكلما كان من الأسهل أن نعرّف الناس عمّا تعنيه معرفة الله. لأن الإنجيل يشمل كل جوانب الحياة — كيف ندير حياتنا مع أفراد عائلتنا، وفي المجتمع، وفي مكان العمل — فإن كل موضوع، إذا ما ناقشناه من كل جوانبه، سيقود إلى يسوع المسيح "المذّخر فيه جميعُ كنوزِ الحكمةِ والعلمِ" (كولوسي ٢: ٣).

الجرأة ليست الاندفاع والتهور. الجرأة، بالنسبة للمؤثّر من الداخل، تعني أن تكون لديه الثقة الكافية بالإنجيل كإطار أو مرجع للحياة ولتفسير الحياة اليومية. إن النمو في فهم العلاقة بين الإنجيل والحياة، ومعرفة كيفية التحدث عن الإنجيل، هدف سام يستحق السعي لتحقيقه. والجرأة تعني أن يكون الشخص موثوقاً به وذا مصداقية. لدينا نسخة واحدة فقط من قصة حياتنا تتضمن خبرتنا مع الله. وعلينا أن نتدرّب على التعبير عن هذه القصة بكلمات مألوفة يستطيع الناس أن يفهموها. هذا هو ما أعتقد أن بولس كان يعنيه عندما قال للمؤمنين في كولوسي إن عليهم أن يعرفوا "كيف يجب أن تُجاوبوا كلَّ واحدٍ" (كولوسي ٤: ٦).

اهتم بالشخص الآخر اهتماماً صادقاً، واطرح أسئلة...

"المشورةُ في قلبِ الرَّجلِ مياهٌ عميقةٌ، وذو الفطنَةِ يستقيها" (أمثال ٢٠: ٥).

الأسئلة مثل المفاتيح التي تفتح مخازن العقل. معظم الناس لا يعلمون مقدار ما يمكن أن يقدموه للآخرين، لكن الأسئلة الجيدة تستخرج المعرفة والمعلومات. قال لاري كينغ: "كل فرد خبير بمجال ما. ولكل واحد موضوع واحد يحب أن يتحدّث عنه." ويتابع لاري كينغ قائلاً: "إن المتحدّث الجيد هو الذي يوفر الفرصة للآخرين للحديث عن ذلك الموضوع."

إن أفضل مكان في العالم كله بالنسبة لي هو طاولة الطعام في بيتنا. فهناك نتبادل الأحاديث. إنها مركز التعلّم في بيتنا. غالباً ما نستضيف الآخرين ونتعلّم أشياء جديدة منهم باستمرار.

منذ فترة ازدحمت غرفة الطعام في بيتنا بمجموعة من أصدقاء ابنتنا. سألت إحدى الفتيات سؤالاً أجابت عليه كل واحدة من الفتيات الأخريات بدورها. لم يكن لذلك السؤال أي هدف لكنه قاد إلى مناقشة ممتعة، وتعلّمنا الكثير عن بعضنا البعض. كان السؤال: إن تمكنت من أن تعيش في أي مكان في العالم، فأين تريد أن يكون ذلك المكان؟ وفي أي دولة؟ ولماذا تختار أن تعيش هناك؟

إن طرح سؤال كهذا في أجواء مريحة ومرحة يفتح المجال لأحاديث إضافية. قد تدوم المحادثة الجيدة لعدة أشهر لأنها تتألف من طرح أسئلة يهتم بها الشخص الآخر، وبعد المحادثة تُطرح أسئلة أخرى. لكن في هذه المرحلة، قد يصبح الفرد عدوَّ نفسه، ويعمل على تخريب المحادثة وتعطيلها.

وأصــغ...

اكتسَب معظمنا عادات إصغاء رديئة في حياتهم. ونتيجة لذلك، فإننا نوقف المحادثات ونعطّلها قبل أن تسنح لها الفرصة لأن تتطور.

إننا لا نصغي بشكل جيد عندما نضطر إلى إسداء النصح والإرشاد أو تقديم الحل لمشكلة شخص يتحدث معنا، أو عندما نحيد عن الموضوع الذي نناقشه لنبدأ التحدث عن موضوع آخر، بناء على ما قاله شخص ما. إن إحدى العادات السيئة الأخرى هي أن نحوّل المناقشة إلى جدل بخصوص بعض القضايا والمعتقدات. لكن هذا الوضع يجعل الناس يخافون من حدّة مشاعرنا، فيغلقون أفواههم ويصمتون.

في بعض الأحيان لا نكون متواجدين أثناء المحادثة. قد ننظر إلى المتكلّم ونومىء برؤوسنا وربما نبتسم له، لكن فكرنا يكون في مكان آخر منشغلاً بقضية أخرى. والبعض منّا لا يصغون جيداً لأنهم ينتظرون بلهفة دورهم للتحدّث. وبينما نحن ننتظر دورنا، نبدأ بالتدرّب على ما سنقوله. وما يقوله المتكلّم الآخر لن يغيّر العبارات التي نؤلّفها في عقولنا لأننا نكون قد فكرنا بما سنقوله كثيراً لدرجة أننا لا نريد تغييره.

يودّ كل واحد منّا ألاّ يلاحظ الآخرون هذه العادات السيئة، لكن هذا لن يتحقق أبداً.

بالمقابل، الشخص الذي يصغي جيداً يوجّه انتباهه ليس إلى ما يقوله الشخص الآخر فحسب، لكن إلى لغة الجسد وإلى الإشارات الأخرى التي يرسلها المتكلّم. المستمع الجيد يريد

أن يفهم الكلمات وفحوى المحادثة وجوهرها أيضاً ـــ أي المشاعر التي يعبّر عنها المتكلّم. إن هذا النوع من المستمعين يشجّع المتكلّم بالنظر إلى عينيه والتأكيد له أنه يُصغي إليه من خلال الإشارات المصاحبة. إن المستمعين الجيدين يكرمون الناس من خلال انتباههم الصادق.

تعــالَ وانظــر

سيرى أصدقاؤنا غير المؤمنين بمرور الوقت أن إيماننا هام جداً بالنسبة لنا. وبناءً علي خبراتهم السابقة مع المؤمنين، سيجعلهم هذا الإدراك متوترين. فقد يفكّر غير المؤمن متسائلاً:

"ماذا سأفعل الآن؟ هل أستطيع أن أثق بهذا الشخص (المؤمن) وأتأكد من أنه سيقبلني ولن يكرز لي؟"

يجب أن يكون واضحاً أمامنا ما نرغب في حدوثه. فنحن لدينا هدف وهو أننا نريدهم أن يروا يسوع. لكن كيف يتم هذا وكيف يتحقق هذا الهدف؟ من المفيد أن نعرف ما هي الخطوة التالية في علاقتنا وسيرنا مع أصدقائنا غير المؤمنين.

إذا أردنا أن يؤمن أصدقاؤنا غير المؤمنين بالمسيح، علينا أن نعرّفهم بالمسيح كما يعلنه الكتاب المقدّس. "مولودين ثانيةً، لا من زرعٍ يفنى، بل ممّا لا يفنى، بكلمة الله الحيّة الباقية إلى الأبد" (١بطرس ١: ٢٣).

إن هذا يعني أنه يجب أن نقرأ وندرس كلمة الله مع غير المؤمنين. إن إحدى الطرق التي تأكد لنا أنها مثمرة وبسيطة للقيام بهذا، هي دعوة بعض الأصدقاء الذين يعرفون بعضهم بعضاً للاجتماع واكتشاف ما يقوله الكتاب المقدّس. وسيأتي الوقت الملائم لتوجيه هذه الدعوة. في مناسبات عديدة كنت أوجّه الدعوة التالية لأصدقائنا غير المؤمنين: "فكرنا أنا وزوجتي بدعوة بعض الأصدقاء لقراءة الكتاب المقدّس. ولقد اكتشفنا بأن هذا يساعدنا على معرفة معنى حياتنا. وسنخبركم عندما نكون مستعدين للاجتماع."

يحتاج الناس عادة إلى الوقت لاستيعاب مدلولات هذه الدعوة لأن هذه الفكرة ربما لم تخطر لهم من قبل. ولذا، يجب منحهم بعض الوقت للتفكير بالدعوة. وبينما نصلّي نحن من أجلهم ومن أجل ردود فعلهم، سيساعدهم الروح القدس على اتخاذ القرار المناسب.

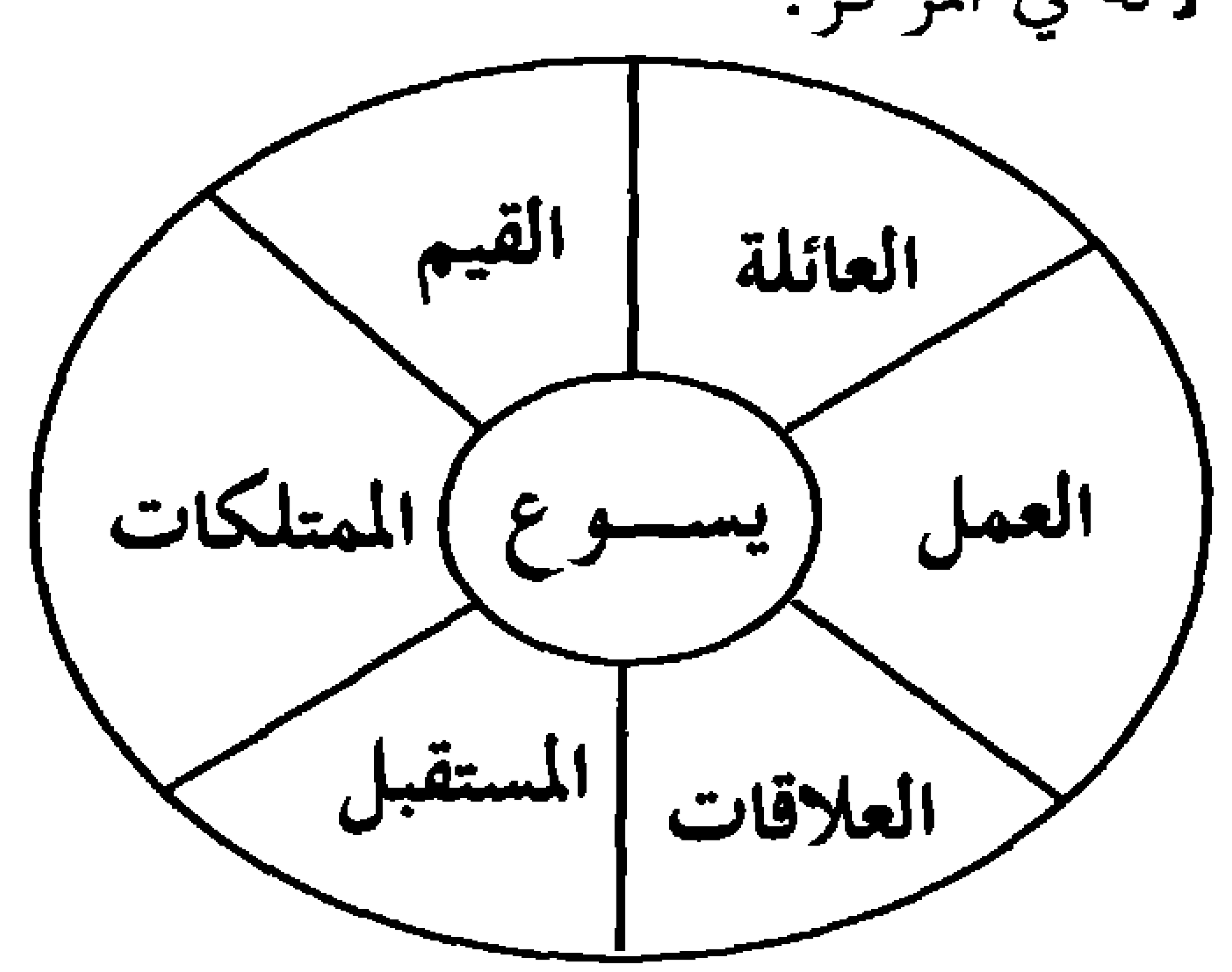
أسئلة للمناقشة

١. كيف تتحدث عن المواقف التالية مع صديق غير مؤمن بلغة غير دينية. اكتب ما تقوله له.

الموقـــف	مـــا تقولـــه لـــه
* شيء ما تصلّي لأجله	*
* كيف يساعدك الله لحلّ مشكلة ما	*
* ما تقرأه في الكتاب المقدّس	*
* درس يعلمك إياه الله	*

٢. حاول هذا الأسبوع أن تشارك أحد أجوبتك من السؤال الأول. سجّل ما يحدث، ماذا تعلمت من هذه الخبرة؟

٣. يدور الإنجيل حول شخص وطريقة حياة. المثال التالي يوضّح كيف يؤثّر يسوع على كل جانب من جوانب الحياة لأنه في المركز:



ـــ قُمْ باختيار أحد الجوانب في المثال أعلاه. كيف تتحدث إلى غير المؤمن عن خبرتك مع الله في ذلك الجانب؟

٤. إن طرح الأسئلة الملائمة في جوّ من المحبة والثقة والقبول يمكن أن يفتح المجال لمحادثة عميقة. إليك بعض الأمثلة:

* هل أنت تعني... ؟
* ما الذي يجعلك تشعر هكذا؟
* ماذا فعلت بهذا الشأن؟
* كيف تشعر تجاه ذلك؟
* أخبرني المزيد عن...
* ماذا ستفعل بعد ذلك؟

الفصل الخامس عشر

النمـــط الخامس
الشـــراكـــــة

لقد قمنا بمبادرات أدّى بعضها إلى صداقات متنامية. وصلّينا من أجل هؤلاء الأصدقاء الجدد وخدمناهم. وعندما ازدادت معرفتنا ببعضنا البعض، فَهِم أصدقاؤنا إن الكتاب المقدّس هو مرجعية حياتنا. إنهم يراقبوننا ليروا تأثير الكتاب علينا. اقترحنا عليهم إمكانية دعوة بعض الأصدقاء لقراءة الكتاب المقدّس معهم، لكننا لم نطلب جواباً منهم. عندما يصبح الوقت ملائماً، سنبدأ هذا الاجتماع.

****

في هذه الخطوة الجديدة نحتاج لأن يكون لدينا بعض الشركاء الذين يستطيعون حمل هذا العبء معنا في المرحلة القادمة. فنحن ندعو بعض الأشخاص «ليأتوا ويروا». قد يكون هذا اجتماعاً بسيطاً يُعقد في غرفة جلوس أحد الأشخاص لمعرفة ما يقوله الكتاب المقدّس بحسب ما يسمح به وقت المدعوّين. وقد تبدو هذه العملية بسيطة، لكنها أصعب من أن يقوم بها شخص بمفرده. ربما نبرر حاجتنا لمشاركة مؤمنين آخرين معنا بأنه ليس لدينا الوقت أو الطاقة لنخدم غير المؤمنين بمفردنا، لكن هناك سبباً آخر. علينا أن نشارك أشخاصاً آخرين في هذه العملية لأن الله خلقنا لنقوم بهذه الخدمة بهذه الطريقة.

الشراكة هي فكرة الله

إن كثيراً من الفقرات الكتابية التي نستخدمها لتطوير عقيدتنا عن الكنيسة تؤكّد أن الكنيسة مكوّنة من أشخاص في المسيح يعتمدون على بعضهم. يقول بولس في رسالته إلى رومية «هكذا نحن الكثيرين جسدٌ واحدٌ في المسيح، وأعضاءٌ بعضاً لبعض، كلّ واحد للآخر» (رومية ١٢: ٥). ثم كتب إلى المؤمنين في كورنثوس «وأمّا الآن فقد وضع الله الأعضاء، كلّ واحد منها في الجسد، كما أراد» (١ كورنثوس ١٢: ١٨). وقال للمؤمنين في أفسس «الذي منه كلّ الجسد مركّباً معاً، ومقترناً بمؤازرة كلّ مفصل، حسب عمل، على قياس كلّ جزء، يُحصّل نُموّ الجسد» (أفسس ٤: ١٦). وكتب بطرس إلى المؤمنين اليهود الذين في الشتات بسبب الاضطهاد: «ليكن كلّ واحد بحسب ما أخذ موهبة، يخدم

بها بعضكم بعضاً، كوكلاءَ صالحين على نعمة الله المتنوِّعة» (١بطرس ٤: ١٠). إن الفكرة الرئيسة في هذه الآيات وفي آيات أخرى في الكتاب المقدّس هي أننا ننتمي لبعضنا بعضاً، وأن الله أعطانا مواهب متعددة لنخدم بعضنا بعضاً. أي أن الله خلقنا بطريقة لا يمكن بواسطتها أن نعمل فرادى.

إن تصميم الله الذي وضعه لشعبه يُظهر براعته وروعته، مثله مثل كل شيء آخر خلقه الله. إنه يريدنا أن نتمسك ببعضنا البعض ونعيش حياتنا معاً. لكننا نميل إلى العمل بمفردنا. هذه طبيعة الإنسان. إذاً، ماذا يفعل الله؟ إنه «يُلصقنا» ببعضنا بإعطائنا جميعاً الروح القدس، الذي يهب كل شخص موهبة أو أخرى. لكنه لا يعطي جميع مواهبه لشخص **واحد** فقط. إذاً، لدى كل واحد منّا موهبة لنخدم بواسطتها الآخرين، ولدى جميعنا حاجات لن تُلبّى ما لم يخدمنا شخص آخر. بهذه الطريقة، تكون ضعفاتنا هامة بالنسبة لنا بمثل أهمية قدراتنا، لأننا بها نرتبط مع إخوتنا وأخواتنا. ومهما فعلنا كأتباع للمسيح، فإننا نحتاج إلى بعضنا بعضاً لإنجاز أعمالنا.

من الغريب أننا ندرك حاجتنا لجسد المسيح عندما يتعلّق الأمر بالعبادة، والتعليم، والصلاة. لكن بالنسبة لموضوع مشاركة إيماننا مع الآخرين، فنحن نعتقد عادة أنه جهد منفرد. إن الفكرة السائدة للكارز تصوّر فرداً غير خائف يكرز بالإنجيل لجموع أو لفرد آخر ثم يقدّم تقريراً إلى الجسد عن نجاحه. هذه صورة مغلوطة. إننا نحتاج إلى بعضنا بعضاً إن أردنا أن نعلن المسيح إلى أصدقائنا ونرى ثمر جهودنا، كما نحتاج إلى المساعدة الفاعلة في كل مجال آخر من مجالات حياتنا.

وعلينا أن ندرك أيضاً أن المواهب والقدرات التي نمتلكها مفيدة لخدمة غير المؤمنين كما هي مفيدة لخدمة إخوتنا وأخواتنا. إن العذر العام السائد «لست أملك موهبة الكرازة» لا يستثني أي شخص من استخدام مواهبه لخدمة جيرانه وأقربائه. إن شخصاً يملك موهبة الرحمة أو الضيافة، على سبيل المثال، لديه ما يقدمه لغالبية الناس الذين هم في بداية مراحل سعيهم للتعرّف على المسيح أكثر مما يقدمه «الكارز الموهوب». إن مساهمتنا ــ مهما كانت ــ مفيدة وضرورية عندما نفكر بالقيام بها بالاشتراك مع ما يقدمه الآخرون في هذه العملية.

إنشـــاء شراكـــة

ربما لا نكون مبالغين عندما ندعو هذا التصوّر «بالفريق». يتألف الفريق من مجموعة من الناس تربطهم قيم مشتركة للقيام بمهمة مشتركة. إنهم أشخاص يعملون معاً لتحقيق هدف مشترك، كل واحد بحسب مواطن قوته. ويكمّل أعضاء الفريق بعضهم بعضاً بمواطن قوتهم

ويعوّضون عن ضعفات بعضهم البعض. إن الفريق يركّز على مهمة ما.

يتبع شركاء المؤثّر مبدأ الاعتماد المتبادل ذاته، لكن علاقاتهم كفريق واحد خالية من التكلُّف. تتألف الشراكة من زوجين آخرين أو من شخص أعزب أو شخصين. الوضع المثالي الذي يبدو أنه لا وجودِ له أبداً هو أن يكون شريكك صديقاً مؤمناً مثلك لديه علاقات مشابهة لعلاقاتك. لكن لأن هذا الوضع غير موجود، علينا أن نجد بديلاً مبتكراً آخر.

منذ عدة سنوات تغيّرت مسؤولياتي في عملي فاضطررنا للانتقال إلى مدينة جديدة. عندما استقرينا في منـــزلنا الجديد، بدأنا نفكّر بكيفية دعوة بعض الأصدقاء المهتمين للاجتماع معاً لدراسة الكتاب المقدّس. ثم بدأنا نركّز صلواتنا على هذا الموضوع. لم نكن نعرف أيّ مؤمنين لنشاركهم هذا النشاط، ولذا بدأنا نصادق بعض جيراننا غير المؤمنين. لكن الأمور أصبحت معقّدة بسبب سفري المتواصل. كنت في بعض الأحيان أتغيب أسبوعين أو ثلاثة عن البيت.

أحبط هذا الغياب المتكرّر جهودنا للتعرّف على الناس بالدرجة التي تكفي لكي يشعروا بالثقة فينا ويصادقونا. لم يحدث تقدم ملموس لعدة أشهر. كنا بحاجة إلى فريق لمتابعة استمرارية تطوير العلاقات. وفجأةً سنحت لنا الفرصة ورأيناها نصب عيوننا. كان ثلاثة من أولادنا قد صادقوا أخاً وأختاً. فأصبح لدينا فريق بعد كل هذا الجهد. كان ذلك الفريق يتألف من أولادنا.

تعرّفت أنا وزوجتي على والديّ الولدين وبدأنا نتردد على بعض المطاعم المفضّلة عندهم. وكنت أذهب أنا والزوج إلى مباريات كرة القدم. وعندما كنت «أختفي عن الأنظار» في إحدى رحلاتي. كان «الفريق» لا يزال يعمل على تنمية العلاقات. واستمر أولادنا يلعبون مع أولاد تلك العائلة. فكنا عندما أعود إلى البيت، نتابع أنشطتنا معاً.

وبينما كنّا نصلّي، أصبحت خطوتنا التالية واضحة أمامنا. ذهبت أنا وزوجتي في إحدى الأمسيات إلى منـــزل جيراننا وقلت: «نود أن نجتمع مع بعض الأصدقاء لقراءة الكتاب المقدّس لأن هذا يساعدنا على توجيه حياتنا في الاتجاه الصحيح. لم نعقد أي اجتماع لغاية الآن لأنكم تعرفون أن سفري المتكرّر يجعل من الصعب علينا الاستمرار في هذه اللقاءات. لكنكم أنتم تسافرون أيضاً، ولذا فأنتم تدركون ما أقوله.» ثم أخبرتهم ما كنا ننوي القيام به.

أجابني الزوج: «لا نعرف الكثير عن الكتاب المقدّس، لكننا نوّد مساعدتك على عقد هذا الاجتماع إن أمكننا ذلك.» اجتمعنا نحن الأربعة مراراً في تلك السنة لنتعرّف على

يسوع من خلال إنجيل يوحنا.

عندما آمن الزوجان بالمسيح، أصبحا شركاءنا المثاليين. فاقترحت عليهما دعوة بعض أصدقائهما الذين سبق أن تعرّفنا إليهم للانضمام إلينا. عندما انضمت إلينا بعض هذه العائلات بدأنا بإنجيل يوحنا الإصحاح الأول مرة ثانية. تلك كانت بداية انتشار الإنجيل في هذه المدينة الجديدة وبطريقة رائعة وهامة بين عدد كبير من الناس، ولا يزال ينتشر هكذا إلى هذا اليوم بعد عشرين سنة.

عند البدء بالشراكة، علينا أن نبدأ بما عندنا. في هذه الحالة، بدأنا بأولادنا. ثم انضم إلينا آخرون حتى أصبح لدينا في الواقع شراكة مثالية. إن الهدف هو أن يرى كل مشارك نفسه كشريك، حيث يشارك كلّ واحد في الملكية عن طريق استخدام الموهبة والمقدرة التي لديه لخدمة الآخرين والمجموعة.

هناك ميّزتان للشراكة. الأولى هي توفير الدعم والتشجيع، والثانية هي أنها تسمح لنا جميعاً بتجميع مصادرنا.

الشراكة توفّر الدعم والتشجيع

«اثنان خيرٌ من واحد، لأنَّ لهما أجرةً لتعبهما صالحةً.
لأنّه إن وقع أحدهما يُقيمه رفيقه» (جامعة ٤: ٩-١٠).

الشراكة تلزمنا بالعمل. إن غالبية النوايا الصالحة تندثر وتموت قبل أن تولد بسبب الإهمال. فنحن نصمم على القيام بعمل ما، ثم ننشغل فتصبح الفكرة في عالم النسيان. في بعض الأحيان نتذكر ما صممنا على القيام به، وتعود إلى أذهاننا مجموعة مفاجئة من النوايا الصالحة. لكن أفكارنا تتشتّت ثانيةً وسرعان ما ننسى نوايانا ومقاصدنا الصالحة وتندثر في عالم النسيان. إن الشراكة هي أفضل دفاع ضد هذا النوع من التأجيل والمماطلة. وتضعنا أيضاً على المسار الصحيح وتدعونا لتطبيق عناصر التخطيط التي وضعناها: أي متى سنجتمع؟ أين؟ لأي هدف؟

إن نقطة البداية لتكوين الشراكة بالنسبة للمؤثّرين هي الاجتماع معاً للصلاة، وخاصة لأجل أصدقائنا غير المؤمنين. عندما نصلّي تظهر الأفكار الجديدة، وعندما نصلّي من أجل هذه الأفكار، نبدأ بوضع الخطط. ثم علينا أن نعمل لتنفيذ الخطط.

الشراكة تسمح لنا بتجميع مصادرنا

«الذي منه كلُّ الجسد... يُحصِّل نموَّ
الجسدِ لبنيانه في المحبّة» (أفسس ٤: ١٦)

لقد رأينا كيف أننا جميعاً بتصميم من الله، محدودون. وهناك عوامل أخرى تحدّنا مثل الوقت والطاقة. قد لا يكون لدينا سوى ساعتين كوقت حرّ خلال الأسبوع. ونحن محدودون أيضاً بخبرتنا ومهاراتنا. إننا ننظر إلى هذه المحدوديات على أنها عقبات لا يمكن التغلب عليها — حتى نبدأ بعمل الشراكة. عندئذ لن تكون هذه المحدوديات مشكلة.

نسافر أنا وزميلي مايك كثيراً. ونغيب عن بيوتنا بسبب أعمالنا بمقدار ٥٠ بالمائة من الوقت. وهذا ما يجعل من الصعب علينا تنمية صداقات وعلاقات هادفة كمؤثّرين بين أصدقائنا في مدينتنا. لكننا صممنا أن نكون شريكين. لقد عرّف كل واحد منّا الآخر على أصدقائه ونحن نعمل معاً كفريق. عندما أغيب، يواصل مايك ما بدأناه، وعندما يسافر مايك، أتابع أنا بناء العلاقات. وعندما نكون معاً في المدينة نشترك في قيادة الاجتماع. بهذه الطريقة أصبح ما كان يبدو عاملاً سلبياً، عنصراً إيجابياً لأن بإمكان أصدقائنا الذين نعرّفهم على المسيح أن يتحدثوا إلينا طوال الوقت.

نحتاج إلى قدرات عديدة ومختلفة لدعوة وجمع ثمانية إلى عشرة أشخاص معاً في غرفة جلوس في أوقات منتظمة. إن هذا النشاط يحتاج إلى الصلاة، والتنسيق، والتواصل، والضيافة. وينبغي أن يستعدّ شخص ما لقيادة المناقشة. وبعد أن يغادر الجميع ينبغي ترتيب غرفة الجلوس وتنظيف الأكواب. إن محاولة القيام بكل هذه الأعمال بمفردك قد يثبط همتك. لكن عندما يتطوع المشاركون للقيام بهذه المهام بانتظام، فإنها تصبح فرصاً للتعاون المتبادل بين المشاركين الجدد في مجموعة دراسة الكتاب المقدّس وبين المؤمنين الأكثر نضوجاً فيها. إن تقديم الضيافة وتنسيق جداول المواعيد لا يتطلب أن يكون الشخص مؤمناً

تجنّب هذا الفخ

قرّر ثلاثة أزواج أن يصبحوا شركاء كمؤثّرين من الداخل. أعلنوا التزامهم بهذه الفكرة بشرائهم ثلاثة بيوت في الحيّ ذاته. وتصوّروا أنهم بالطريقة التي يتعاملون بها مع بعضهم البعض سيرى جيرانهم التأثير الذي يحدثه الإنجيل في حياتهم، ومن ثم يتجاوبون وينضمون إليهم في رحلتهم الروحية.

بدأوا الاجتماع معاً بالصلاة وبدراسة الكتاب المقدّس. وفي الوقت ذاته عملوا على

تنمية العلاقات في حيّهم الجديد. استمرت هذه الاجتماعات لمدة سنتين. وبمرور الوقت قابلوا امرأة كانت قد آمنت لتوها بالمسيح. فدعوها للانضمام إليهم. ثم أخذوا يصلّون معاً من أجل زوجها الذي انضم إليهم فيما بعد. حضر الزوج اجتماعين ثم انقطع عن الحضور. وعندما سألوه فيما بعد عن سبب عدم مجيئه، أجاب أنه لم يشعر بالارتياح مع المجموعة. كان يشعر كأنه شخص من خارج المجموعة.

لا توجد فرص وإمكانات لنجاح أية مجموعة صغيرة للانتقال من كونها مجموعة من المؤمنين إلى كونها مكاناً يشعر فيه غير المؤمنين بالارتياح. والسبب يعود إلى أن أية مجموعة تجتمع بانتظام ستكتسب ثقافة خاصة بها. وهكذا يقوم أعضاء المجموعة بسرد قصص كثيرة مشتركة فيما بينهم. وعندئذ يشعر غير المؤمنين بشكل خاص بهذا التشابه المشترك للمجموعة فإنهم غالباً ما يشعرون بعدم الارتياح فيها. إن أكبر المخاوف التي يشعر بها غير المؤمنين هو شعورهم بالإحراج بسبب جهلهم بالكتاب المقدّس. ويعتقدون أيضاً أن كل شخص آخر في المجموعة لديه معرفة كبيرة بالكتاب المقدّس.

إذاً، ماذا نفعل؟ عادة ما يكون من الأفضل إعادة ترتيب وتنظيم المجموعة بشكل جديد وفقاً لاحتياجاتها بدلاً من محاولة ضمّ غير المؤمنين إليها. في هذه الحالة، لو أن زوجاً من الأزواج الثلاثة الأوائل دعا زوجاً جديداً للاجتماع معاً كأربعة أشخاص، لكان الوضع قد اختلف. لا يتكاثر المؤثّرون بإضافة أشخاص جدد إلى مجموعاتهم لكن بالانقسام لسدّ احتياجات الأشخاص الذين يتجاوبون معهم. الأشخاص الجدد بحاجة لأن يشعروا أنهم يشاركون في تشكيل مجموعة جديدة وبأن هناك أشخاصاً مثلهم سينضمون لتوهم إلى المجموعة.

غالباً ما نتردد في وضع نهاية للمجموعة التي بدأناها خوفاً من أن يعتقد المراقبون أننا فشلنا. لكن الناس لا يدركون أن ملكوت الله فريد من نوعه لمجرد اجتماعنا مع الآخرين، بل عندما نعيش حياتنا اليومية مع بعضنا بعضاً.

أسئلة للمناقشة

١. لقد لاحظتَ أن مجموعة صغيرة من المؤمنين وغير المؤمنين الذين يجتمعون معاً لمناقشة ما يقوله الكتاب المقدّس هي جزء هام من خدمة المؤثّر. ما هي العناصر التي تجعل مجموعة المناقشة تعمل بشكل جيد؟ (على سبيل المثال: الصلاة، التخطيط).
ـــ ما هي العناصر أو الوظائف التي لا يقوم بها إلا المؤمنون؟

٢. ما هي بعض الوظائف الأخرى التي يجب أن يقوم بها المؤثّرون في الوقت ذاته؟ (على سبيل المثال: الضيافة تجاه الذين لم ينضموا بعد للمجموعة، مبادرات صغيرة، الصلاة ليعمل الروح القدس في حياة الناس).
ـــ أية وظائف هي نقاط قوة في حياتك؟ وفي أي مجالات تحتاج إلى المساعدة؟

٣. تأمل في هذا الجدول (المقياس) المتعلّق بالاعتماد المتبادل:

المقياس	١	٢	٣	٤	٥
الوصف	أنا أخدم بمفردي.	أدرك أن لديّ بعض الحاجات في هذا المجال لكنني لم أفعل شيئاً بعد.	أصلي بانتظام مع صديق.	بدأت أتحدث مع بعض الأصدقاء عن الشراكة معهم كمؤثّرين.	أنمي علاقات مشتركة مع غير المؤمنين ومع مؤمنين لهم ذات الهدف.

ـــ أين تضع نفسك على هذا المقياس؟

٤. ما هي التحديات التي تواجهها عندما يتعلق الأمر بالشراكة مع الآخرين كمؤثّرين؟

٥. اقرأ فيما يلي لائحة العوامل التي تبني الثقة أو تحطمها:

العوامل التي تبني الثقة	العوامل التي تحطم الثقة
الانفتاح: لنفكر ونستكشف هذه القضايا.	**الانغلاق:** أستطيع أن أحلّ هذه القضايا بمفردي. لا أرى أن هناك مشكلة ولا أعترف بها.
التأكيد: هذه فكرة رائعة.	**الانتقاد:** كيف يمكنك أن تفكر هكذا؟
الخضوع: أنا أيضاً خاضع لتأثيرك.	**المنافسة:** تأثيري أفضل من تأثيرك.

توصيل الرسالة بوضوح: دعنا نرى ما يقوله الكتاب المقدّس.	**تجنب الحقائق**: لا أعرف عمّا تتكلم عنه. أنا لا أفعل هذا الشيء.
الحماية: أستطيع أن أتعلّم وأنمو.	**اللوم**: هذا ذنب شخص آخر.
مبادرات ملائمة: أنا أقترح البدائل لتلبية الاحتياجات بشكل صحيح وبنعمة.	**الكمال**: هو المعيار.
موقف الشكر: من الجيد أن يكون عندي شركاء مثلك في هذه المجموعة.	**موقف عدم الشكر**: لم أعتقد أن عليَّ أن أصبر وأواجه كل هذه الأمور.
خدمة الآخرين: أحب أن أخدم الآخرين.	**أنا أولاً**: أريد تحقيق أموري الخاصة أولاً.

الفصل السادس عشر

النمـــط السادس
دعْ الكتاب المقدّس يتكلم

«فقالَ بعضهما لبعض ألم يكن قلبنا ملتهباً فينا إذ كان يُكلّمنا في الطّريق ويُوضِّحُ لنا الكتب؟» (لوقا ٢٤: ٣٢).

****

لا يوجد أي حق يضاهي كلمة الحق في الكتاب المقدّس. إن كل الحجج القوية والبراهين الدامغة التي نقدّمها دفاعاً عن إيماننا وعقائدنا تبدو باهتة بالمقارنة مع قوة الكتاب المقدّس في جلب الناس إلى الإيمان بيسوع المسيح. ولن يتأثر الكتاب المقدّس سواءً قَبِلَ القارىء أم رفض سلطته وحقيقة أنه موحى به من الله. إذا كان القارىء صادقاً وراغباً في معرفة ما يتحدث عنه الكتاب المقدّس، فإن كلمة الله ستؤثّر في قلبه وتنفذ إليه، «لأنّ كلمةَ الله حيّةٌ وفعّالةٌ وأمضى من كلِّ سيفٍ ذي حدّين، وخارقةٌ إلى مفرق النّفس والرّوح» (عبرانيين ٤: ١٢).

إذا كنت قد صرفت وقتاً في التأمل بكلمة الله، فأنت تعرف ما أتحدث عنه. إنك لا شك عرفت تأثير كلمة الله على حياتك لأنها أعلنت لك شيئاً عن حياتك الشخصية أو شيئاً يحدث معك، وتعرف كيف تتجاوب معها. إن غير المؤمن سوف يختبر هذا التأثير أيضاً.

إن قوة الكتاب المقدّس هي من الروح القدس. إنه سيف الروح، والروح القدس يطلب منّا استخدامه. «وخذوا... سيفَ الرّوح الذي هو كلمةُ الله» (أفسس ٦: ١٧). علينا أن نستخدم السيف للدفاع عن أنفسنا ضد هجمات الشيطان، وفي هذه الحالة نستخدمه لتحرير شخص ما من سلطان إبليس.

منذ سنوات عديدة عندما بدأت أتحدّث عن إيماني، كنت متحمساً جداً لجمع الحجج الفلسفية والأجوبة الذكية لأبرهن على صحة موقفي. ووجدت أنني كنت دائماً أستطيع أن أجعل الشخص الآخر يعترف بأنه خاطيء. لكن معظم الناس كانوا يتمسكون بمواقفهم. كنت أستطيع أن أربح المناقشة لكن الناس لم يكونوا يشعرون بذنبهم تجاه الله. ثم أدركت، كما ذكرت في الفصل الثاني عشر، أنني كنت أحاول أن أقوم بعمل لا يستطيع إلا الروح

القدس بقوته أن يقوم به. «ومتى جاءَ ذاك يُبكِّت العالم على خطيّةٍ وعلى برٍّ وعلى دينونةٍ» (يوحنا ١٦: ٨).

أدّى ذلك الإدراك إلى تغيير جوهري بالنسبة لي. عندما بدأت أفهم مكانة ودور الكتاب المقدّس والروح القدس في جذب الناس إلى الله، رأيت كل شيء بطريقة مختلفة. إذا كان الكتاب المقدّس يعلن يسوع المسيح، وإذا كان الروح القدس يهبنا الإدراك ــ أي إذا كان عمل الكتاب المقدّس والروح القدس هو إقناع الناس بخطورة عصيانهم وبحاجتهم، فإن مجال مسؤوليتي يتضاءل. إذاً، ما هو دوري؟ إنه بسيط: أنا صديق العريس والعروس. أنا موجود لأساعد على أن يكون العرس ناجحاً وسلساً (انظر يوحنا ٣: ٢٧-٣٠). عندما أدركت العمل الذي يقوم به كل واحد، شعرت بالراحة. وبدلاً من أن يصيبني القلق حول ما إذا كان الناس سيتخذون قراراً للإيمان بالمسيح أم لا، بدأت أتمتع بالرحلة معهم.

لنبـــدأ

ها نحن مجتمعون في غرفة الجلوس، ثمانية إلى عشرة أشخاص. ولدينا جميعنا كتب مقدّسة إمّا جديدة أو قديمة أو مستعارة لهذه المناسبة. مهما كان الوضع فإن معظم هذه الكتب المقدّسة لم تُفتح أبداً. وها أنت على وشك أن تقود المناقشة. ماذا ستفعل؟

إن هدفك واضح. إنك تريد أن يرى كل شخص يسوع ويتعرّف عليه بطريقة جديدة. إنك تريدهم أن يروا يسوع بدون زخرفة التقاليد أو الأفكار المسبقة. هذا هو هدفك لأن كلّ ما نؤمن به يتعلّق بسؤال واحد فقط: **مَنْ كان ذلك الرجل، يسوع؟** إن كان هو الله، علينا أن نتعامل معه على هذا الأساس. ولكن إن توصلنا إلى نتيجة مختلفة، تكون المناقشة قد انتهت. ويترتب علينا أن نُغلق كتبنا المقدّسة ونبحث عن شيء أكثر فائدة لنعمله.

إن التعليم الأساسي للكتاب المقدّس هو أن الله قد أعلن نفسه. قال الرسول يوحنا في مقدمة إنجيله: «الله لم يرَهُ أحدٌ قطّ. الابن الوحيد الذي هو في حضن الآب هو خَبَّرَ» (يوحنا ١: ١٨). وبكلمات أخرى، إن لم يكن يسوع هو الله، فإن الله سيبقى غير معروف. لا يوجد أي شخص آخر أتانا من خارج وقتنا وفضائنا ليعلن لنا طبيعة الله سوى يسوع. وقد خصص يوحنا بقية إنجيله لتطوير هذه الفكرة الرئيسة المذهلة. ومن تلك الآية وما يتلوها، تضيف كل فقرة من فقرات الإنجيل وحتى نهايته جانباً آخر إلى فهمنا عن يسوع.

وإذا ما توصّلنا إلى ذات النتيجة التي توصّل إليها يوحنا ــ أن يسوع كان الله في الجسد ــ فإنه يتوجب علينا أن نتابع ونطرح السؤال الثاني: **ماذا يريد منّا؟** إذا كان هو الله حقاً، فإننا نكون أغبياء إن لم نتجاوب معه بجدّية.

إننا لسنا بحاجة في الواقع، كأتباع للمسيح، إلى طرح أكثر من هذين السؤالين لأنهما يلخّصان كل خبرتنا مع الله. فسواء كنتُ أقرأ الكتاب المقدّس لأول مرة أو للمرة الخمسين، عليَّ أن أبدأ بهذين السؤالين: من أنت يا ربّ؟ وماذا تريد مني أن أفعل؟ هناك دائماً المزيد لنتعلمه عن المسيح، وحاجتنا مستمرة ودائمة للحصول على إرشاده.

من الأهمية بمكان أن نتذكّر هذين السؤالين عندما نجلس مع أصدقاء ليست لديهم معرفة أو فهم عن يسوع. فنحن وهم معاً في هذه العملية، ونطرح الأسئلة ذاتها. الفرق بيننا هو أننا كنّا نطرح هذين السؤالين لمدة أطول. وعندما تقود المناقشة ينبغي ألاّ تعتبر نفسك معلماً أو مرشداً روحياً. أنت لست في المجموعة لتهب الحكمة للآخرين. أنت مثل البقية تستكشف الحقائق وتنتظر بدء الرحلة.

عندما نفهم أننا جميعاً طلاّب علم، نكون قد مهدّنا الطريق للمناقشة. وندرك أننا لسنا في المجموعة لنعلّم الآخرين، وأن الآخرين ليسوا في فصل دراسي يحاولون أن يقدّموا الأجوبة الصحيحة للمعلّم. إننا جميعاً مشتركون في محاولة التعرّف على يسوع.

البدء من نقطة الصفر

أبدأ الاجتماع عادةً بشرح أن هناك جزأين في الكتاب المقدّس، العهد القديم والعهد الجديد. وأوضح أن العهد القديم هو سجلّ لمعاملات الله مع البشرية قبل مجيء المسيح. وأن العهد الجديد يبدأ بأربعة سجلاّت عن حياة يسوع، يتبعها سجلّ تاريخي للعقود القليلة الأولى من الكنيسة. ثم هناك مجموعة من إحدى وعشرين رسالة كتبها رسل متعددون. وينتهي العهد الجديد بنظرة شاملة على أعمال الله الحاضرة والمستقبلية في العالم — وما بعده إلى الأبدية.

وأشرح للموجودين أيضاً أن الأرقام الكبيرة على الصفحات تشير إلى **الإصحاحات** والصغيرة إلى **الآيات**. إن هذا الشرح يؤكّد للمشاركين أنهم في المستوى ذاته. هذا الشرح هو بالفعل للمبتدئين.

وينبغي على المشاركين أن يعرفوا لماذا لا نبدأ من الصفحة الأولى، أي من سفر التكوين، كما نفعل بالنسبة لكلّ كتاب. الكتاب المقدّس ليس مجرد كتاب عادي. إنه بمثابة مكتبة تتألف من ستة وستين سفراً، كُتبت خلال فترة ألف وستمائة سنة من قِبَلْ أربعين كاتباً مختلفاً تقريباً. وأقول لهم إن دوري هو مثل دور أمين المكتبة أساعدهم في البحث عمّا يريدون، لكننا سنقوم بعملية الاستكشاف معاً.

ثم أقوم باختيار أحد الأسفار وأشرح لهم سبب اختياري. توجد عدة أسفار تعتبر نقطة انطلاق جيدة، مثل سفر التكوين، إنجيل متى، مرقس، يوحنا، ورسالة رومية. ابدأ بالسفر الذي ترتاح إليه. أنا أرتاح إلى إنجيل يوحنا للأسباب التي ذكرتها. وأشرح لهم أيضاً قائلاً إن إنجيل يوحنا كُتب لتحقيق أهدافنا. «وأمّا هذه فقد كُتبت لتؤمنوا أنَّ يسوع هو المسيح ابن الله، ولكي تكون لكم إذا آمنتم حياةٌ باسمه» (يوحنا ٢٠: ٣١). كان يوحنا صديقاً شخصياً قريباً جداً من يسوع. لقد عرّف نفسه بأنه: «واحدٌ من تلاميذه، كان يسوع يُحبّه» (يوحنا ١٣: ٢٣). فمن خلال إنجيله نكتسب معرفة جيدة ومباشرة عن حياة يسوع وتعاليمه.

تسهيل المناقشة وإدارتها

لا يحتاج الناس إلى وقت طويل لمعرفة القواعد الأساسية لمجموعة مثل هذه. إنهم يكتسبون هذه المعرفة تلقائياً. فهم يتساءلون: **هل أستطيع أن أطرح أسئلة؟ ماذا أفعل إن لم أفهم شيئاً؟ هل أقدر أن أعبّر عن رأيي بدون أن أبدو سخيفاً؟ ماذا أفعل إن لم أتفق في الرأي مع شخص آخر؟ وماذا أفعل إن لم أتفق مع ما يقوله الكتاب المقدّس؟ هل هذا أمر شاذ؟ هل أستطيع إثارة سؤال أو قضية شخصية؟**

بعد جلستين فقط سيعرف جميع المشاركين الأجوبة على هذه الأسئلة. وبعد ذلك سوف يتقيّد أفراد المجموعة بهذه القوانين. إذاً، علينا أن نخلق الجو الصحيح منذ البداية.

قد يتوقع معظم الناس منك أن تُلقي عظة أو محاضرة في البداية. لكن عليك أن تفاجئهم وتمتنع عن ذلك. بعدما تكون قد شرحت لهم ما تريد أن تفعله والسبب في ذلك، اطلب من متطوع من المجموعة أن يقرأ الفقرة الأولى. ثم اطرح سؤالاً. هذه لحظة حاسمة. سوف يتساءلون فيما إذا كنت ستقودهم من خلال **طرح الأسئلة** أو من خلال **إعطائهم المعلومات**. لأننا نريد أن نقود المناقشة من خلال طرح الأسئلة، فإننا نستخدم الأسئلة لاكتشاف معنى النّص.

«اللحظة الحاسمة» التالية ستأتي عندما يبادر أول شخص إلى طرح سؤال من عنده. إنه سوف يتساءل: **كيف سيكون رد فعل القائد؟** رحِّب بسؤاله. ويمكنك أن تطرح سؤاله على أفراد المجموعة لمناقشته. أوصل رسالة إلى المشاركين بأنك ترحّب بالأسئلة وتريدهم أن يشعروا بالأمان من طرح الأسئلة. تذكّر أنك لا تملك كل المعرفة عن الكتاب المقدّس. أنت مجرد أمين المكتبة. إذا لم تعرف الجواب، قُلْ لا أعرف. إن عبارة «لا أعرف» جواب جيد.

إن أحد الأخطاء الشائعة التي يرتكبها القادة هي الإصرار على ربح المناقشة دائماً. أنت لست مضطراً لإقناع الناس للموافقة على ما تقوله. ولست مضطراً حتى لجعلهم يؤمنون

بالكتاب المقدّس. إنك تكون قد قمت بدورك عندما يكتسب أفراد المجموعة بعض الفهم عن الفقرة. بعد ذلك يأتي دور ومسؤولية الروح القدس. إذا شعرت أن عليك أن تربح المناقشة، فإنك لن تسمح للآخرين بالتفكير فيما يقرأونه. إنهم بحاجة لبعض الحرية لمعالجة ما يسمعونه ويرونه. إن الانتقال من الأفكار المسبقة عن المسيح إلى اللحظة التي يؤمن فيها الشخص أن المسيح هو الحق، طريق طويل وصعب. وبعدئذ سيواجه المشاركون أكبر عقبة في طريقهم، وهي التخلي عن عصيانهم والخضوع لخلاصه (في العهد الجديد، الخلاص هو التحرر من قوة وسيطرة الخطية. إن يسوع المسيح هو المحرّر والمخلّص من خلال الفدية التي قدمها على الصليب. الخلاص مجاني، لكنه مشروط بالتوبة والإيمان. إنه عمل الله فينا — ونحن نخضع له.) قد تستغرق هذه الرحلة عدة أشهر.

الاستعداد لتسهيل المناقشة

لا توجد وسيلة أفضل من سؤال جيد لاستكشاف معنى إحدى الفقرات.

ولأن المناقشة تتألف بشكل رئيسي من قراءة النّص فقرة فقرة وطرح الأسئلة، فإن استعدادك يجب أن يركّز على تأمل النّص لمعرفة ما يقوله. اسمح للنّص أن يتحدث إليك أولاً. ثم فكّر بكل فقراته وتصوّر الأسئلة التي قد تُطرح. يكتمل استعدادك عندما تكون قد وضعت ستة أسئلة جيدة تساعد المشاركين على فهم معنى النّص.

إذاً، ينبغي أن تضع بعض الأسئلة. لكن الأكثر من هذا، أنت بحاجة إلى حضور الله في المناقشة. صلِّ! اطلب من الله أن يساعد أفراد المجموعة على أن يروا يسوع، ويفهموا ما يقوله أثناء المناقشة.

شجّع المجموعة على الاستمرار

عندما تبدأ المجموعة، فإنك سرعان ما ستعرف ما الذي يجعلها تستمر في الاجتماع. الفقرات التالية تلخّص بعض الأمور الهامة التي تعلّمناها أثناء هذه الخدمة.

أمور عليك أن تتذكرها

أنتَ أمين المكتبة ولست المعلّم. تذكّر أنكم مجموعة من الأصدقاء تفحصون الكتاب المقدّس معاً. إن مسؤوليتك هي مساعدة الحاضرين على شق طريقهم ومعرفة ما يبحثون عنه في هذه الأسفار غير المألوفة لديهم — وليس إعطاء المعلومات عن الموضوع الذي تناقشونه. اهتم بتشجيع الآخرين على التعبير عن أفكارهم بدلاً من التعبير عن آرائك. في بعض الأحيان من الأفضل ألاّ تتحدّث عمّا لاحظته أنت. لكن يجب ألاّ تصمت أكثر من اللازم لأن أفراد

المجموعة يريدون أن يعرفوا الأفكار التي وجدها أنت في النّص أو آراءك حول موضوع ما. عندئذ، تكلّم بإيجاز.

عدد أفراد المجموعة عامل هام. إذا كان هناك إثنا عشر شخصاً في المجموعة، فإن كل واحد سيحصل على خمس دقائق للتحدّث خلال الجلسة التي تدوم ساعة. ينبغي ألاّ يزيد عدد أفراد المجموعة على اثني عشر شخصاً لأن البعض منهم سيتحدّث أكثر من غيره. وإن ارتفع عدد أفراد المجموعة ـــ إلى عشرين شخصاً مثلاً ـــ يجب أن يتغير أسلوب التواصل وينتقل من المناقشة إلى عرض المعلومات، وهذا خط لا نريد عبوره. بإمكان معظم الأشخاص أن يصبحوا ماهرين في تيسير المناقشة، لكن قليلين منهم سيتمكنون من إعداد وتقديم عرض أو محاضرة.

اضبط الوقت. ابدأ الاجتماع في الوقت المعيّن. لا تسمح للأحاديث العابرة أن تأخذ من وقت دراسة الكتاب المقدّس. واختم الاجتماع في الوقت المحدّد. قد تعتقد أنك تجري محادثة جيدة ولا تريد التوقف، لكن إذا استمرت المحادثة إلى ما بعد الوقت المحدّد، فبادر بإنهائها. إذا لم تفعل هذا، سيشعر الناس أنهم سيتأخرون الأسبوع القادم كما فعلوا هذا الأسبوع.

شجّعهم على الاستمرار في المناقشة وتابعوا قراءة ومناقشة النّص كله. لا تستطيعون مناقشة الإصحاح كله والتعرّف على ما يقوله، لذا حاولوا قراءة ومناقشة نصف إصحاح في كل جلسة. لا تتوقفوا عند نقطة واحدة لمدة طويلة بل استمروا في تغطية كل النّص. لا تتضايق لأنك لم تناقش مع بقية أفراد المجموعة كل حقائق ذلك النّص.

لتكن الضيافة بسيطة. يجد بعض الأشخاص صعوبة في تقديم الطعام، ولذا اكتفوا بالشاي أو القهوة.

شجّع أفراد المجموعة على تنظيم الاجتماع. اسألهم من يستطيع أن يتّصل بأفراد المجموعة ليذكّرهم بالوقت والمكان. اطلب رأيهم حول مكان ووقت الاجتماع القادم.

ابقَ على اتصال بالمجموعة. الاتصال بالهاتف أو الزيارة الشخصية تقوي روابط الصداقة. المناسبات الاجتماعية مفيدة جداً لتعميق العلاقات.

فترة حياة المجموعة

إن هذه المجموعة التي نَصفُها الآن، مثلها مثل كلّ مجموعة أخرى، لها فترة حياة محدودة. لا شك أن معظمنا قد اشتركوا في مجموعات صغيرة نجحت في تحقيق أهدافها، وهذا هو سبب استمرارها في الاجتماع بانتظام. المجموعة مفيدة، بمقدار ما تحقق الهدف

الذي وضعتّه لأفرادها وبقدر تأثيرها في حياتهم. إن المجموعة التي وصفناها تكونت بشكل خاص من أشخاص لا يؤمنون بالكتاب المقدّس. فكان هدفنا هو إعطاؤهم الفرصة ليتعرفوا على ما يقوله الكتاب المقدّس عن الحياة ومعناها. وكل واحد منّا، كأمين مكتبة، يفهم أن هذا البحث يركّز على يسوع. ولذا، نحن نصطحب الناس ليروه. لكن الأمر لا ينتهي عند ذلك. سنكتشف الخطوات التالية في الفصول القادمة.

أسئلة للمناقشة

١. عندما تفكّر بأصدقائك ومعارفك من غير المؤمنين، ما هي الحواجز التي عليك إزالتها لكي تدعوهم للتفاعل معك حول ما يقوله الكتاب المقدّس؟

٢. بينما تقرأ الكتاب المقدّس، اسأل نفسك: «ما علاقة ما أقرأه بحياتي وقيمي ومواقفي وردود فعلي تجاه ظروفي؟» ما هي بعض الطرق التي بواسطتها استخدم الروح القدس ــ أو يستخدم الآن ــ الكتاب المقدّس في حياتك؟

٣. ما هي بعض الأدلّة التي تشير إلى أن أصدقاءك منفتحون أو يفكّرون باحتمالية وجود واقع روحي؟

٤. ما هي بعض الطرق التي بواسطتها تستطيع أن تزرع فكرة دعوة شخص أو مجموعة إلى قراءة الكتاب المقدّس؟

٥. اقرأ الملحق «قيادة مجموعة لقراءة الكتاب المقدّس». ما هي الأفكار التي تعتبرها مفيدة أو مثيرة للتفكير حول استخدام الكتاب المقدّس مع غير المؤمنين؟ وأية أفكار قد تنجح مع أصدقائك؟ هل لديك أية أسئلة حول هذه الأفكار؟ ما هي؟

٦. في أية مرحلة أنت الآن في عملية تعريف أصدقائك على الكتاب المقدّس؟ ما هي خطوات الإيمان التالية التي عليك اتخاذها؟

٧. اكتب أسماء أصدقائك أو أشخاص آخرين تعرفهم ممن تعتقد أنهم مستعدون للبدء في قراءة الكتاب المقدّس معك. (ملاحظة: إذا كان أصدقاؤك غير مهتمين أو لديهم موقف عدائي تجاه الأمور الروحية، فلا تستعجل بدعوتهم لقراءة الكتاب المقدّس معك. قد تحتاج إلى الصلاة واتخاذ بعض المبادرات، والتحدث عن إيمانك معهم لبعض الوقت. بإمكانك أن تذكر الكتاب المقدّس في سياق المحادثات الروحية.)

الفصل السابع عشر

النمـــط السابع
المساعدة في ولادة حياة جديدة

****

كنّا في منتصف مناقشة الإصحاح الرابع عشر من إنجيل يوحنا عندما قال بيتر أنه اكتشف فكرة جديدة. قال: «عندما تكون مع أشخاص يعرفون أنك مؤمن بالمسيح، فإن المسوؤلية ستقع على عاتقك أنت. إنهم سيبدأون بمراقبتك، وعندئذ عليك أن تعيش بموجب تلك الهوية.»

كانت ملاحظة بيتر اكتشافاً جديداً بالنسبة لنا في المجموعة. كانت تلك هي المرة الأولى التي أخبرنا فيها أنه قد اتخذ خطوة الإيمان بالمسيح. كان عشرة أشخاص منّا يجتمعون معاً في الثمانية عشر شهراً الماضية لنتعرّف على يسوع، كما وصفنا هذه العملية في الفصل السابق. كان بيتر آخر شخص في المجموعة يعلن إيمانه والتزامه بالمسيح. كنت أشك وأتساءل فيما إذا كان قد احتفظ بذلك الخبر لنفسه لبعض الوقت.

يُوصف الكتاب المقدّس بأنه بذرة صالحة. كتب الرسول بطرس: «مولودين ثانيةً، لا من زرع يفنى، بل ممّا لا يفنى، بكلمة الله الحيّة الباقية إلى الأبد» (١بطرس ١: ٢٣). استخدم يسوع الصورة المجازية ذاتها في مثال الزارع. في هذا المثال أضاف يسوع عاملين آخرين يؤثران على إمكانية رؤية الحصاد: حالة التربة (قلب الشخص) ومحاولات الشيطان لانتزاع البذرة التي زُرعت. «وهؤلاء هم الذين على الطريق. حيث تُزرع الكلمة، وحينما يسمعون يأتي الشّيطان للوقت وينـــزعُ الكلمة المزروعة في قلوبهم» (مرقس ٤: ١٥). يخبرني هذا المثال أن عملي كمؤثّر من الداخل هو زرع البذور والاستمرار في زرعها. يجب عليَّ أن أثابر في زرع البذور بينما يمهّد الروح القدس التربة ويزيل الصخور ويقتلع الأعشاب الضارة التي تخنق البذرة. يجب أن أستمر في زرع البذور حتى تفشل جميع محاولات الشيطان لإيقاف هذا العمل ومنع البذور من النمو. وعندما نستمر في الزرع سيأتي الوقت الذي يتحقق فيه عمل الروح القدس. «وقال هكذا ملكوت الله كأنّ إنساناً يُلقي البذار على الأرض، وينام ويقوم ليلاً ونهاراً، والبذار يطلُعُ وينمو، وهو لا يعلم كيف، لأنّ الأرض من ذاتها تأتي بثمر.

أولاً نباتاً، ثمّ سنبلاً، ثمّ قمحاً ملآنَ في السّنبل. وأمّا متى أدرك الثمر، فللوقت يُرسل المنجل لأنّ الحصاد قد حضَرَ» (مرقس ٤: ٢٦-٢٩). بالنسبة لبيتر، كانت المدة الفاصلة بين الزرع الأول والحصاد ثمانية عشر شهراً.

إن حصاد الثمر الروحي الحقيقي يتطلّب صبراً. وحيث يوجد حمل، ستكون هناك ولادة ــ إذا كان هناك صبر. وعندما لا يكون هناك صبر يحدث الإجهاض. تعلّمت هذا الدرس بالطريقة الصعبة. كنت لا أنتظر حتى تنضج الثمرة. كنت أميل إلى قطف الثمرة، سواء كانت ناضجة أم لا.

قابلت أنا ودوغلاس بحاراً في القاعدة البحرية اسمه ألان. كنت أساعد دوغلاس الذي كان بحاراً ومؤمناً حديثاً في كيفية مشاركة إيمانه مع الآخرين. بدأنا المحادثة مع ألان الذي كان يفكر بالأمور الروحية. وعندما دعوناه لتناول الإفطار معنا حيث كان بعض الأصدقاء سيسردون قصصاً عن كيفية إيمانهم بالله، لبّى الدعوة.

وفي صباح اليوم التالي اجتمعنا نحن الثلاثة في أحد المطاعم وجلسنا معاً. عندما انتهى وقت المشاركة، سألت ألان عن رأيه فيما سمعه. كان بدون شك مندهشاً. فذهبنا إلى بيتي وبدأنا نقرأ من الكتاب المقدّس. شرحت له كيف يصلّي ويدعو المسيح إلى حياته. صلّينا مع بعضنا البعض، وصلّى ألان كما طلبت منه والدموع تملأ عينيه، كانت تلك آخر مرة رأيت فيها ألان.

حاولنا لعدة أسابيع أن نتصل بألان لنتابعه ونساعده على النمو. لكنه بقيّ بعيداً عنّا يتجنب لقاءنا. كان دوغلاس يراه في بعض الأحيان في القاعدة البحرية، لكن من الواضح أنه كان يتحاشى الاتصال بنا. أصابتني الحيرة لأنني لم أتوقع هذا السلوك. وفي الحقيقة، كان سلوكه عكس ما كان يجب أن يحدث. عندما يؤمن شخص ما بالمسيح، تنشأ رابطة خاصة بينه وبين الذين ساعدوه على اتخاذ تلك الخطوة. فتساءلت عمّا حدث مع ألان؟

لمع هذا السؤال في عقلي لأن ألان كان أحد الأشخاص العديدين الذين شجّعتهم على الإيمان بالمسيح والذين تجاوبوا بهذه الطريقة. كان ألان جزءاً من نمط محير بالنسبة لي. حدثت تلك الحادثة منذ أربعين سنة، وأنا لا أزال أبحث عن الجواب منذ ذلك التاريخ. إن الطريقة التي حدثت فيها ولادة بيتر الروحية تعكس الدروس التي تعلّمتها خلال تلك السنوات.

ما هي الولادة الثانية؟

رأينا أن الولادة الثانية أو «التحوّل للمسيح» تحدث عندما يكرّس الشخص نفسه

للمسيح بالطريقة التي يأتمن المسيح نفسه بها لذلك الشخص. يقول الرسول يوحنا: «آمن كثيرون باسمه، إذ رأوا الآيات التي صنع. لكنّ يسوع لم يأتمنهم على نفسه، لأنّه كان يعرف الجميع... لأنّه علم ما كان في الإنسان» (يوحنا ٢: ٢٣-٢٥).

لم يأتمن يسوع نفسه لأولئك الناس الذين لم يأتمنوه في قلوبهم على أنفسهم. لقد آمنوا به، لكنه لم يكن ذلك الإيمان الذي سمح له أن يعمل في حياتهم. لم يكونوا يتعاملون مع القضية الأساسية التي كانت تفصلهم عن الله: عصيانهم، لخّص لنا إشعياء هذه المشكلة كالتالي: «كُلُّنا كغنم ضللنا. ملنا كلّ واحد إلى طريقه» (إشعياء ٥٣: ٦). الولادة الثانية تتطلب قراراً بإنهاء الصراع مع الله وبالاستسلام. لكن «**الأنا**» لا تقبل هذا القرار ولذا فهي عملية صعبة. ولهذا السبب قد يستغرق الأمر شهوراً، وغالباً سنوات، ليتخذ الشخص هذه الخطوة الحيوية.

لكن مفهومنا الشائع عن الولادة الثانية يختلف عن هذا المعنى. يبدو أن تركيزنا هو على **خطوة** اتخاذ القرار بدلاً من إخضاع القلب للمسيح. تركّز كثير من الكنائس والمنظمات الإرسالية في برامجها على دعوة الناس ليقوموا **بخطوة** اتخاذ القرار بطريقة مرئية للجميع. ويشعر كثيرون بالرضا عندما يشير الناس إلى أنهم قد اتخذوا هذا القرار. ونتيجة لذلك، وخلال العقود العديدة الماضية، تمّ تسجيل ألوف قرارات الإيمان والتحوّل للمسيح في دولة تلو الأخرى حول العالم، لكن النتائج الدائمة كانت قليلة جداً.

إن بعض الأمكنة الأكثر خداعاً وغدراً في العالم تدّعي أن ٨٠ بالمائة من سكانها «مولودون ثانية». أحد الأمثلة عن هذه الأمكنة هو مدينة لاغوس في دولة نيجيريا. ومثال آخر هو الكنيسة في دولة رواندا. نمت الكنيسة من كونها تشكّل ١٠ بالمائة من السكان إلى ٨٠ بالمائة خلال سبعين سنة، من ١٩٣٠ إلى عام ٢٠٠٠. ومع ذلك، فإن تقريراً حديثاً نشرته الأسوشيتدبرس كشف أن ١٠٧٤٠١٧ شخصاً في رواندا ــ أي واحد على سبعة من سكان تلك الدولة الصغيرة في وسط أفريقيا ــ قُتلوا في الإبادة الجماعية خلال أوائل التسعينات. من الواضح أن قرارات الإيمان الكثيرة التي تمّ تسجيلها خلال السبعين سنة لم تمنع وجود الكراهية بين القبيلتين المتنازعتين ــ التوتسي والهوتوس.

كيف نفسّر هذه الحقائق؟ أليس الإنجيل هو «قوّة الله للخلاص لكلّ من يؤمن» (رومية ١: ١٦). لو كان ٨٠ بالمائة من سكان رواندا قد اختبروا الولادة الثانية الحقيقية، لكانت أصبحت إحدى الدول الأكثر أماناً في العالم بدلاً من أن تكون من أخطر الدول. وهناك قصص مشابهة يمكن أن نجدها في أجزاء عديدة من العالم عن نمو الكنيسة التي يبدو أنها

لم تؤثّر إلا تأثيراً قليلاً جداً على حياة الناس الذين يدخلون إليها. وتنطبق هذه الحقيقة على الولايات المتحدة أيضاً حيث تدّعي نسبة كبيرة من المواطنين أنها اختبروا «الولادة الثانية».

إن جزءاً من مشكلتنا هو أن فهمنا للولادة الثانية قد تأثّر بثقافتنا. تأثّرت الكنيسة برسالة الذين أحيوا الروح الدينية في القرن الماضي ــ فقد كانوا يشددون على ضرورة أن يتخذ الناس قراراً بالإيمان بالمسيح. لكن من السهل تشويه حقيقة أساسية كهذه. وبعد عدة سنوات، عندما أصبح نموذج الأعمال ــ بتركيزه على الأهداف التي يمكن قياس تحقيقها ــ النمط العملي الإجرائي للكنيسة، أصبح تعداد المؤمنين عملاً محتّماً. من السهل تعداد المؤمنين. لكن هذا الأمر شكّل ضغطاً على الكنائس والخدمات الكرازية لتنتج أعداداً من المؤمنين كدليل وبرهان على فاعليتها. في حالات كثيرة فقد إنجيلنا نقاوته بسبب هذه الضغوط. لقد جعلنا الإنجيل يلائم أنظمة مؤسساتنا الحديثة.

أثناء العقود العديدة الماضية، كانت النظرية المتعلقة بنمو الكنيسة تنظر إلى الكنيسة كمؤسسة اجتماعية يمكن زرعها، وتسويقها، وإدارتها بالطريقة ذاتها التي تُستخدم في التجارة والأعمال التجارية. كما أن عقليتنا الاستهلاكية كانت تغذّي هذا الاتجاه. وأصبحنا نتسوق للكنيسة كما نتسوق ونشتري احتياجاتنا المنــزلية. إننا نسأل من أين سنحصل على أفضل خدمة أو سلعة للكنيسة؟ ولذا، أخذت الكنائس والخدمات الدينية تتنافس على حصص السوق، وتفكر بموجب المستهلكين المحتملين، وتقيس نجاحها بموجب أعداد المستهلكين. وأصبح المانحون يبحثون عن المكان الذي يعطي أكبر النتائج عندما يريدون أن يعطوا من أموالهم. ولأن قرارات الإيمان بالمسيح (كما نُعرّفها نحن) وعدد الحضور في الكنائس يمكن جدولتها بسهولة، فإنها أصبحت المقياس الواقعي الحقيقي لنجاح الكنيسة أو فشلها. ولأننا نستعجل نشر هذه الأرقام الكبيرة، فلم نعد راغبين في وضع الأساس المتين الذي سيدوم ويغيّر حياة الناس بمرور الوقت.

ولادات طبيعية

الولادة الثانية الروحية هي حدث يجري ضمن عملية من خلالها يجذب الله الشخص إليه ويستمر الله في جذب ذلك الشخص طالما أنه يتجاوب مع دعوته. في بعض الأحيان يبدو وكأن كلّ شيء قد توقّف لشهور أو لسنوات. إن الله لا ينتهك إرادة الفرد. لكن هذه العملية هي مثل عملية الحمل. ونحن، مثل (القابلة) التي تساعد المرأة على الولادة، علينا أن نراقب هذه العملية بصبر وانتباه. لكن عندما نفقد صبرنا، ينتابنا القلق بشأن عملية الولادة، أو نستعجل الولادة، فنخاطر بولادة جنين ميت. وفي أغلب الأحيان، عندما يكون الشخص

منشغلاً بدراسة الكتاب المقدّس، ستحدث الولادة بدون مساعدتنا. وستظهر الحياة الجديدة للعيان يوماً ما. في بعض الأحيان، ما علينا إلا أن نمد يد المساعدة مثلما فعلنا مع جيري وزوجته دونا.

كنّا ندرك أن جيري ودونا يتجاوبان مع ما كانا يتعلّمانه من الكتاب المقدّس عن المسيح عندما كنّا نقرأ الكتاب المقدّس في مجموعة صغيرة كانت تجتمع مرة كل ثلاثة أسابيع. لم تكن لهما أية خبرة أو معرفة بالكتاب المقدّس، لكن بدا من الواضح بعد عدة أشهر أنهما فهما تعليم الكتاب المقدّس وأرادا أن تكون لهما علاقة شخصية مع المسيح. بعد إحدى الجلسات اقترحتُ على جيري أن نتناول الغداء معاً، فرحّب بالفكرة.

وفي المطعم، أخبرني جيري أنه وزوجته يريدان أن يسود الله على حياهما، لكنهما لا يعلمان كيف يقومان بهذه الخطوة. اقترحت عليه أن يتأكد من تصميمه على بدء هذه المسيرة مع الله. وافق جيري، فاتفقنا على الاجتماع في بيتي لكي تستطيع زوجته دونا الانضمام إلينا ولكي نقرأ الكتاب المقدّس معاً. ثم تناولنا طعام الغداء.

في عصر يوم الأحد التالي، انضم جيري ودونا إليَّ وإلى زوجتي مارج وجلسنا نقرأ الكتاب المقدّس لنعرف ما يقوله عن تطوير علاقة شخصية مع الله. لقد كنّا الآن في غرفة الولادة.

لا تتوقّف الآن!

إن إحدى ميّزات تشكيل مجموعة صغيرة لمعرفة ما يريده المسيح، مثل المجموعة التي كان فيها جيري ودونا، هي أنه عندما تحدث الولادة الروحية، يجد الناس أنفسهم في الجو المثالي للنمو الروحي. فهم كانوا طوال ذلك الوقت مع أصدقاء سبق واعتادوا على التفاعل معهم، وكانوا قد اعتادوا أيضاً على قراءة ودراسة الكتاب المقدّس. إنهم يولدون ضمن مجموعة من الأصدقاء.

بالمقارنة مع ما سبق، إن الأشخاص الذين يؤمنون بالمسيح من خلال برنامج غير شخصي أو حادثة عابرة في الغالب يجهلون ما يحتاجونه للنمو أو إلى أين يذهبون للحصول على المساعدة الروحية. ولأن عليهم أن يهتموا بأنفسهم، فإنهم في بعض الأحيان يجدون كنيسة وينضمون إليها حيث تعطيهم تلك الكنيسة تفسيراً معيّناً لما حدث معهم. ثم يبدأون بتقليد نمط حياة الأشخاص الآخرين في الكنيسة، ويقبلون هذا الوضع بدلاً من أن يتابعوا نموهم في المسيح.

الولادة الثانية هي بداية حياة جديدة ومختلفة جذرياً. إنها تعني الولادة في عائلة الله الأبدية والحصول على الجنسية في ملكوته. وكما قال بطرس الرسول: «وأمّا أنتم فجنسٌ

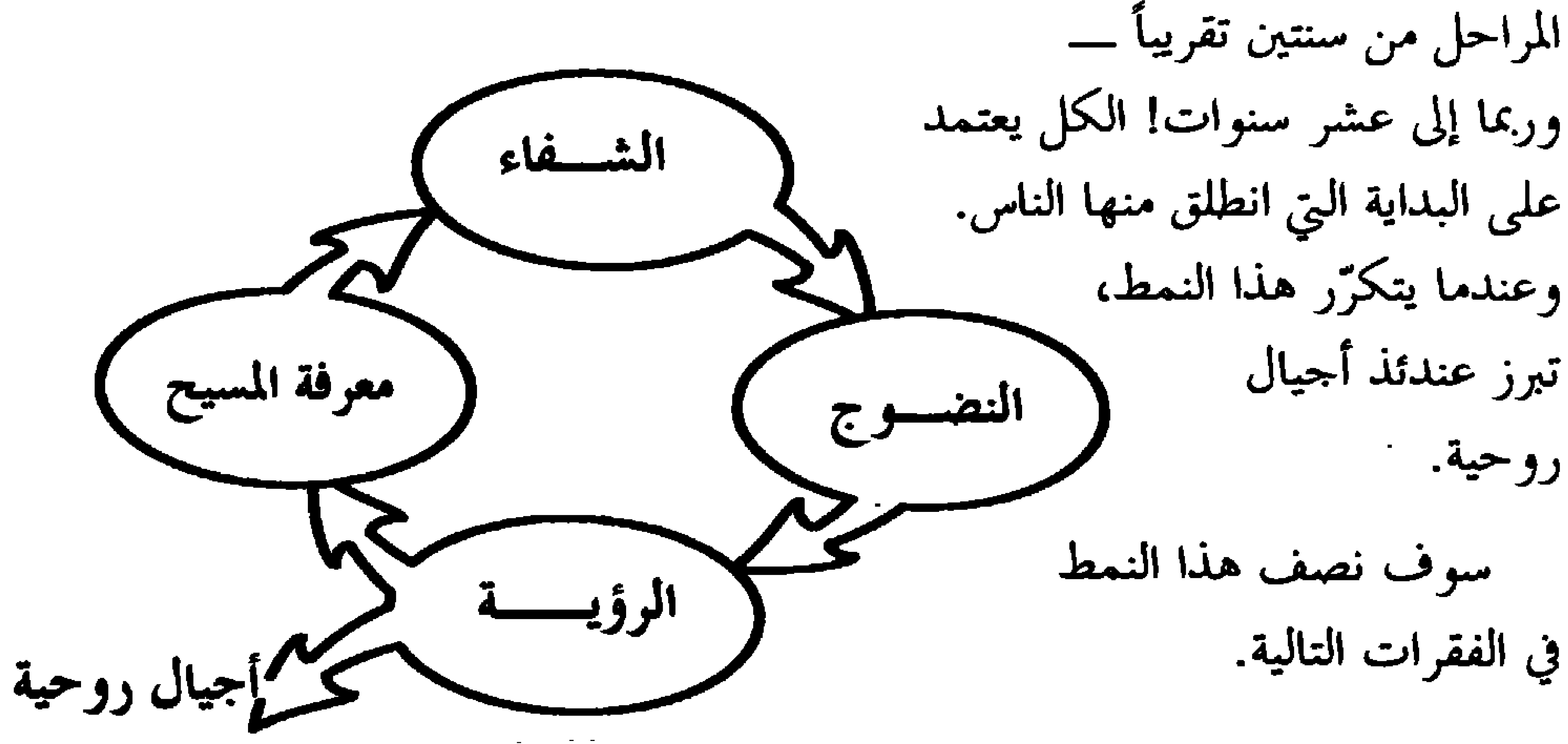
مختارٌ، وكهنوتٌ ملوكيٌّ، أمّةٌ مقدّسةٌ، شعبُ اقتناء.» لقد حصلنا على هوية جديدة. ونمط الحياة الجديدة التي حصلنا عليها تفيض بالأهداف. ويتابع بطرس ليشرح لنا أن قصد الله هو: «لكي تُخبروا بفضائل الذي دعاكم من الظلمة إلى نوره العجيب.» ويقول إن هذا سيحدث عندما: «تكون سيرتُكم بين الأمم حسنةً... يُمجّدون الله... من أجل أعمالكم الحسنة التي يلاحظونها» (١بطرس ٢: ٩، ١٢). إننا مدعوون لنعيش اليوم كمواطنين في ملكوت الله الأبدي.

يجب على المؤمنين الجدد أن يتمسّكوا بهذه الرؤية عن هويتهم الجديدة وما سيصبحون عليه في المستقبل. وهم يحتاجون أيضاً إلى المساعدة للانتقال من مكانهم إلى المكان والوضع الذي يريده الله لهم. إن هذا حتماً سيتطلب بعض الشفاء الأولي — ومن ثم نمواً مستمراً طيلة الحياة.

دورة حياة المجموعة

إن المجموعة التي اجتمع أفرادها ليقوموا بدراسة أولية للكتاب المقدّس سوف تتبع نمطاً معيناً، أو دورة حياة خاصة. فبعد عدة أشهر، وعندما يبدأ الناس بفهم شخصية المسيح وما يقدمه لهم، سينتقل التركيز إلى القضايا التي يعانون صراعاً بشأنها في حياتهم. كل شخص تقريباً يقاسي من ألم ما وبحاجة إلى الشفاء. في هذه المرحلة سيرى أفراد المجموعة أن هناك رجاء بالشفاء.

عندما تتم عملية الشفاء، من المهم أن يستمر أفراد المجموعة بالنمو إلى النضوج. لكننا لا نستطيع أن نتوقف عند ذلك الحد، وإلا سنُصاب بالركود. إن سعينا نحو النضوج يجب أن يتحقق في سياق رؤية مقاصد الله لنا كمؤثّرين من الداخل. قد يستغرق النمو في هذه المراحل من سنتين تقريباً — وربما إلى عشر سنوات! الكل يعتمد على البداية التي انطلق منها الناس. وعندما يتكرّر هذا النمط، تبرز عندئذ أجيال روحية.



سوف نصف هذا النمط في الفقرات التالية.

من الولادة إلى الشفاء

عندما يبدأ المشاركون في المجموعة الصغيرة بالخضوع للمسيح، علينا الانتقال من السؤال الأول: «**من هو المسيح؟**» إلى السؤال الثاني: «**ماذا يريد مني أن أفعل؟**» التركيز قد تغيَّر. علينا الآن أن نستمر ونبدأ بالتركيز على الكتاب المقدّس من خلال السؤال الثاني.

«ماذا يريد مني أن أفعل؟» هذا ما سنسأله. غالباً ما استخدم يسوع صورة مجازية عن **النور** عند معالجة هذا السؤال. قال يسوع: «وهذه هي الدينونة أنَّ النّور قد جاءَ إلى العالم، وأحبَّ النّاس الظّلمة أكثر من النور، لأنَّ أعمالهم كانت شريرة. لأنَّ كلَّ من يعمل السّيئات يُبغض النور، ولا يأتي إلى النّور لئلاّ تُوبّخ أعماله. وأمّا من يفعل الحقّ فيُقبل إلى النور» (يوحنا ٣: ١٩-٢١). ثم قال: «أنا قد جئت نوراً إلى العالم، حتى كلُّ من يؤمن بي لا يمكث في الظّلمة» (يوحنا ١٢: ٤٦).

كنّا نعيش في الظلمة إلى أن آمنّا بالمسيح. وكنّا نتخبط في سيرنا ونُلحق الأذى بأنفسنا وبكلِّ شخص آخر تقريباً في طريقنا. ولا نزال نعيش ونعاني من عواقب تلك الأيام ـــ من أحلام محطّمة، وتوقعات وعلاقات ممزقة. لكن جاء يسوع لشفاء هذا النوع من الضرر والأذى. قال إنه جاء «لأبشّر المساكين، أرسلني لأشفيَ المنكسري القلوب، لأنادي للمأسورين بالإطلاق وللعُمي بالبصر، وأرسل المنسحقين في الحرّيّة، وأكرز بسَنَةِ الرّب المقبولة» (لوقا ٤: ١٨-١٩). كان هدف مجيئه شفاء الأشخاص المحطّمين.

إذاً، ماذا يريد منّا؟ إنه يقول: «سيروا في النور. لتتكشف الأمور المحطّمة في حياتكم لأقوم بمعالجتها.» لكن ميلنا الطبيعي هو عكس ذلك ـــ أن نُبعد وننحّي الله والناس الذين حولنا عما في قلوبنا. غير أننا لن نتحرر إذا ما احتفظنا بما نخبّئه في قلوبنا.

تبدأ عملية الشفاء عندما نبدأ بالسير في النور. إن هذا يعني أن ننتزع الصورة الزائفة التي نختبيء وراءها ونسير في النور كما نحن. إنه يعني اختيار الحق. قد تكون هذه فكرة مخيفة! لكن علينا أن نفعل هذا لأننا بحاجة إلى الشفاء وبحاجة إلى مساعدة إخوتنا وأخواتنا. يقول الكتاب المقدّس: «اعترفوا بعضكم لبعض بالزلاّت، وصلّوا بعضكم لأجل بعض، لكي تُشفوا» (يعقوب ٥: ١٦). إذاً، يمكن أن تكوِّن مجموعتنا الصغيرة نقطة بداية لعملية الشفاء.

إننا لا نتحدث عن تغيير المجموعة لتصبح جلسة للعلاج. إننا نتحدث عن كوننا منفتحين بالنسبة لحاجاتنا لكي نشجع الآخرين على أن يُصلّوا لأجلنا. إن الشفاء يحدث عندما يستجيب الله لصلواتنا.

عقبتنا الأولى قد تكون الصلاة نفسها. لغاية الآن، لم نصلِّ معاً كمجموعة. إننا لم نُدرج الصلاة كجزء من جلستنا لغاية الآن، لأن الصلاة لا تعني الكثير للذين لم يستنتجوا بعد أن الله موجود. إن فكرة الصلاة، خاصةً في حضرة الآخرين، هي فكرة مخيفة. إذاً، دعنا نناقش احتياجاتنا ونحاول التعرّف على ما يقوله لنا يسوع عن الصلاة. ثم نتفق على أن يصلّي كلّ واحد لأجل الآخر. وفي المرة القادمة التي نجتمع فيها، نتبادل استجابة صلواتنا.

عندما نبدأ في زرع الثقة مع بعضنا البعض في هذه المرحلة وإلى هذه الدرجة، لا نستطيع أن نبقي الباب مفتوحاً لدخول أشخاص جدد. لن يتبادل الناس احتياجاتهم وطلباتهم الشخصية إلا إذا شعروا أنهم في أمان. وسيشعرون بالأمان عندما يعرفون أن الآخرين لن يدينوهم بسبب ما يقولونه، وعندما يعلمون أن كلماتهم لن تتعدى حدود المجموعة — أي لن تكون هناك إشاعات. يجب أن يخلق كل واحد منّا أجواء آمنة للآخرين. إن فرصة انضمام أشخاص جدد إلى المجموعة ستأتي فيما بعد.

إننا لا نقترح أن تصبح هذه المجموعة الصغيرة مكاناً يعترف فيه كلّ واحد بكلّ شيء لكلّ شخص. فهذه عملية غير مفيدة. إن ما نقوله هو أننا بحاجة لإطلاع الآخرين على ما يجري في حياتنا كي نتحرر من خطايانا. لكن من الملائم في كثير من الأحيان، أن نُطلع شخصاً واحداً فقط على ما يجري في حياتنا لكي يصلّي لأجلنا ولنكون مسؤولين أمامه.

من الشفاء إلى النضوج

يمكننا أن نَصِفْ المؤمنين الجدد على أنهم مهاجرون إلى ملكوت الله، ووافدون جدد من سلطان الظلمة (انظر كولوسي ١: ١٣). إنهم كمواطنين جدد بحاجة إلى أن يتعلموا كيف يعيشون بموجب طرق الملكوت. ولأن أسس الملكوت هي العدالة والبر والمحبة (انظر مزمور ٩: ٧-٨؛ ٨٥: ٨-١٣)، فإن حياة المواطنين يجب أن تتصف بهذه الفضائل. يجب أن تتصف حياتنا بالنـــزاهة والفضيلة والنعمة. وهذه السمات ستؤثّر على كل جوانب حياة الإنسان: على حياته الداخلية، قلبه، وأفكاره، ومواقفه، ودوافعه — وعلى حياته الخارجية بما فيها علاقاته، عمله، استخدامه للوقت ولأمواله ولأوقات فراغه.

إن حياة المواطنين في الملكوت مختلفة جذرياً عن طرق مجتمعنا لدرجة أن الناس لا بد أن يلاحظوا حياتنا المختلفة عنهم عندما نخالطهم. هذا هو الهدف! يقول بولس: «لكي تكونوا بلا لوم، وبُسطاءَ، أولاداً لله بلا عيب في وسط جيل مُعوّجٍ ومُلتوٍ، تُضيئون بينهم كأنوارٍ في العالم. مُتمسّكين بكلمة الحياة» (فيلبي ٢: ١٥-١٦).

لكن هذه المواطنة تثير أسئلة تبدو مستحيلة. من يستطيع أن يصل إلى هذا المعيار؟ كل

شخص في المسيح! هذه الرحلة تستغرق كل حياتنا، لكننا نقوم بها كل يوم. ونقوم بها باختيار الطرق التي يريدها الله وبالاعتماد على الروح القدس ليعطينا الإرادة والمقدرة على العيش بموجب هذه الاختيارات (انظر فيلبي ٢: ١٣).

إن الولادات الطبيعية تعطي الناس بداية جيدة ومفيدة. إنهم يعرفون أن الروح القدس يعمل فيهم، ويعطيهم الرغبة والطاعة التي يحتاجونهما للبقاء على قيد الحياة وللنمو. لقد سبق واختبروا هذا. وعندما يزداد فهمهم عمّن هو يسوع ويتعلمون أن يتكلوا عليه لمساعدتهم على التخلّص من أنماط سلوكهم القديمة، يصبح نموهم وتقدمهم ظاهراً للجميع.

نعم، إن الطريق هو بمثابة حقل ألغام ــ وقد يصابون ــ لكن الله أعطاهم ما يحتاجونه لإنهاء مسارهم كرابحين.

كُتبت رسائل العهد الجديد لتصف وتحدّد لنا هذا المسار الذي وصفناه. تبدأ رسالة أفسس بوصفه وكذلك رسائل فيلبي وكولوسي وبطرس الأولى ويعقوب وغيرها.

لأن هناك أفراداً في المجموعة لا يزالون يفكّرون باتخاذ قرار بالإيمان بالمسيح بينما البعض الآخر أصبح مستعداً للنمو إلى النضوج، إننا لا نريد أن نحوّل المجموعة إلى مجموعة دراسة الكتاب المقدّس التي تحتاج إلى تحضير مسبق. إنها تحتاج إلى مكان آخر وأجواء مختلفة. إن الطريقة التي كنّا نستخدمها لاكتشاف معنى النّص عن طريق طرح الأسئلة لا تزال مفيدة لهذه المجموعة.

رؤية الأجيال الروحية

أثناء المناقشة في إحدى الأمسيات، بعدما اجتمعنا لثمانية أشهر تقريباً، قال جيم: «هذه الجلسات حلوة ومُرّة بالنسبة لي. أنا أحب الاجتماع مع هؤلاء الأشخاص الذين أصبحوا أصدقاء لي ودرس مواضيع مفيدة جداً لي. لكنها مُرّة لأنني أعرف أنها لن تدوم. أنا أعرف أننا سنصل إلى وقت نتوقف فيه عن الاجتماع للقيام بأمور أخرى.»

كان جيم على صواب. سيأتي وقت تنقسم فيه مجموعة المؤثّرين إلى مجموعات أخرى، مهما كانت أجواء الاجتماع جيدة. عليهم أن ينقسموا إلى مجموعات لأن أصدقاءهم كانوا يراقبونهم ويرغبون بالانضمام إلى المجموعات الجديدة. وعليهم أن ينقسموا إلى مجموعات جديدة لأنهم محاطون بالهالكين ولأن الطلب أكثر من العرض. لا يوجد مؤثّرون يلبّون كل الطلب.

لقد اكتشفنا أنه كان علينا نقل هذه الأخبار لأفراد المجموعة حتى قبل أن يؤمن جميعهم بالمسيح. إن لم نفعل هذا، ستكون المقاومة كبيرة ضد التوقف عن الاجتماع. إننا نساعد

الناس على الاستعداد لهذا اليوم بتعليمهم مسبقاً كيف يكونون هم أنفسهم مؤثّرين من الداخل، بين شبكات علاقاتهم. ونساعدهم على التفكير بأصدقائهم من وجهة النظر هذه — أن يأخذوا بعض المبادرات الصغيرة مثل الصلاة لأجل أصدقائهم وتقديم الخدمة لهم. إن من الأسهل عليهم أن يتوقفوا عن الاجتماع عندما يرون البذار التي زرعوها قد بدأت تنمو. سيأتي الوقت الذي نحتاج فيه لإفساح المجال للجيل القادم.

أسئلة للمناقشة

١. ما هو رد فعلك للطريقة التي تمّ بواسطتها تعريف عملية التحوّل أو الولادة الثانية في هذا الفصل؟

٢. فكّر بالوقت الذي آمنت فيه بالمسيح. إلى أي مدى كنت قد أدركت أن الإيمان الحقيقي يتضمن التزاماً بالعيش بموجب ما علّمه المسيح تحت سلطان الروح القدس؟ وكيف أثّر إدراكك هذا على نموك الروحي؟

٣. فكّر مرة ثانية بقرار الإيمان الذي اتخذته. ما مقدار المساعدة التي حصلت عليها في ذلك الوقت من مؤمنين ناضجين حول كيفية إتّباع المسيح؟ كيف أثّرت تلك الخبرة في نموك الروحي؟

٤. إذا قال لك أحد أصدقائك غير المؤمنين بأنه أصبح يؤمن أن يسوع هو ابن الله وأنه قام من الأموات، ما الخطوة التالية التي يجب أن تتخذها؟

الجـــزء الرابع

العيـــش كمـــؤثّـــر

مقدمـــــــة

****

«ولمّا رأى الجموع تحنّن عليهم، إذ كانوا منزعجين
ومنطرحين كغنمٍ لا راعي لها» (متى ٩: ٣٦).

كانت حركة المرور تتقدم ببطء إلى الأمام. وعند وصولنا إلى وجهتنا لم نتمكن من إيجاد مكان في موقف السيارات. توجهنا إلى المحل الذي لديه تخفيضات، وأخذنا ما أردنا شراءه، ثم انتظرنا وقوفاً في الصف (الطابور) لندفع ثمن مشترياتنا، وأخيراً خرجنا من المحل. و لم نصل البيت إلاّ وقد عيل صبرنا. الجموع! لم نلاحظ خلال تجوالنا شيئاً، باستثناء الوقت الذي كنّا نهدره ونحن نحاول اختراق الجموع.

حين نظر يسوع إلى الجموع، رأى الناس. ورأى ألمهم وحيرتهم، فتحنّن قلبه عليهم. لماذا لا أستطيع أن أرى سوى الازدحام حين أنظر إلى الجموع؟

الفرق هو أن يسوع كان واضحاً وضوحاً لا شك فيه حول معنى الحياة. الحياة بحسب يسوع، تدور حول الصلات والعلاقات. وكما رأينا في الفصل الثالث عشر، تبدو هذه الخاصّية المتعلّقة بالعلاقات واضحة في إجابة يسوع على السؤال، «أيّةُ وصيّة هي العُظمى في النّاموس؟» وكان جوابه هو: «تحبُّ الرَّب إلهَكَ من كلِّ قلبك، ومن كلِّ نفسك، ومن كلِّ فكرك.» ثم أضاف، هناك وصية ثانية متعلّقة بهذه وهي: «تحبُّ قريبَكَ كنفسك.» ومن ثمَّ عرض وجهة نظره قائلاً: «بهاتين الوصيتين يتعلّق النّاموس كلّه والأنبياء» (متى ٢٢: ٣٦-٤٠).

يقول لنا هذا التصريح إن الحياة تدور بالفعل حول العلاقات ـــ بدءاً بعلاقتنا بالله، وانطلاقاً منها إلى الباقين، أي إلى كلّ شخصٍ آخر في حياتنا.

هذه هي طريقة أخرى لشرح معنى أن يكون شخص ما مؤثّراً من الداخل. وكما سبق وأن رأينا، إن كون الشخص مؤثراً لا يعني فقط إضافة نشاط آخر إلى حياة كانت قبلاً مشوّشة. **إنما هو يعني أن نعيش حياتنا من منظور هذه «الوصية العظمى.»**

في هذا الجزء الرابع والأخير، سوف نناقش على أسس عملية ما الذي سيكون عليه تأثير العيش كمؤثّرين على حياتنا الشخصية، وعلى أسرتنا، وعلى جيراننا، وعلى كنيستنا.

الفصل الثامن عشر

الحياة بالنسبة للمؤثّــر

****

ما الذي حدث لجاك إذاً؟ في المرة الأخيرة التي رأيناه فيها في الفصل الأول كان يتحسّر على «ضياع» سنيه العشرين الفائتة. والآن كيف تبدو الأشياء بالنسبة إليه؟ إن ظروفه لم تتغيّر. فهو ما زال يقيم في المنـــزل نفسه. وما زال يقود سيارته في طريقه إلى عمله في الوقت عينه. ويمر بالروتين نفسه في عمله، ويرى الأشخاص أنفسهم كلّ يوم تماماً كما في السابق. ومع ذلك، فإن كلّ شيء قد اختلف.

منذ أن بدأ جاك بالشراكة مع الله عن عزم وتصميم كمؤثّر من الداخل، لم يعد شيء يبدو بالنسبة إليه كما كان يبدو من قبل. فهو يًرى الناس بطريقة مختلفة. ورغم أنه ما زال يعمل في الوظيفة نفسها، فإن عمله أصبح الآن يعني له شيئاً آخر. فقد أصبح ينظر إليه على أنه المضمار الذي يمارس فيه مواطنته في مملكة الله. وهو يقود سيارته عائداً إلى البيت تماماً كما في السابق، إلى حيث يقوم هو وزوجته بتهيئة ثلاثة أغصان صغيرة حديثة النشأة في شجرة العائلة التي تبلغ من العمر قروناً من الأجيال الروحية ـــ والتي تعود بأصولها إلى إبراهيم. ويقومان كذلك بتعليمهم كيف يعيشون حياةً جديدةً بهذا الإرث.

لقد تكلّل بحث جاك عن غاية وهدف لحياته بالنجاح. فهو يعرف أن لديه دعوة مقدسة وها هو قد أصبح ملتزماً ومرتبطاً بها. ما الذي حدث لجاك يا ترى يجعله يتقدّم من حيث كان إلى حيث هو اليوم؟ هذا هو موضوع هذا الفصل.

ساعتان أسبوعياً والبقية لحياتك

بإمكاننا أن نفعل كلّ شيء تحدّثنا عنه في الجزء السابق الذي تناولنا فيه نماذج من حياة مؤثّر مثمر، وذلك في ساعتين أسبوعياً ـــ إذا ما دخلنا في فريق مع آخرين يقومون بتوظيف هذا النوع عينه من الجهد. هذا الفريق يمكنه أن يُنجز الكثير أثناء قيامنا بأعمالنا في يوم اعتيادي: أشياء مثل أخذ مبادرات صغيرة، الصلاة من أجل أشخاص والقيام بخدمتهم. وغنيّ عن القول أن استضافة الناس وجذبهم إلى معرفة الأسفار المقدّسة يستغرق وقتاً إضافياً. ولكن حتى ذلك ينبغي ألاّ يتعدى في المتوسط أكثر من بضع ساعات فقط كلّ أسبوع.

الوقت بالتأكيد عاملٌ هام في جعلنا مؤثّرين مثمرين، ولكن هناك تحدٍ آخر يقف في وجه معظمنا ويمنعنا من القيام بهذه الخدمة. إنه الثمن الآخر.

وكما رأينا في الفصل الأول، فقد حمل يسوع الثمر خلال حياته دافعاً الثمن بالصليب. وهذا هو ثمن الإثمار في حياتنا كذلك. عند اقتراب أيام يسوع على الأرض من نهايتها، بدأ في تحضيرِ تلاميذه لما كان في انتظارهم قال لهم: «قد أتت الساعةُ ليتمجّد ابن الإنسان. الحقّ الحقّ أقولُ لكم إن لم تقع حبّة الحنطةِ في الأرضِ وتَمُت فهي تبقى وحدَهَا. ولكن إن ماتت تأتي بثمرٍ كثيرٍ.»

كان يسوع يتحدّث عن نفسه. وكان يقول، إنني موشك على الموت، وعندها ستفهمون من أنا حقاً. من الضروري أن أموت لأنني إن لم أفعل فسوف أبقى إلى الأبد حبة حنطة وحدها فقط. ولكني بالموت سأهب الحياة إلى عدد لا يُحصى من الحبوب. (وها نحن بعد ألفي عام ــ ملايين في كلّ أنحاء العالم ــ ثمر تلك الحبة الواحدة!) ثم تابع قوله مطبّقاً القاعدة نفسها علينا... فقال: «من يُحبّ نفسَهُ يُهلكها. ومن يُبغض نفسَهُ في هذا العالم يحفَظُها إلى حياة أبدية. إن كان أحدٌ يخدمني فليتبعني» (يوحنا ١٢: ٢٣-٢٦).

هذا كلام غريب! ما الخطأ في أن يحب أحدنا حياته؟ ألم نقرأ للتو أن يسوع قد أوصانا، «تحب قريبك كنفسك»؟ أليس هذا مناقضاً لما يقوله الآن للناس أن يكرهوا حياتهم؟ ما الذي علينا أن نفعله بهذا الشأن؟

إن الكثير من الأمثال والحكم الشعبية اليوم تعارض أية فكرة عن إنكار الذات. وهذا النوع من الكلام يسبّب لنا الإزعاج. وهو خطر، ونحن نخشى على صحة قوانا العقلية. إننا نتساءل، ماذا بالنسبة إلى أهمية أن يكون لدينا صورة ذاتية حسنة؟ وماذا بالنسبة لمسؤوليتنا عن بلوغ وتحقيق قدراتنا الكامنة كلها؟ يبدو هذا تقريباً ممتعاً بالقدر نفسه الذي تكون فيه الأخبار السيئة عن مرض السرطان ممتعة! ما الذي يتكلم عنه يسوع؟

سوف نجد المعنى في سياق كلام عبارات يسوع. لقد كان يقدم نفسه كمثل. وكان يقول، أنا على وشك أن أسلّم حياتي ــ لكي أهبها للناس. إن تمسكت بها، ولم أتخلَّ عنها بكامل إرادتي، فإن عدداً لا يحصى من الناس لن يحصل على الحياة التي أتيت لكي أمنحهم إياها، ثم تابع قوله، القاعدة نفسها تنطبق عليكم! كلما زاد إصراركم على الاحتفاظ بحياتكم لأنفسكم، كلما أصبحت هذه الحياة أكثر عقماً وفراغاً. ولكن إن أنت أطلقت حياتك من بين يديك ــ فلسوف تُثرى الآن وإلى الأبد.

ما هو الخطأ في أن يحبّ الواحد منّا حياته؟ إنها هزيمة للذات في أن يحبّ الإنسان حياته بطريقة تؤدي إلى استثمار كلّ شيء في الذات. فنحن ندمّر أنفسنا حين نصبح مستغرقين ومنغمسين في ذواتنا. كما أنّ محبّة الذات بطريقة غير صحيّة يمكن أن تكون غير مؤذية بقدر ما تشدّد على حماية حرية استغلال الوقت أو المكان الخاص بها. وفي المقابل، «كراهية» المرء لحياته هي منح اهتمامه طواعية للناس بدلاً من اهتمامه بأموره الذاتية. وكما يقول الرسول بولس، «وأمّا أنا فبكلّ سرور أُنفقُ وأُنفَقُ لأجل أنفسكم، وإن كنتُ كلّما أُحبّكم أكثر أُحَبُّ أقلَّ» (٢كورنثوس ١٢: ١٥). وهكذا، يجب أن يكون ثمة صليب في حياتنا أيضاً.

وهذه عبارة أخرى من تلك العبارات المتناقضة في الظاهر التي نجدها في الكتاب المقدّس. وهي تقول أن الحفاظ على الحياة هو أن نخسرها، وخسارة الحياة هي الاحتفاظ بها. فكيف يتم ذلك؟

نحن هنا نتمسك بحياتنا بشدة، محاولين بقبضتينا الصغيرتين استخراج عصارة القطرة الأخيرة من الإشباع الذاتي من كلّ شيء. يقول لنا يسوع تخلّوا عن حياتكم. فإن هذا لن يوصلكم إلى أي مكان وستكونون صفر اليدين. وعندما ينتهي كلّ شيء، فسوف لا يبقى لديكم سوى شعوركم بالفراغ والخسارة. هذا هو الشعور الذي كان يخالج جاك. من ناحية ثانية، حين نعمل على إماتة استغراقنا في الذات وذلك بفتح ذراعينا للناس الذين من حولنا، فسوف ندرك ما معنى أن نعيش! إن أي واحد رأى التأثيرات الإيجابية لاستخدام الله حياته لخدمة شخص آخر، يعرف تماماً ما نحن بصدد الكلام عنه.

لقد رجّح جاك كفّة هذه **التكلفة الأخرى** واختار أن يأخذها على عاتقه. تبدأ المسؤولية حال نهوضه صباحاً من السرير. ويبدأ التأثير من الداخل تماماً هنا مع أسرته.

التأثير من الداخل يبدأ من البيت

عندما دعا الله إبراهيم قال له: «لأنّي عَرَفتُهُ لكي يُوصيَ بنيه وبيتَهُ من بعده أن يحفظوا طريقَ الرّب، ليعملوا براً وعدلاً، لكي يأتي الرّب لإبراهيم بما تكلّم به» (تكوين ١٨: ١٩).

وكما سبق وأن رأينا في كورنثوس الأولى الإصحاح السابع، يبدأ عمل المؤثّر من الداخل في بيته مع العائلة، تماماً كما طلب الله من إبراهيم. يبدأ في البيت لأنه المكان الذي نجد فيه الأشخاص الذين استودعنا الله إياهم بطريقة خاصة ومميزة. فنحن بالتالي نحمل على عاتقنا مسؤولية إضافية أمام الله لأجلهم. وكما سنرى، فإن العائلة هي خطّة الله الأولى لجعل اسمه معروفاً على الأرض على مرّ العصور.

مـــع الزوجـــة

في البداية عند انتقالنا إلى البرازيل، كان هدفنا هو العمل على ولادة حركة الإنجيل فاستقرينا في مدينة يبلغ عدد سكانها المليون حيث كانت توجد جامعة فيدرالية. كانت المدينة الجامعية هي نقطة البداية بالنسبة لنا. كان قد مضى على بداية عملنا بضعة شهور فقط حين أدركت أن زوجتي مارج كانت في صراع مع شيء ما. وعندما تحدّثنا، ساعدتني على أن أرى أنها لم تكن تحصل على ما يكفي من الغذاء الروحي لإبقاء روحها حيّة.

نظرت من حولي وفهمت السبب. لم يكن لديها مكان تذهب إليه للحصول على هذا الغذاء. سابقاً في منيابولس كنّا ننعم بتشجيع إحدى الكنائس. وكانت زوجتي تتابع دروس الكتاب المقدّس للنساء. كما كان بإمكانها أن تفتح المذياع متى شاءت وأن تستمع إلى د. تيودور إيب يشرح الأسفار المقدّسة. ولكن في البرازيل لم يكن ثمة شيء من ذلك. فتساءلت وأنا أشعر بالقلق، ماذا سنفعل؟ ثم رأيت الحلّ.

قال الله. «أيّها الرّجال، أحبّوا نساءَكم كما أحبّ المسيح أيضاً الكنيسة... لكي يُحضرَها لنفسه... لا دنسَ فيها ولا غَضْنَ أو شيءٌ من مثل ذلك... كذلك يجب على الرِّجَال أن يُحبوا نساءَهم كأجسادهم.» (أفسس ٥: ٢٥-٢٨). ربما قرأ الواعظ هذه الكلمات من الكتاب المقدّس في يوم زفافنا، ولكنني لم أكنْ أعي ذلك حينها. أمّا في هذه المناسبة فقد فعلت.

ما قاله الله هو، جيم، مارج هي مسؤوليتك. وأنت كنت حتى الآن تطلب من الآخرين رعايتها. ولكن في يوم ما سنلتقي وجهاً لوجه لنتكلم عنها. ولسوف أسألك ما الذي فعلته لمساعدتها لكي تصبح إنسانة لا دنس فيها ولا غضن ولا عيب. وأنا سأرغب في معرفة ما إذا كنت قد قمت بمساعدة هذه الإنسانة التي استودعتك إياها لكي تُصبح الإنسانة التي قصدت أنا أن تكونها.

لقد اهتزّ كياني. وكانت هذه نقطة تحوّل. أخيراً، وبعد عشر سنوات زواج، توليت القيام بما أعدّني الله لأقوم به منذ البداية. ولكني احتجت إلى الابتعاد عن السند الذي قد كنت أعتمد عليه حتّى أدرك هذا. لأنني أدركت ذلك أخيراً، لقد كانت معي قلباً وروحاً حتى هذا اليوم.

مـــع أولادنـــا

والقاعدة نفسها تنطبق على أولادنا. لقد أوكل الله إلى الأهل مسؤولية تربية أولادهم.

بينما كان شعب إسرائيل يستعدّ لدخول أرض كنعان بعد أن تاهوا في البرية مدة أربعين عاماً كعقاب لهم بسبب عصيانهم، أمرهم الله بواسطة موسى قائلاً:

«وهذه هي الوصايا والفرائض والأحكام التي أمَرَ الرَّب
إلهكم أن أُعلّمكم لتعملوها... لكي تتّقي الرَّب إلهك وتحفظ...
أنتَ وابنُك وابنُ ابنك... لكي يكون لك خيرٌ وتكثُر جداً...
ولتكن هذه الكلمات التي أنا أوصيك بها اليوم على قلبك،
وقُصّها علي أولادك، وتكلّم بها حين تجلسُ في بيتك، وحين
تمشي في الطريق، وحين تنامُ وحين تقومُ» (تثنية ٦: ١-٧).

يريد الله أن تكون ذريتنا صالحة وبارّة. هذا هو الأسلوب الأول في فرض النظام وقواعد السلوك بين الأمم (انظر ملاخي ٤: ٥-٦). وهو السبيل الرئيسي المؤدي إلى أجيال روحية. ولهذا، هو يعلمنا كيف نشرع في هذا. إنه يقول، تكلم بها حين تجلس، وحين تمشي وحين تنام، وحين تقوم. أنت غالباً ما تكون في وضعية من تلك الوضعيات. ما الذي يعنيه هذا حقاً؟ هل علينا أن نعقد الأوقات التعبدية العائلية بشكل مستمر؟ هذا ما كان والدايّ يعتقدانه!

كان والدايّ عند ولادتي مؤمنين جديدين قد وطّدا العزم على أن يقوما بالأمور بشكل صحيح، لقد عانيت تقريباً من ضرر نفسي مستمر سببه صلوات وعبادات العائلة الليلية، التي كنت أجد أن لا نهاية لها وأنها غير مفهومة. لقد أردت الهروب، ولكن طريقة حياة أهلي هي التي انتصرت. كانوا يعيشون وفقاً لما قالوا إنهم يؤمنون به، وهذا ما منعني من التمرد والثورة.

بدت تعليمات ووصايا موسى أكثر أهمية بكثير مما اختبرته خلال فترة نموي. فلقد قال لنا أن نتقيّد بسبل الله في كلّ الظروف، وانطلاقاً من أي وضع يمكن تخيله. وهذا لا يمكن أن يكون إلاّ ظرفياً استجابة للمناسبة، وليس بالأحرى الملل المميت من الطقوس والشعائر التي كنت أعرفها تمام المعرفة. فصمّمنا على أن يكون هذا هو منهجنا في تربية أولادنا. أما بالنسبة إليّ شخصياً، فقد عقدت العزم على ألاّ أجعل أولادي يضجرون من الكتاب المقدّس! كان عليّ أن أجد طريقة لأجعله يصل إليهم وهو ينبض بالحياة.

كنا نهدف إلى أمرين من تعليم أولادنا إتبّاع الله. كان الهدف الأول هو مساعدتهم على جعل الكتاب المقدّس كتاباً مألوفاً وصديقاً. وهكذا، قمت بروايته لهم، من سفر التكوين إلى سفر الرؤيا. يحب الأولاد القصص، ولقد تعلّمت الكثير عن الكتاب المقدّس خلال فترة

السنوات الست التي استغرقتها روايتي له. أمّا الهدف الثاني فقد كان تعليم أولادنا أن طرق الله ناجحة. وأننا حين نقوم بعمل الأشياء بطريقته، تسير الحياة بشكل أفضل، ولكن حين نقوم بها بطريقتنا الخاصة، فإنها تفضي بنا إلى كارثة.

في أحد الأيام، عادت ميشيل التي تبلغ من العمر اثنتي عشرة سنة إلى البيت وهي تغلي من الغضب، وكانت تُقسم أنها لن تتكلم ثانيةً أبداً مع صديقتها المفضّلة بيرينيس. فسألتها عمّا جرى فأخبرتني عن شِجارهما. فقلت لها متسائلاً إن كان لدى الكتاب المقدّس ما يقوله حول التعامل مع مشكلتها. فشرعنا في قراءة رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية، الإصحاح الثاني عشر، «فإن جاعَ عدوّك فأطعمه. وإن عطش فاسقه» (رومية ١٢: ٢٠).

نظرتُ إلى ميشيل نظرة سريعة، كانت عيناها واسعتين. سألتني قائلةً، «هل تقصد... أن عليّ أن أطعم عدوّي؟»

فسألتها: «هل حاولتِ ذلك يوماً؟»

«كلا»

فقلت «حسناً،» «لا تنتقديه حتى تجربيه.» ثم عدت إلى ما كنت بصدد القيام به. بعد فترة وجيزة تتبعت رائحة حلوة منبعثة من المطبخ فوجدت ميشيل تخبز كعكاً. وحين سألتها عمّا تفعله، أجابت، «سأقوم بإطعام عدوّي».

ثم توجهت إلى منـــزل بيرينيس مع الكعك المحلّى. وعندما عادت بعد بضع ساعات قالت: «بابا، لقد نجح الأمر!»

والآن، كان هذا اكتشافاً عظيماً! حين نختبر بشكل مباشر حكمة إرشادات الله ووصاياه لكلّ يوم من أيام حياتنا، فإننا نبدأ نثق فيه. والثقة فيه تؤدي إلى محبته.

لا أحد آخر بإمكانه أن يكون موجوداً لأجل أولادنا في لحظات تعليمية كهذه سوانا نحن كوالدين عندما نقف أمام الله. لن يفلح تحميل قادة الاجتماعات في كنيستنا مسؤولية فشلنا مع أولادنا. إن مجتمعنا يجرنا ـــ وأحياناً يجبرنا ـــ إلى أن نقوم بهذه المبادلة الخطرة، الأمر الذي يأخذنا بعيداً عن مسؤولية الأبوة. غالباً ما يكبر عمل ما إلى أن يصبح تخصصاً في مجالٍ من المجالات له اعتباره وقيمته إلاّ أنه يستنفذ الطاقة ويستهلكها. خلال الفترة التي يتحولُ فيها أولادنا من أطفال إلى بالغين، نكون بحاجة إلى تفحّص ودراسة هذه المقايضات التي نقوم بها، والتي قد تتركنا في نهاية المطاف صفر اليدين.

كمؤثّر من الداخل، فإن العمل في خدمة أسرنا، سوف يمهّد أو يضع القواعد لما سيلي من خطوات. فمن خلال أسرتنا، تصل رسالتنا إلى الناس من حولنا.

مـــع جيراننـــا

عملنا أنا ولاري في أميركا اللاتينية. ونحن نقضي الآن يوماً معاً في منـــزلي في كولورادو. في عصر ذلك اليوم توقفنا عن الحديث باستراحة قصيرة لنخرج للركض. وباعتبار أن جاري المباشر ستيف هو شريكي المعتاد في الركض، فقد ناديته لأرى فيما إذا كان يرغب في الانضمام إلينا ففعل. وهكذا، توجهنا، لاري، ستيف وأنا إلى الممرات المحيطة ببيتنا لنعدو فيها.

وخلال عَدونا، تبادل ستيف ولاري رواية القصص. وكان جزء مما رواه ستيف يدور حول كيف أدّت صداقتنا إلى لقائه بالمسيح. وعند نقطة معينة، سأل لاري ستيف عمّا جعله مهتماً بمتابعة هذا الموضوع معي فكانت إجابته: «لقد راقبت الأسرة. ورأيت كيف يراعون ويساندون بعضهم بعضاً وقد تساءلت عن ذلك. وخلصت إلى أنه مهما كان الأمر فقد كانوا يشربون نوعاً ما من المشروبات، وأنا أردت بعض هذا الشراب.»

فسأله لاري، «هل كنت تدرك حينها أن ما كانوا يشربونه كان له أدنى علاقة بما يؤمنون به؟

فأجاب ستيف، «كلا لم أكن أعلم ذلك.»

كانت تعليقات وملاحظات ستيف مفاجأة بالنسبة لي. كانت أسرتنا غافلة عن الرسائل التي كان ستيف يتلقاها منّا. وهذا ما جعلني أدرك كم هو صحيح أن تصبح عائلة الشخص رسالته.

من الأهمية بمكان أن يعي أولادنا دورهم، وأدوارنا في عمل الله بين الأشخاص في حياتنا. سواء أحببنا ذلك أم لم نحبه، في السرّاء والضرّاء، فيما يتعلّق بأولادنا نحن المثال الذي يقتدون به. إذا ما أبدينا عدم مبالاة بجيراننا، كيف سيأخذ أولادنا الأخبار السارة عن المسيح على محمل الجِّد؟ إن عدم الاتصال بالخارج وبما وراء عالمنا الخاص هو عدم وفاء، ونوع من إنكار للإنجيل سوف يلتقطه منّا أولادنا.

بذرة ميتة، تراب، ماء، وشمسٌ مشرقة

إن هذا الخيار الآخر الذي نقرّره كمؤثّرين من الداخل، بالموت في سبيل أولوياتنا كما فعل المسيح، سوف تسير حياتنا بموجب مقاصده الأبدية. سوف نتألم معه، ولكننا سنشارك انتصاره أيضاً (انظر رومية ٨: ١٧). إنه لانتصار مؤثّر! كتب النبي إشعياء متنبئاً عن المسيح:

روحُ السيّد الرّب عليّ، لأنّ الرّب مسحني لأُبشّر
المساكين، أرسلني لأعصِبَ مُنكسري القلب،
لأنادي للمسبيّين بالعتق، وللمأسورين بالإطلاق.
لأناديَ بسَنَة مقبولة للرّب، وبيوم انتقام لإلهنا.
لأُعزّي كلّ النائحين. لأجعل لنائحي صِهيون،
لأُعطيَهُم جمالاً عِوضاً عن الرّماد، ودُهنَ فرحٍ عِوضاً
عن النّوح، ورداءَ تسبيحٍ عِوضاً عن الرّوح اليائسة،
فيُدعونَ أشجار البرّ، غَرْسَ الرّبّ للتّمجيد (إشعياء ٦١: ١-٣).

البذرة الصالحة من السماء غُرست في أرض العبودية والنوح والرماد واليأس. وخارج هذه الأرض نمت أشجار برٍّ لا حصر لها. الأشخاص الذين استبدلوا ضعفهم وذلّهم بالحرية والراحة والجمال والتسبيح، هؤلاء الذين زودوا مَنْ حولهم بالقوة. لقد قصد الله أن يغرسنا كبذور في هذا النوع نفسه من التربة، لينتج هذا النوع نفسه من الثمر بين الأشخاص الضعفاء المحطمين في أيامنا هذه. كيف يحدث هذا؟

البذور الصالحة ستنبت. ليس علينا إلاّ أن ندعها تسقط في التربة. ويتكفّل الماء وأشعة الشمس تدريجياً بالباقي، دون صوت. وذلك بطيء جداً وليس حدثاً مشوقاً بحدّ ذاته بالنسبة للبعض مثل مراقبة العشب وهو ينمو. إننا نريد حركة. شيئاً كبيراً يُحدث ضجة، ويكون غالي الثمن. ولكن هذا ليس طريق الملكوت. إن الملكوت ينمو فيما بيننا، يشقّ طريقه قدماً من حياة إلى حياة، ومن جيل إلى جيل. إن ما هو ضئيل وضعيف في الظاهر، هو الأقوى في نهاية المطاف، وهذه التكلفة الأخرى هي ثمن زهيد ندفعه لهذا المقابل!

أسئلة للمناقشة

١. ألقِ نظرة على الأسماء التي كتبتها في السؤال الأول، في الفصل الأول. بأية طرق استفاد هؤلاء الأشخاص نتيجة قراءتك لهذا الكتاب؟

٢. ما هي الدروس الرئيسة التي تعلمتها؟ وما هي الأفكار الثاقبة التي اكتسبتها؟

٣. ما هي الدروس والأفكار الثاقبة التي أثارت اهتمامك وحماسك؟

٤. ما هي الأشياء الهامة التي عليك تغييرها؟

الفصل التاسع عشر

ساعد هؤلاء الناس!

****

سأل داني: «كم شخصاً تعرف مثل هؤلاء؟» مشيراً إلى المؤثّرين من الداخل.

كان داني أحد الذين شجّعونا على كتابة هذا الكتاب حتى قبل أن نفكّر بالكتابة. وهو الآن المحرّر الذي يعمل معي ومع مايك بينما نكتب هذا الكتاب. كنت مستعداً لهذا السؤال لأنني كنت أطرحه على نفسي. وأنت، أيها القارىء، لا شك أنك تسأل هذا السؤال الآن.

إن الانطباع الأول هو أن هناك عدداً قليلاً جداً من هؤلاء الأشخاص. غير أن هناك أمكنة في العالم يتواجد فيها المؤثّرون كجزء طبيعي من جماعة المؤمنين. ويوجد في هذه الأمكنة عامل مشترك. إنها أماكن بكرْ — أي أمكنة لم يذهب الإنجيل إليها من قبل وحيث يلتقي بالمسيح أولئك الذين يؤمنون به من خلال شخص يعرفونه. يولد هؤلاء الأشخاص روحياً كمؤثّرين. والتأثير من الداخل هو إحدى قيم تلك الجماعة من المؤمنين. وكنّا نشعر بالدهشة عندما كنّا نرى مؤمنين جدداً يقرأون الكتاب المقدّس مع أصدقائهم ويقودونهم إلى المسيح. رأينا هذا العمل بين جماعات متعددة من الخلفيات الدينية وحتى بين العلمانيين في الغرب.

بقعـــة عميــــاء؟

في الأمكنة التي تأسست فيها المسيحية، يواجه المؤثّرون المثمرون الذين نعرفهم، بخلاف الناس في الأمكنة الأخرى، عقبات يحاولون التغلب عليها. إن هيكلية ولاهوت كنائسنا الغربية الراسخة يتأثران بتراث المسيحية. وُلدت المسيحية كديانة رسمية في القرن الرابع في عهد قسطنطين، عندما تكونت علاقة بين الكنيسة والدولة وكانت ذات فائدة متبادلة لكلا الطرفين. وكما رأينا في الفصل السادس، كانت عضوية الكنيسة بموجب هذا الترتيب تُكتسب بالولادة. ولأن الناس كانوا يولدون في الكنيسة، لم يكن هناك أشخاص غير كنسيين. كانت مهمة كاهن الأبرشية أن يقدّم الأسرار المقدّسة والخدمات الرعوية ضمن أبرشيته. لم تكن هناك مناسبة أو فرصة لكي يرى المؤمنون أنفسهم كمؤثّرين من الداخل، كما وصفناهم.

إن الفكرة التقليدية لِلأبرشية المحلية لا تزال تؤثّر على كنيستنا الغربية. وهي ليست فكرة خاطئة، لكنها تشكّل نصف القصة فقط. إنها لا تأخذ بعين الاعتبار حقيقة أن الكنيسة هي كنيسة رسولية، أي أننا مُرسَلون كشعب الله إلى العالم «نيابة عن المسيح» (انظر ٢كورنثوس ٥: ٢٠). إننا نفهم هذه الدعوة بعلاقتها بذهابنا إلى الأمم، لكنها غير واضحة لنا عندما يتعلّق الأمر بمدينتنا، حيث نميل إلى التجمع في الكنائس للعبادة. ونتيجة لذلك نشعر بالجهل تجاه سلوكنا وعملنا كشعب الله وسط مجتمعاتنا الهالكة.

علينا أن نعترف بالقيمة الفريدة للمؤثّرين. إنهم قريبون من الناس الذين يجب أن تكرز لهم الكنيسة، لكنٍ ليس لهم إلا مكان صغير جداً في عالمنا الكنسي الخاص بنا. لماذا يوجد عدد قليل من المؤثرين؟ إنهم موجودون بيننا، لكن هناك أمورٌ أخرى تقف ضدهم. لا يوجد إلا أشخاص قليلون يشجعونهم على ما يقومون به. وقليل من قادتهم يحثونهم على البقاء في مواقعهم والتركيز على أصدقائهم غير المؤمنين، ويقولون لهم: «سنمدّكم بالمصادر اللازمة.» لكن غالباً ما يكون الأمر عكس ذلك. إن الرسالة التي تصل إلى المؤثّرين هي: بيِّنْ التزامك بتواجدك في الكنيسة وقت الترنيم. إننا لا نكتفي بعدم تقديم المساعدة فحسب، بل إن ضغوط توقعاتنا منهم تجعل من الصعب عليهم متابعة خدمتهم. أليست هذه بقعة عمياء في عالمنا الكنسي، في عقيدتنا الكنسية؟

مشكلة مرتبطة بالكنيسة

من الصواب أن نقول إن هناك ٥٣٢ كنيسة في كولورادو سبرينغ، حيث نقطن. ومن الصواب أيضاً أن نقول إن هناك كنيسة واحدة فقط في المدينة، كما أنه من الصواب أن نقول إن هناك كنيسة واحدة منتشرة في كلّ العالم. لا يمكن أن يكون هناك إلا جسد واحد للمسيح. حقاً «إنّ الجسد هو واحدٌ وله أعضاءٌ كثيرةٌ... فقد وضع الله الأعضاء، كلّ واحد منها في الجسد، كما أراد» (١كورنثوس ١٢: ١٢،١٨). تشترك أعضاء المسيح هذه جميعها في القيام بوظائف مختلفة، لكننا جميعاً جسد واحد ومدعوون لتحقيق هدف واحد وهو تمجيد الله.

لا توجد هناك أشكال إلزامية تقوم الكنيسة بالعمل بموجبها. إن ٥٣٢ كنيسة في مدينتنا يجب ألاّ تبدو متشابهة أو تعمل مثل بعضها البعض. إنها ستفقد شيئاً ما إذا فعلت هذا. إنها سوف تستثني معظم الناس في المدينة لأنها ستخدم نوعاً واحداً فقط من الناس. بدلاً من أن نرثي لاختلافاتنا ونقلق لأننا منقسمون، يجب أن نقدّم الشكر إلى الله لهذا التنوع الثمين. إننا بحاجة أكثر إلى التنوع لا إلى القليل منه.

إن التنوع هو أحد مقتنياتنا الثمينة ــ لكنه يجعلنا نشعر بالانزعاج. وغالباً ما لا نعرف كيف نتعايش معه. على سبيل المثال، إنه يُمكّن الناس من اختيار كنائسهم بموجب أفضلياتهم. هل هذا أمر جيد أم سيء؟ إنه كلاهما. من الناحية السلبية، إنه يفتح الباب للمنافسة بين الكنائس. وطبيعتنا التنافسية تُكمل العمل. إننا نبرّر هذا العمل بالقول إنه طالما أن التنافس جيد في عالم الأعمال، فهو جيد في الكنيسة أيضاً. بهذه الطريقة نجعل الكنيسة وكأنها سلعة بحاجة إلى التسويق. وهكذا نجد أنفسنا وقد وقعنا في فخ المنافسة غير المقدّسة للحصول على حصة من السوق ضد بقية الكنائس في البلدة. من الصعب أن يكون لدينا اهتمام بعضنا ببعض (انظر ١كورنثوس ١٢: ٢٥)، ونتنافس مع بعضنا بعضاً في الوقت ذاته. إن هذه الرغبة في الاستحواذ هي المشكلة المحيّرة بالنسبة للمؤثّر من الداخل. إننا نريد من رعايانا أن يجلبوا ثمارهم إلى كنيستنا المحلية. إذا لم نضع هذا المفهوم جانباً، فإن خدمة المؤثّرين لن يقوم بها إلاّ عدد قليل من الذين لديهم الجرأة والشجاعة ليسيروا ضد التيار.

لا توجد ضمانة تُؤكّد أن ثمر عمل المؤثّر سيساهم في نمو رعية الكنيسة التي هي بمثابة أحد المصادر له. إن هذا الثمر سيساهم في نمو الكنيسة في المدينة ــ وخارج المدينة ــ لكنه لن يساهم بالضرورة في مكافأة الكنيسة الداعمة له مباشرة. يواجه الكثير من قادة الكنيسة مشاكل متعددة بخصوص هذه الحقيقة. لكن علينا أن ننظر إلى هذه القضية من منظور ملكوت الله.

منظور الملكوت

كان موضوع ملكوت الله موضوعاً جوهرياً في تعاليم يسوع. دعا يسوع رسالته «الأخبار السارّة لملكوت الله» (انظر لوقا ٤: ٤٣). وهكذا دعا التلاميذ رسالتهم أيضاً (انظر أعمال الرسل ٨: ١٢). وكانت تلك رسالة بولس أيضاً. آخر سجلّ عن حياة بولس يقول: «وأقام بولس سنتين كاملتين في بيت استأجره لنفسه. وكان يقبَل جميع الذين يدخلون إليه، كارزاً بملكوت الله، ومعلّماً بأمر الرَّب يسوع المسيح بكلّ مجاهرة، بلا مانع» (أعمال الرسل ٢٨: ٣٠-٣١). الكنيسة ليست الملكوت. إن الملكوت هو سلطةُ الله الأبديَّة غير المتزعزعة التي تسود على العالم المنظور وغير المنظور. والرَّب يسوع المسيح هو الملك. ونحن، الكنيسة، مواطنو ذلك الملكوت. ويوماً ما سوف نرثه.

عندما نكرز بالإنجيل ويتجاوب الناس مع الرسالة، فإن ملكوت الله سيغزو حياتهم. وسيصبحون جزءاً من العائلة الملكية، من ثم تُعطى لهم المواطنة. كما سيصبحون جزءاً من جسد المسيح، كنيسته. ولكن ليس من الضرورة أن يتبنوا طرق الشخص أو الهيئة التي

كرزت لهم بالإنجيل لكي تحدث كلّ هذه الأمور. إن إنجيل الملكوت سيبدأ بالنمو في أي تربة تقبله. هذه الحقيقة تنطبق على كولورادو سبرينغ كما تنطبق على كالكوتا في الهند. إن إنجيل الملكوت هو الأخبار السارة لجميع الناس. ولا يمكن تقليصه ليصبح أخباراً سارة عن كنيسة محلية واحدة أو أخرى.

عندما نرى ونفهم الملكوت، وندرك أن أخباره جيدة وصالحة، فلن نهتم عندئذ أين ينمو هنا أم هناك ـــ أو إذا كنّا سنتمتع بفوائد الحصاد المباشرة أم لا. ولن نقلق إن حصد شخص آخر الثمر. علينا أن نفرح لأن الملكوت ينمو وأن الله يستخدم شعبه اليوم كبذار صالحة للأبدية. إننا نفتح أيدينا ونكرّس حياتنا ونسمح لله أن يجعلنا ويجعل الآخرين ينمون كما يشاء.

إذا أردنا أن نكون مصدراً من مصادر المؤثّر، علينا أن نكون منفتحين هكذا. ولا بأس إن انتهى ثمر عمل المؤثّر في الكنيسة الواسعة في مدينة ما طالما أن يسوع المسيح هو رسالتنا. بعض الثمر سيأتي إلينا، وبعضه الآخر سيصبح جزءاً من كنيسة أخرى أو جماعة مختلفة. كما أن بعض الثمر الجديد يحتاج إلى ما يناسبه للنمو. فمهما كانت النتيجة، فإن الملكوت ومواطنيه ـــ الكنيسة ـــ سيتقدمون إلى الأمام.

احتياجـــات المؤثّـــر

آن الأوان لنقدّم للناس الذين يريدون من كلّ قلوبهم أن يعيشوا كمؤثّرين المساعدة التي يحتاجونها. إنهم يحتاجون إلى دعم قادتهم الروحيين ليثابروا بنجاح في القيام بهذه الأشياء التي وصفناها في هذا الكتاب. هذا ينقلنا إلى التعليمات التي أعطاها بولس إلى كنيسة أفسس بهذا الخصوص. قال بولس: «وهو أعطى البعض أن يكونوا رُسُلاً، والبعض أنبياء، والبعض مبشّرين، والبعض رعاةً ومُعلّمين، لأجل تكميل القدّيسين لعمل الخدمة» (أفسس ٤: ١١-١٢).

يُعطي الله المواهب للكنيسة على شكل أشخاص مستعدين للقيام بأعمال معيّنة. إن جزءاً أساسياً من عملهم هو تمكين أو تأهيل الآخرين في الجسد ليقوموا هم بالعمل ذاته. إنهم يخدمون ويقومون بعمل المرشدين أيضاً. وعندئذ، يتابع بولس، سيُبنى الجسد. وستكون هناك وحدة. سيحصل الناس على «معرفة ابن الله وينضجون.»

إن نتيجة هذه الخدمة وهذا الإرشاد هو أن «كلُّ الجسد مُركباً معاً، ومُقترناً بمؤازرة كلِّ مفصل، حسبَ عمَلٍ، على قياس كلِّ جزءٍ، يُحصِّل نُمُوَّ الجسد لبنيانه في المحبة» (أفسس ٤: ١٦).

لا تحتاج هذه الكلمات إلى أي تعليق منّا لأنها تلخّص الفكرة التي نتحدّث عنها. إن

المهمة الأساسية لقادتنا الروحيين هي تمكين كلّ مؤمن من القيام بعمله. هذا ما يحتاجه المؤثّرون ــ المساعدة للقيام بعملهم.

ما هو نوع المساعدة التي يحتاجونها؟ لنفكّر بالأمور التالية:

المؤثّرون يحتاجون إلى الشرعية

غالباً لا يتم الاعتراف بالمؤثّرين، كما كنّا نصفهم، كعناصر أساسية وضرورية لعمل الكنيسة. ففي معظم الأحيان يُساء فهمهم وتصدر أحكام بشأنهم. على سبيل المثال، يُعتبر تعليم أحد صفوف مدرسة الأحد مساهمة بالجسد، لكن قضاء وقت مع أصدقاء غير مؤمنين في البيت لا يُعتبر هاماً. عندما تتضارب البرامج ولا يذهب المؤثّرون إلى أحد اجتماعات الكنيسة، فإن الناس سيشعرون بالقلق ويعتقدون أن المؤثّرين يتراجعون روحياً. وهكذا تُثار الأسئلة والشكوك حول شرعية ما يفعله المؤثّرون. وبسبب قلة الإدراك هذه، يشعر المؤثّرون أنهم ممزقون بين عالمين.

المؤثرون يحتاجون إلى سياق

إنهم بحاجة إلى بيئة داعمة لهم ــ شيء أكبر منهم. ينبغي ألاّ نعمل على تنظيمهم، لكنهم يحتاجون إلى صداقة وصحبة أشخاص آخرين يسعون لتحقيق الأهداف ذاتها. إنهم بحاجة لبعضهم البعض. ويحتاجون إلى فرص من فترة لأخرى للتشاور مع بعضهم بعضاً وللتعلّم من خبراتهم المشتركة. المؤثّرون هم أفضل مصدر لأنفسهم.

يتخذ هذا السياق عدة أشكال: من تبادل غير رسمي للبريد الالكتروني إلى اجتماع حول طعام الإفطار. ويجب أن يكون السياق سياق علاقات جيدة وليس سياقاً تنظيمياً. كما ينبغي على المؤثّرين ألاّ ينضموا إلى كلّ خدمة على قائمة خدمات إعلانات الكنيسة. عندما نحوّل نمط الحياة إلى برنامج، فإننا نهدده بالانقراض.

إن هذا السياق هام لأنه كما رأينا في الفصل الرابع، يجب أن يبقى المؤثّرون في الحالة التي دعاهم الله فيها. من الصعب جداً الاستمرار في خدمة أصدقائنا غير المؤمنين عندما نشعر أننا الوحيدون الذين نقوم بهذه الخدمة، وأن لا أحد آخر يقوم بها. لكن عندما يكون هناك آخرون وحيث يكون هناك قادة يشجعوننا بهذه الكلمات: «ابقوا حيث أنتم. نحن ندعمكم ونصلّي لأجلكم»، فإننا لن نشعر بالوحدة.

المؤثرون يحتاجون إلى المحتوى

لا يوجد إلاّ أشخاص قليلون لديهم الخبرة والمصادر التي يحتاجونها للقيام بهذه الأعمال

التي ناقشناها في هذا الكتاب بدون مساعدة إضافية. حاجتنا هي إلى المعرفة والمهارات. على سبيل المثال: المؤثّرون بحاجة إلى المساعدة لمعرفة ما ينبغي أن يقرأوه في الكتاب المقدّس مع غير المؤمنين ولمعرفة ما يبحثون عنه. وهم بحاجة إلى فهم واضح لرسالة الإنجيل وكيفية الإعلان عنها من خلال صفحات الكتاب المقدّس. وعليهم أن يعرفوا كيف يلخّصون رسالة الإنجيل في محادثة واحدة وكيف يشجّعون الناس على التجاوب معها. إن هذا يتطلب معرفة خاصة ومهارات معينة يمكن تعلّمها، كما نتعلّم كلّ شيء آخر.

المؤثّرون يحتاجون إلى الإشراف والتدريب

لدى المؤثّرين حاجة أخرى قد لا تتمكن معظم الكنائس من تلبيتها الآن. إنهم بحاجة إلى الإشراف والتدريب. المشرفون المدربون أشخاص يعرفون اللعبة ولديهم المقدرة على تجزئتها إلى عناصر يمكن تعلّمها. إنهم قادرون على التأهيل والتشجيع ولديهم القدرة على تأكيد أهمية الشخص وتصحيحه في الوقت ذاته. وهم يستطيعون أن يشيروا إلى مكان التصحيح ويساعدون الناس على إجراء عملية التصحيح. يقول توم وهو مدرّب موهوب: «اهتم أنتَ بالاتصال بالآخرين. خُذْ أنتَ المبادرة. والمسؤولية تقع علينا لمساعدتك بكل ما تشترك فيه.» إن هذا النوع من التشجيع يساعد الناس على الانطلاق خارج مجال راحتهم المعتاد.

هؤلاء الأشخاص نادرون. إن كان هناك مزيد من الطلب على المؤثّرين، فإن وجود مشرفين مدربين نادر جداً. يجب أن يكون المشرفون المدربون مؤثّرين ذوي خبرات كثيرة حتى يكونوا فاعلين. ولهذا السبب هناك عدد قليل منهم. إن إعدادهم يتطلب وقتاً وجهداً، ولذا يجب أن تبقى هذه الحاجة في أفكارنا وتخطيطنا. يجب أن ندرّب مشرفين قادرين.

لن نحتاج إلى عدد كبير منهم؛ قليل منهم يستطيع القيام بأعمال كثيرة. لكننا لن نتقدم في خدمتنا بدون البعض منهم.

من سيقودنا

إن الحاجة لرعاة كنائس وقادة كنائس ملتزمين بهذا النوع من الخدمة التي أصبحت واضحة لنا. لكن كما رأينا، فهذا النوع من القادة غير مألوف لدينا، ونحن لم نقابل الكثير منهم. إننا ككنيسة لم نقُم بهذا النوع من القيادة في الماضي، لذا علينا أن نكون روّاداً للمستقبل. وهذا يتطلب شجاعة. العمل الريادي يتطلب دائماً نوعاً خاصاً من الشجاعة.

نختم هذه المناقشة بتقديم ثلاثة اقتراحات لقادتنا في الوقت الحاضر وفي المستقبل لكي

يتذكروها وهم يشقّون طريقهم كروّاد.

١. ابدأ بالعيش كمؤثّر من الداخل

جاكسون هو راعي كنيسة. وعندما أدرك الحاجة لقيادة أبناء رعيته في كنيسته ليخدموا كمؤثّرين من الداخل، أقرّ بأهمية أن يكون هو نفسه مثالاً لهم ـــ في الحيّ الذي يقطن فيه وفي محاولته لبناء الجسور مع جيرانه. بدأ هو وبعض القادة في الكنيسة يتحدثون عن **دوائر من ثلاثة**. تتألف الدائرة من ثلاثة أصدقاء غير مؤمنين يحتك بهم المؤمن على الدوام.

يختار المؤمن دائرته بكتابة أسماء جميع الذين يقابلهم في حياته اليومية. ثم يشطب أسماء كلّ المؤمنين منهم. فإذا بقي ثلاثة أسماء على القائمة، فهؤلاء يكونون أعضاء الدائرة الجديدة. وإذا كان لدى الشخص أقل من ثلاثة أسماء لأصدقاء غير مؤمنين، عليه أن يعمل على تنمية صداقات أخرى مع غير المؤمنين.

عندما قام جاكسون بهذا التمرين أول مرة، لم يبق لديه اسم أي شخص على القائمة بعدما حذف أسماء المؤمنين. فذهب لعمله في ذلك اليوم. ثم دعا بعض جيرانه لتناول اللحم المشوي معه. ثم ساعد جاراً آخر في تدريب فريق كرة السلّة حيث كان ابن الجار وابنته يلعبان في ذلك الفريق. وعندما كان أحد الجيران يواجه مشكلة ما، كان جاكسون يتدخل لتقديم المساعدة. وقد أصبح الآن مشتركاً في أنشطة مع ثلاثة من جيرانه.

انتشرت هذه الفكرة بسرعة. بدأ شيوخ الكنيسة يكرّسون جزءاً من اجتماع لجنة الكنيسة لتبادل الأخبار وطلبات الصلاة لأجل حلقات الثلاثة الخاصة بكل واحد منهم. وعندما يجتمع جاكسون مع فريق الكرازة المحلية، يكون أول بند يناقشونه هو الأخبار المتعلّقة بحلقات الثلاثة.

تعكس عظات جاكسون التزامه بالناس الذين لا يعرفون المسيح. ولأن الناس يعرفون عنه اندماجه الشخصي بحياة الآخرين، فإن مثاله المبني على التعليم الكتابي يعطي رسالة قوية للآخرين. إنهم يعرفون ما يطلبه منهم لأنه أصبح مثالاً لهم.

٢. إضفاء الشرعية لفكرة "المؤثّرين من الداخل" من خلال التعليم

يتحدّث الكتاب المقدّس كثيراً عن حياة المؤثّر كما رأينا في هذه الصفحات. لكن كما هو الحال بالنسبة لحقائق الكتاب المقدّس، يجب تعليم هذه الأمور. إن الكتاب المقدّس يمنح الناس الحرية التي يحتاجونها للابتعاد عن التقاليد وعن حدود أمورهم التافهة. وكذلك يمنحنا الكتاب المقدّس الإذن لنجري التغيير ويعطينا التعليمات عن كيفية إجراء التغيير بدون إلحاق الضرر

خلال هذه العملية. إن تعليم الكتاب المقدّس يمكن أن يفتح الطريق للعمل ويرفع من قيمة المؤثّر.

إن معظم تواصلنا مع الآخرين حول القيم هو تواصلٍ غير مباشر. قد لا نتحدث عن القيم بحد ذاتها. لكننا لسنا بحاجة إلى التواجد وقتاً طويلاً مع مجموعة ما ليتضح لنا ما تعتبره هذه المجموعة قيماً هامة. إن موضوعات المحادثات، والقصص التي تُسرد، ومفهوم النجاح، واستخدام الوقت والمال ـــ جميعها تشهد لقيم هذه المجموعة.

عندما كنت مؤمناً حديثاً كان مضمون اختباري الشخصي يشعرني بالإحباط، فقد كان يبدو غير مؤثّر. كنت أسمع قصص بعض رجال العصابات السابقين أو الرياضيين المشهورين وهم يتحدّثون عن إيمانهم بالمسيح. كنت أعجب بهم ولكنني كنت أشعر بالإحباط أيضاً. فلأنني كنت أطيع كلمة والديَّ، فقد كنت أشعر أنه لا يوجد عندي شيء لأتحدث عنه. فكرت أن أسطو على أحد البنوك لكي أحسِّن قصتي واختباري! في ذلك الوقت لم أعطِ أية قيمة لحقيقة أن قصة إيماني بدأت قبل جيلين عندما ساعد أحد المزارعين جدتي على الإيمان بالمسيح. كان ذلك المزارع مؤثّراً من الداخل. يا لها من قصة رائعة!

علينا أن نسرد قصصاً عن المؤثّرين. إننا نميل إلى التغاضي عن أهمية المراحل الأولى للعملية: الأشياء الصغيرة، مبادرات الخدمة الضرورية لمساعدة الناس في المراحل الأولية من بحثهم عن المسيح. ولأن الناس غالباً ما تساوي بين القرار لوحده ـــ أي الحصاد ـــ وبين النجاح في الكرازة، فإننا لا نتحدّث كثيراً عن عملية الزرع. ونعتقد أن القصة لا تستحق السرد إن لم تنتهِ بإيمان الشخص الآخر. لكن أعمال الزرع التي نقوم بها هي تعبيرات محددة لطاعتنا للمسيح ولها قيمة كبيرة بنظر الله. علينا نحن أيضاً أن نتعلّم كيف نعطيها هذه القيمة الكبيرة.

٣. إفساح المجال للمؤثّرين

قال الروح القدس لقادة الكنيسة في إنطاكية: "أفرزوا لي برنابا وشاول للعمل الذي دعوتُهما إليه" (أعمال الرسل ١٣: ٢). كانت المهمة في هذه الحالة مختلفة، لكن الفكرة هي ذاتها. كان على شيوخ الكنيسة في إنطاكية أن يرسلوا رجلين كرسولين إلى إقليم غلاطية ليكرزا بالإنجيل فيه. لقد فعلوا ما طلبه منهم الروح القدس.

إن عمل المؤثّر وخدمته وظيفة أساسية أخرى في إرسالية الكنيسة وعلينا أن نكون مستعدين لدعمها مثل استعدادنا لعملية تيسير إرسال المرسلين. عندما يضع الله خدمة التأثير من الداخل في قلوب بعض الأشخاص ونراهم يندمجون في حياة أصدقائهم غير المؤمنين، علينا أن نفتح أيدينا ونُطلقهم لهذه الخدمة. وعلينا أن نعدّل توقعاتنا منهم. ويجب أيضاً أن نُسهّل اتصالهم بمؤثّرين آخرين للتعلّم والتدريب المتبادل.

وفي نهاية الطريق

إن أحد الفروق الرئيسة بين ممارسات خدمتنا الحالية وبين الخدمة الملتزمة بتقديم الدعم والخدمات للمؤثرين هو المكان ـــ مكان القيام بالخدمة. إننا معتادون على تركيز أنشطتنا في مرافق الكنيسة، لكن المؤثّرين عليهم أن يركّزوا عملهم على أماكن إقامتهم وعملهم، أي حيث تكون علاقاتهم مع الآخرين. وبدلاً من أن تدعم كل الأنشطة المرفق الرئيسي، يجب على هذا المرفق (الكنيسة) أن يقوم بدور الداعم لخدمات أعضاء الكنيسة.

إن عمل المؤثّرين عمل هادىء له مواصفات قليلة. وقد لا يبدو منظوراً وكأن المؤثّر يقوم بخدمة تمويه. إن هذه الخدمة هي عبارة عن مجموعة صغيرة هنا ومجموعة صغيرة هناك يجتمع الناس فيها بدون موعد أو يوم مسبق وبدون طقوس معينة. إن هذه الطريقة غير المرئية كثيراً ما تكون مفيدة في مجتمعات غالبيتها من غير المسيحيين. ولكنها تصبح مشكلة بالنسبة إلى الناس في المجتمعات التي تعودّت على قياس النجاح بالأرقام. إن مفهومنا للنجاح، ومفهوم الآخرين للنجاح، يضع الضغوط علينا.

بالنسبة إلى معظمنا لا يزال الحجم أو الأرقام هي المقياس الرئيسي للنجاح. إننا نشعر أننا لم ننجح إذا لم نستطع أن نشير إلى أشخاص كثيرين آمنوا نتيجة جهودنا. وطالما أننا نفكر بهذه الطريقة، فإن هذه التوقعات سوف تسيطر سيطرة كاملة على أنشطتنا، وطرقنا، وبنهاية المطاف على أشكال خدماتنا. إن أصبحت هذه القيمة هي الدافع في حياتنا، نكون قد استسلمنا لتجربة طلب الملكوت الخاص بنا بدلاً من طلب ملكوت الله. إن ما يثير العجب هو ما سيحدث عندما نتخلّى عن هذه الفكرة ونتوقف عن القلق بخصوص من سيأخذ الفضل في هذه العملية.

إننا نسير في طريق لم نسلكه قبلاً. إننا نرى مشاهد وفرصاً واحتمالات ومشكلات جديدة. ولا نستطيع أن نعالجها إلاّ عندما نواجهها. عندما نحصل على الثمر، علينا أن نتبنى أشكالاً ونماذج جديدة لاستيعاب الناس الذين يعطينا الله إياهم. وعندئذ سينتج الشكل من الوظيفة التي للخدمة. وسيصبح هذا الطريق مغامرة كبيرة ـــ مغامرة تجعلنا نحصل على خبرات جديدة مع الله ومع الناس.

أسئلة للمناقشة

١. ما هي التغييرات التي تقوم بها بخصوص نمط حياتك؟

٢. ما هي التحديات التي يجب أن تتغلب عليها؟

٣. ما هي الخطوات التي يمكنك القيام بها للتعامل مع هذه التحديات؟

٤. عندما تفكّر بالسنة التالية من حياتك، كيف ستنكشف لك خدمة المؤثّر من الداخل؟

الملحـــق

قيادة مجموعة لقراءة الكتاب المقدّس

****

إن مجموعة قراءة الكتاب المقدّس هي مجموعة صغيرة من الأصدقاء يجتمعون معاً لقراءة الكتاب المقدّس والتأمل في رسالته وتطبيقها على حياتهم. تتألف هذه المجموعة من المؤمنين بالمسيح والأشخاص الذين يطلبون معرفة الله. الجميع يريدون أن يتعلّموا من الكتاب المقدّس. إن قراءة الكتاب المقدّس على انفراد عملية صعبة بالنسبة لبعض الناس، لكن قراءته في المجموعة قد يعطي حافزاً إضافياً.

توفّر مجموعة قراءة الكتاب المقدّس أجواء مشجّعة لأفراد المجموعة. فالصداقات تتعمق، ويشعر الناس بحرية لتبادل الأفكار والآراء الشخصية.

تحقق مجموعة قراءة الكتاب المقدّس الأهداف التالية:

* توفير أجواء بسيطة تمكّن الناس من تعريف أصدقائهم على الكتاب المقدّس وإمكانية التكاثر أيضاً. فعندما يؤمن الناس بالمسيح، قد يرغبون بدعوة أصدقائهم غير المؤمنين للانضمام إلى المجموعة.
* توفير مكان آمن للنمو المستمر كأتباع ليسوع المسيح — أي إنشاء بيت روحي. إنها مكان يتفاعل فيه الناس مع الآخرين ويناقشون ما يقوله الكتاب المقدّس ويتقدمون في رحلتهم الروحية.

إن قيادة مجموعة قراءة الكتاب المقدّس عملية غير رسمية، لكنها هادفة. إليك بعض المبادىء الرئيسة لقيادة المجموعة:

١. **عليك أن تتأكد من حدوث شيئين:** فهم الإنجيل (من هو يسوع المسيح، وما فعله، وما يريدنا أن نفعله) والخضوع لله (تحديد العصيان، الذي هو الخطية، على أنه المشكلة الحقيقية، ثم تسليم الحياة لقيادة الله.)

٢. **عليك أن تدرك وتعرف تقسيم العمل في عملية الكرازة.** الكتاب المقدّس يعلن الحقيقة. إنه يزيل الغشاوة عن العيون ويكشف الأفكار والمواقف (انظر عبرانيين ٤: ١٢). إن

هذا سيحدث سواء آمن الشخص بالكتاب المقدّس أم لا. والروح القدس يبكّت على خطية وعلى برّ وعلى دينونة. إنه يعطي الحياة (انظر يوحنا ١٦: ٤-١١). ودورنا هو أن نُظهر المسيح في حياتنا ونُخبر الناس عن المسيح. نحن نحب الناس ونساعدهم على أن يفهموا ما هو مكتوب في الكتاب المقدّس (انظر ١يوحنا ١: ٢-٣). إن هدفنا ليس أن نضع الضغوط على الناس لكي يفهموا الإنجيل أو يخضعوا للمسيح.

٣. **لا حاجة لكي تبرهن على سلطة الكتاب المقدّس.** الكتاب المقدّس يتحدث عن نفسه.

٤. **خطّط بدقة لترتيبات الاجتماع.** ربما تجتمع المجموعة في بيت أحد الأفراد. هدفنا هو أن نخلق الأجواء الآمنة التي فيها يستطيع الناس أن يعرفوا المسيح ويدركوا معنى إتّباعه. اتّفقوا على وقت الاجتماع مما يسمح باستمرار اجتماع المجموعة. العدد المثالي لأفراد المجموعة هو بين ثمانية وعشرة أشخاص مما يسمح بمشاركة الجميع.

٥. **المجموعة ملك لأفرادها ــ ليس للقائد، وليس للمؤمنين فيها، وليس لكنيسة ما.** لا نريد أن نعطي الانطباع بأن حضور الاجتماع لقراءة الكتاب المقدّس يتطلب التزاماً آخراً خارج المجموعة. إن مجموعة قراءة الكتاب المقدّس ليست وسيلة لاستقطاب الأشخاص إلى شيء ما خارج المجموعة.

٦. **ابدأ المناقشة كمتعلّم مثل بقية الأفراد المتعلّمين.** هناك دائماً المزيد لتتعلّمه عن المسيح والتشبه به. عليك أن تُدرك أنك في هذه الرحلة الاستكشافية مثلك مثل غير المؤمن، فهو عليه أن يخضع للمسيح كذلك أنت أيضاً. إن هدف الجميع هو (أفسس ٤: ١٣). هذا الموقف صعب بالنسبة للبعض. فنحن نعرف أننا نتعلّم مثل الآخرين لكننا نعرف أموراً أكثر ونريد من الآخرين أن يتعلّموها أيضاً. علينا أن نتذكّر أن غير المؤمن أيضاً لديه أشياء مفيدة ليقدمها للمجموعة من خلال تفاعله مع الكتاب المقدّس. فإن أصغينا جيداً، سنتعلّم شيئاً جديداً عن الله وعن حياتنا.

٧. **كُنْ مستعداً لوقت المناقشة ــ لكن لا تدع الآخرين يعرفون هذا الأمر.**

* صلِّ
* افهم ما تقوله الفقرة التي ستناقشونها. اسمح لها أن تتحدّث إليك أولاً.
* ضَعْ بعض الأسئلة التي ستوجه الأفراد إلى أفكار الفقرة الرئيسة.
* كُنْ مستعداً لشرح الأفكار الهامة في الإصحاح باختصار. لكن في كلّ الأحوال، تجنّب أخذ دور المعلّم.

٨. **أعط أفراد المجموعة الفرصة ليفكروا.** إنهم بحاجة لإثارة الشكوك ومناقشة ما يقرأونه والتفكير في تكلفة قراراهم المتعلّقة بالخضوع للمسيح. عليك أن تخلق جواً يشجّع على التفكير. إن قائد المجموعة يجب ألاّ:

* يتكلم أكثر مما يُصغي.
* يعطي أجوبة أكثر من الأسئلة التي يطرحها.
* يستخدم شواهد أخرى ليبيّن أنه على صواب وأن الآخرين مخطئون.

(يمكن استخدام الشواهد لإعطاء معلومات إضافية لكن ليس لإعطاء البراهين.)

تذكّر أن الهدف الرئيسي في الكرازة هو إخضاع الإرادة للمسيح. إن التجربة لمحاولة ربح كلّ مناقشة يمكن أن تعطي نتائج عكسية. إن رغبتنا في ربح المناقشة سيولّد مقاومة ضدنا وبالتالي ضد الإنجيل.

٩. **اعمل على تشجيع أفراد المجموعة للتعبير عن أفكارهم بدلاً من أن هتم بالتعبير عن أفكارك الخاصة.** وهذا يعني:

* الإصغاء بانتباه.
* الترحيب بالأسئلة، وعدم الشعور بالتهديد من جرائها.
* الحصول على أفكار أخرى من المشاركين بطرح الأسئلة، وذلك عندما تعتقد أن لديهم أفكاراً أخرى. اخلق جواً من الحرية. شجّع الآخرين على الشعور بالحرية في مشاركة شكوكهم وأفراحهم وأفكارهم حول الكتاب المقدّس. إن رغبة الأشخاص في المشاركة بحرية عامل حيوي للمجموعة.

١٠. **شجّع على المشاركة الكاملة.** يجب أن يساهم جميع الأفراد في المناقشة. يمكن للذين يتحدثون كثيراً أن يسيطروا على المناقشة بسهولة. قد يشعر بعض المؤمنين في المجموعة أن عليهم أن يقدموا الحلول دائماً، لكن هذا الميل قد يعطّل عمل المجموعة. إذاً، اعمل على تشجيع الأشخاص الذين لا يتكلمون كثيراً على التحدث والمشاركة، وشجّع الذين لا يوافقون مع الأكثرية على إبداء آرائهم.

١١. **ارسم صورة تُمكّن أفراد المجموعة من فهم محتوى وسياق الفقرة التي تدرسونها.** في بعض الأحيان يكون من المفيد إثارة خيال أفراد المجموعة بإعطاء خلفية ثقافية أو اجتماعية للفقرة. عليك إذاً أن تستعد وتستخدم قاموس الكتاب المقدّس أو تفسيراً للإصحاح الذي تقرأونه. احترس من إعطاء محاضرة للمجموعة.

١٢. **ابنِ جسراً من خلال الأسئلة.** اطرح أسئلة مفتوحة تشجّع على تفاعل القلب والعقل

والفقرة الكتابية. يجب أن يكون هدف أسئلتك الرئيسي هو مساعدة المشاركين على فهم ما يقوله الإصحاح. وبدون أن تفاجيء أفراد المجموعة، اطرح أسئلة تساعد على ربط ما يقرأونه بخبرات حياتهم. على سبيل المثال، يمكنك أن تطرح أسئلة كالتالي:

* ما علاقة الفقرة بحالتك؟
* بأية طرق تعتبر هذه الفقرة هامة لك؟
* ما الذي ينطبق عليك من هذه الفقرة؟
* هل أثارك أو شجّعك أي جزء من هذه الفقرة؟

١٣. **ابقِ المناقشة على المسار الصحيح.** لا تسمح بتشتيت المناقشة في اتجاهات كثيرة لأن هذا لن يحقق الهدف منها. ركّز المناقشة على الفقرة الكتابية. تذكّر أن الهدف هو مساعدة بعضنا بعضاً على فهم ما هو مكتوب في الكتاب المقدّس.

١٤. **لا تخف من فترات الصمت.** إن الناس بحاجة لوقت للتفكير.

١٥. **لتكن سرعة المناقشة ملائمة.** كُنْ حساساً بالنسبة للوقت الذي ينبغي أن تناقشوا فيه كلّ موضوع. حاول أن تركّز على الأفكار الرئيسة في الفقرة بدلاً من التركيز على التفاصيل. انتقل من فكرة إلى فكرة في الوقت المناسب، وحاول الانتهاء من إصحاح واحد في كلّ اجتماع.

١٦. **لخّص الحقائق التي اكتشفتموها في كلّ مرة.** غالباً ما يكون التلخيص فرصة لشرح الإنجيل. وهذا ما يوضّح فكرة أن هذه الرسالة تتطلب تجاوباً. غالباً ما تحدث الولادات الروحية بدون تدخل خارجي. لكن في بعض الأحيان قد يحتاج الشخص إلى مساعدة لاتخاذ خطوة الإيمان. لا تشعر أنه يجب أن تلخّص كلّ مناقشة. شجّع المناقشة المفتوحة. إن الحقائق ستبرز عندما يتم فحص الكتاب المقدّس برغبة حقيقية.

معلومات عن المؤلفَين

جيم بترسون هوَ مساعد المدير العام لهيئة الملاحين. ساعد على تأسيسها في البرازيل، وعلى تطوير الفرق الإرسالية في أمريكا اللاتينية، كما قام بتدريب فرق خدمة حول العالم. ومن خلال حياته وخدمته في عدة دول وثقافات، اكتسب **جيم** خبرة عملية في تطبيق مبادئ الكتاب المقدّس على الحياة والخدمة. وقد قام بمشاركة هذا في كتبه: **الدليل الحي، كنيسة بلا جدران، وأسلوب حياة التلمذة، وجيم** متزوج من **مارج** ولديهما أربعة أولاد، وهم يعيشون في كولورادو سبرينغ.

مايك شامي، ترأس بعثة إرسالية الملاحين إلى الولايات المتحدة في المناطق الرئيسية فيها منذ عام ١٩٩٩. ومن خلال خدمته في نيوزيلاندا، واستراليا، والمملكة المتحدة، حصل **مايك** على خبرة عملية والتي يتطلبها الشخص ليكون مؤثراً من الداخل في الثقافات العلمانية. وهو يعيش الآن مع زوجته **أودري،** في كولورادو سبرينغ، بولاية كولورادو، حيث يسعيان إلى العيش كمؤثرين شخصيين من الداخل، كما يهدفان إلى مساعدة الآخرين ليصبحوا مؤثرين أيضاً. وهما أبوان لأربعة أولاد.

ملاحظـــات

ملاحظـــات

ملاحظـــات

ملاحظـــات

أنت موجود تماماً حيث يريدك الله أن تكون

بصفتك مواطناً في ملكوت الله، فأنت موجود أساساً في وضع فريد لتعيش حياة المواطنة في هذا الملكوت بين الأشخاص الذين أنت على اتّصال يومي بهم. لقد دعاك الله لتكون «مؤثراً من الداخل» في أسرتك، وحيّك، ومكان عملك. عندما تقوم بتبني القيم الجذّابة والمبادئ المؤثرة لنمط الحياة في الملكوت، فإن الأشخاص الموجودين في حياتك سيرون أن هناك بالفعل طريقة فضلى للحياة. في هذا الكتاب «كُنْ مؤثّراً» يساعدك المؤلفان على:

- رؤية أسرتك، وحيّك، ومكان عملك من خلال نظرة الملكوت إليهم.
- اكتشاف مقاصد وأهداف الله الأبدية، والموقع الاستراتيجي للمؤثّر.
- التغلّب على عقبات جلب الثمار.
- تنمية أساليب جديدة لنمط حياة الملكوت.

ليست الكرازة قاصرة على القلّة الموهوبة فقط بل متاحة لنا جميعاً. إن هذا الكتاب، الذي هو مثال نحتذي به في تغيير حياتنا، سوف يمنحك الإدراك والمهارات اللذين أنت بحاجة إليهما لمشاركة الناس إيمانك في مجال العلاقات اليومية. اكتشف الادراك العميق للمعنى الذي يتأتى من كونك على اتصال يوميّ بمقاصد الله الأبدية.

«إذا كان سيتم ربح عالمنا للمسيح، فيجب أن يكون هذا من خلال اولئك الأشخاص المؤثرين فيما بيننا، الرياضيين، رجال أعمال، الحرفيين، طلاب المدارس الثانوية والكليّات. سيعمل هذا الكتاب على إعداد القرّاء أ
عالمٍ مريح إلى عالم مليء بالمشاكل اليومية، ورؤية النتائج الهامة.»

– بوب جاكس، رجل أعمال، مؤلف مشارك لكتابين «المواء
و «بيتك هو منزل النور».

«سيساعد كتاب «كن مؤثراً» جيلاً جديداً من المسيحيين على
من خلال تلاحمهم في المجتمع كمؤثرين من الداخل في عا

– برايان ماك لارين، مؤلف كتاب «نوع جديد من المسيحيين